



شُرُوقُ السَّيِّدِ

تَوْبَةُ إِبْلِيسَ

رواية



Mohamed Ibrahim





لتحويلك إلى الجروب أضغط هنا



لتحويلك إلى الموقع أضغط هنا

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب

sa7eralkutub.com

او زيارة موقعنا



توبة إبليس

توبة إبليس

شروق السيد

رواية

شروق السيد

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجزوب ساحر الكتب

sa7eralkutub.com

او زيارة موقعنا

شقة آدم - ١٠ نوفمبر ٢٠٠٩

وقفت ريم عند باب الشقة تنظر في ذهول للدمار الذي لحق بها، حرك الأثاث من موضعه، وأفرغت الأدراج والخزانات من محتوياتها وحطمت واجهاتها الزجاجية، مُزقت الأفرشة و ألقيت الأغراض في منتصف البهو، كان تفتيشاً أرادوا من ورائه أن يجدوا غرضاً ثميناً تخفيه، وأن يتركوا إشارة تحذير قوية.

تقدمت نحو الداخل بخطوة وجلة تمر بين الحطام حتى وصلت لباب غرفتها، تسمرت واعتراها الخوف، تعلق نظرها بمكتبها المستقر في ركن من الغرفة وتوجهت إليه، لو أنهم وجدوا ما أتوا للبحث عنه فإنها النهاية وسيذهب عناء الشهور الخالية هباء، والأدهى أنها ستصبح عرضة للقتل بعد انتزاع الورقة الراححة التي تكفلت بحمايتها منهم، جلست أرضاً أمام المكتب ومدت يدها لتحسس الجزء السفلي حتى استقرت على جسم مستطيل بحجم الإصبع مخفياً ومثبتاً في موضعه بمادة لاصقة، أسندت رأسها على المكتب وتنفست الصعداء وقامت بجذب الغرض، قلبته في يدها

عدة مرات وقد امتلأت عيونها بالدموع، زفرت بارتياح، لم يجدوه، لكن بقاءه معها صار خطيراً للغاية، طالما وصلوا إلى منزلها يعني أن اللعبة وصلت إلى الذروة، إلى نقطة الغليان المحمومة.. لم يعد التأجيل خياراً الآن، يجب أن تبدأ في تنفيذ الخطة .

نهضت واتجهت إلى الصالة، التقطت حقيبتها وأخرجت الهاتف ومن أحد جيوب الحقيبة أخرجت شريحة اتصال جديدة استبدلتها بالشريحة الموجودة في الهاتف واتصلت بالرقم الوحيد المسجل عليها، أجاب الطرف الآخر فقالت بصوت لم يخفَ فيه الاضطراب:

– كانوا في المنزل، فتشوه وقلبه رأساً على عقب

أجابها الصوت مفجوعاً

– لا تقولي أنهم سرقوه!

– لم يفعلوا

تنفس الصعداء وقالت ريم:

– لم يعد ممكن تركه هنا، سأسلمك إياه الليلة، لن نستطيع تأجيل الأمر أكثر.

توبة إبليس

– لنفعل ذلك، ستجدين سيارتي أمام البناية خلال خمس دقائق

– حسنا!

أجابت ريم وأغلقت الهاتف، نظرت حولها وهي تفكر، **كيف ستفسر الهجوم الضاري على الشقة؟ كانت الشكوك تحوم حولها في الآونة الأخيرة والآن سيثبت هذا المشهد جميع الشكوك.. ليست هي الفرد الوحيد الذي قد يأتوا لمطارده في هذا المنزل وغرضها الثمين ليس الشيء الوحيد الذي قد يقتحموا المنزل لأجله ومع ذلك فلن يجرؤ أي منهم على فعلها حقًا إلا لو كانوا يريدونها هي.**

قطع أفكارها صوت الزامور فأسرعت نحو الدرج، كانت السيارة الحمراء تقف على الرصيف الآخر، همت ريم بعبور الطريق وهي تثبت نظرها نحو الشخص الجالس خلف مقود السيارة تفكر في الرحلة التي بدأت ولا تريد أن تنتهي، الأيدي التي تكاتفت معًا لتعبر النفق المعتم.. هل تدفع بعضها في النهاية للغرق؟ من كان يدري عن أهوال الطريق وخطورته قبلاً؟ وهل لو عرفت كانت لتردد أم أن الاختيار كان محسومًا من البداية.. تفكر أحيانًا أن الأمر كان مقدرًا بصورة لم يكن من الممكن تجنبها على الإطلاق، وحتى لو كان تجنبه ممكنًا

شروق السيد

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لـ جروب ساحر الكتب

فليس بعد أن تورطت فيه إلى هذا الحد.. يخيفها أنها تعرف النهاية بل تنتظرها ولا تملك لها ردًا، لن يضيء الدرب للآخرين حتى يصطبغ بالدم، دم من؟ لا يبدو كسؤال مهم لشريكها هذا لكن حربها هي كانت لتجنب إراقة دم شخص بعينه ولو كان المقابل دمها هي.

كانت السيارة الحمراء تقف على الرصيف الآخر في انتظارها، همت ريم بعبور الطريق وهي تثبت نظرها نحو الشخص الجالس خلف مقود السيارة حتى مرت بينهما سيارة سوداء كان يطل من نافذتها شابٌ غليظ الملامح يحمل بين يديه مسدسًا كاتمًا للصوت، ضغط الزناد فانطلقت الرصاصة من فوهة المسدس مباشرة إلى صدر ريم فخرت صريعة في مكانها دون أن تملك حتى جزءًا من الثانية لتدرك ما حدث، تدفق الدم من صدرها وتجمع المارة حولها في ذهول وفزع، وفي وسط الزحام كانت يد قد انتزعت من يدها الغرض الذي كان ثمنه روحها.

بعد مرور شهرين

١٠ يناير ٢٠١٠

1

"كان ثمة أوقات حين كانوا يبجلون الضحايا بوصفهم

شهداء هذه الأيام يملون لتبجيل الجلادين"

إيفان كليما

اليوم الأول - قصر خالد درويش

كانت ليلة باهتة ككل الليالي في الآونة الأخيرة، يلفها ضباب خانق وصقيع عجز عن أن يعرف إن كان مبعثه هواء البحر البارد أم روحه، كان قلبه مثقلاً وعقله رغم الزحام الذي يسكنه فارغاً تماماً، يحدق في الجثة التي أمامه بخواء، تدعن روحه لحضرة الموت المهيبة، للقوة التي تردع عنفوان الإنسان وتسحق كبرياءه وتلقيه جثة لا قوة فيها ولا حياة، أمامه كان كل شيء بلا معنى.. تصغر الحياة حتى توشك أن تتلاشى في عينيه، ويصبح كل ما هو مهم في عالمه أخف من ذرة غبار!

دار آدم حول الجثة التي توسطت البهو مرات عدة يتمثل له في وجه القليل الشاحب وجه امرأة دام بنظرة عابسة ووجه كئيب نالت منه الكدمات والجروح، لا بد أن أرواح عدة تدور حول الجسد الآن، ولا بد أن صوت ضحكاتها المجلجلة يملأ المكان ولكنه لا يسمعه، لا بد أن ارتياح عظيم يملأ صدورهم بعد أن انتقمت لهم السماء من خالد، تُرى في أي بقعة من الجحيم ستستقر روحه؟ تساءل وهو يتأمل وجهه، تناوبت الصور أمام مقلتيه، تتماهى حيناً فيرى الجثة الحقيقية أمامه مستسلمة للموت،

ثم تزحف ملامح المرأة إلى وجهه مرة أخرى .

سار مبتعداً يحك ذقنه في شرود، رفع عيونه إلى سقف القصر المزخرف فقبضت رائحة الموت على أنفاسه، يختفي خلف تعابير الباهتة وجع واضطراب وخلف الصلابة هشاشة تعربد في شغاف القلب، استدار باتجاه الجثة وسحب الغطاء عن الأريكة ثم دثرها به سريعاً.

يدري أنه لو أجرى فحصاً دقيقاً لموقع الجريمة لوجد آثار القاتل في كل ركن هنا، لكن الليلة كما كان للموت وطأة مختلفة فإن لهذه القضية مسلك مختلف، فالرجل المغتال برصاصة في القلب بعد أن تعرض للضرب المبرح لن يجد من يبحث عن قاتله لأن التقرير الوحيد الذي سيصدر بشأن القضية سيكتب حرفاً حرفاً من وحي خيال مكتب التحقيقات في إدارة المباحث.. بل إنه في الحقيقة تتم كتابته في اللحظة الراهنة.

– آدم باشا

التفت باتجاه الصوت فوجد الضابط معتر يقف عند باب القصر..

– الطبيب الشرعي وصل هل تأذن له بالدخول ؟

أوماً برأسه موافقاً بابتسامة غامضة..

دخل أعضاء فريق الطب الشرعي مع معداتهم استعداداً لفحص المكان، سار رئيسهم نحو آدم، ألقى التحية ثم قال:

- سنباشر عملنا الآن

رُمقه آدم بعيونه السوداء الحادة وقال:

- لا ترهق نفسك حضرة الطبيب فلسنا في حاجة لخدماتك الليلة..

بُهِت الطبيب وقال محتجاً:

- عمّ تتحدث؟

قبض آدم علي كتفه وضغط بعصية مكتومة:

- لا أحب أن أكرر قولي فأنصت جيداً حضورك الآن لأجل الصحافة

المترقبة في الخارج فلا تُحدث الفوضى وقف بعيداً حتى أعطيك إذناً

بالانصراف وإلا ..

ازدرد الطبيب الثلاثيني لعابه في توتر أحدثته نبرة آدم المخيفة.. أرخى

آدم قبضته ثم ربت على كتفه بلطف قائلاً بابتسامة مغتصبة:

- عُذ إلى فريقك أيها الطيب وانتظر إشارتي:

هز الطيب الشاب رأسه وانصرف إلى فريقه.. بينما وقف آدم عند مدخل القصر يدخن سيجارته وهو يمسح المكان ببصره..

تمثلت له روح المرأة نفسها تطوف حول جسد خالد وقد بدا في ملامحها حبور، صوتها تردد عميقاً كأنه يأتي من بُعد آخر..

" الكذبة لم تخلق لتحمي الحقيقة بل لتحمي نفساً لا تقدر على تجرع الواقع المر، إن الحقيقة ياسيدي لصق ظهورنا ونحن نتجاهلها ونفتش عن زيف يرضي ضمائرنا ويسكت صوت الإنسانية فينا حتى صرنا لا نعرف الحقيقة ولو كانت نصب أعيننا صار الحق ينكرنا كما لا طالما أنكرناه ولا يمكن أن يتبدى إلا لعين تنقب عنه بصدق وروح تلهج داعية لإدراكه.. ولهذا فإن كل ما تراه أعيننا خدعة حتى يثبت العكس.. إن خالد درويش وحاشيته جميعاً مجرمون ياسيدي، بالدليل المرئي لا يمكنني إثبات ذلك ربما، لكن بقلب يدرك الحق ونفس لا تخطئه يمكنني.. لكننا في زمن لا تصدق فيه إلا الأدلة المادية التي تتغير وأما قسم الإنسان وشهادته فلا قيمة لهما.. في وقت كهذا أتساءل ماجدوى القانون حقاً مادام الأقوياء يستطيعون دحض الأدلة بسهولة"

كانت كلمات ريم الأخيرة في قاعة المحكمة ومع ذلك ظل الصدى يتردد شهوراً حتى اغتالوها برصاصة في القلب، كم كانت شجاعة إلى حد التهور الذي أسلمها للموت.. أما هو الذي عاش جباناً حتى سكن الموت روحه يوقع مرة أخرى الليلة على تنازل جديد وهو يقدم الحرية للقاتل على طبق من ذهب.

ليتها تدري أن الوقائع صارت تحاك لتشكيل مسرحية هزلية لإشباع فضول الصحافة المترصدة بكاميراتها وأقلامها لتكتب عن أحداث اغتيال خالد درويش، وأن أحد لن يحاول حتى محو الأدلة الواضحة في مسرح الجريمة لأن أحد لن يأتي باحثاً عن الحقيقة أبداً.

أمام المشفى

الرابعة صباحاً..

ما أعجز الدموع عن رفق الجراح الغائرة، وما أعظم المصائب حين تلتحف ببردة الصدمة والمفاجأة، حين تصيب شخصاً كان يظن أنه في أمانة ودعة، ولم يكن ينتظر أن تستل الفجيعة نصالها وتغرسها في ضلوعه.

أمام المشفى وعلى درجة البارد، داخل معطف أزرق، وبعينين بندقيتين وشعر أسود متوسط الطول ينسدل على كتفيها، جلست فريدة الشقيقة الصغرى لخالد تنتظر وصول سيارة الإسعاف إلى المشفى..

كانت قد سمعت الخبر في التلفاز فهرعت إلى القصر لتجد أن سيارة الإسعاف قد غادرت تحمل الجثمان إلى المشفى، فسارعت بالحضور لكنهم أخبروها في الداخل أن السيارة لم تحضر بعد.

احتل الشريط الإخباري الدموي نصف الشاشة مكتوب بخط مكبر مسبق بكلمة عاجل دلالة على أهميته، يقول أن خالد قد تلقى رصاصة وقضى نحبه، ثم بطريقة مريرة أسقطوا عنه كل الصفات الإنسانية وصاروا يتحدثون عنه باسم الجثة والضحية لينتهي وجود خالد في الحياة أمام عينيها وبطريقة باردة للغاية..

توقفت سيارة إسعاف أمام باب المشفى وانفتح بابها وترجل منها اثنان من المسعفين يحملون ناقلة عليها جسد مغطى بوشاح أبيض مصبوغ بلون الدم، خمنت بالفعل أنه على الأرجح جثمان شقيقها أرادت أن تتقدم نحوه لكنها تجمدت في مكانها حتى عبروا بالجثمان إلى داخل المشفى فتبعتهم بخطوة وئيدة مضطربة في الأروقة الباردة الخالية.. وصلوا إلى

المشرحة، وقفت فريدة أمام الباب المغلق يضطرم في أحشائها خوف كاد يعيدها أدراجها مرة أخرى ، لكنها عرفت بالفعل أن حاجتها لرؤية وجهه أكبر من خوفها من الاصطدام بالحقيقة..

لو لم ترَ عينيه الشاخصتين ووجهه الشاحب وجلده البارد فلن يكون بوسعها أبدًا أن تصدق أنه مات..

استجمعت شجاعته ورفعت يدها لتدفع الباب لكن صوتًا جهوريًا قاسيًا أوقفها:

– ماذا تفعلين؟

التفتت لتلحظ آدم الذي رمقها بنظرة باردة:

– ممنوع الدخول إلى هنا

قال فأجابته بصوت مرتجف:

– أنا شقيقة خالد درويش، وأريد أن أراه.

وضع يديه في جيبه معطفه الأسود وحدجها بوجه خال من أي تعبير:

– ممنوع الدخول وخاصة لو كان شخصًا من طرف خالد

بهتت فريدة وطالعه في دهشة:

- ماذا تعني؟ أريد رؤية وجه شقيقي ما المشكلة الكبيرة في هذا؟

- سيدتي هذه هي الأوامر، آسف ولكن لن تستطيعي رؤيته.

- تبا لك ولهذه الأوامر.

هتفت فريدة وهي تدفع بالباب لتدخل فأمسك آدم ساعدها واستحال

سواد عينيه البارد جحيماً مستعراً من الغضب:

- بالطبع ماذا يتوقع المرء من شقيقة المجرم إلا أن تتصرف بهذه

الطريقة؟! سيكون عليك المغادرة حالاً، ليس مسموحاً لأي أحد

قاطعه فريدة:

- لا يوجد قانون يمنعني من الدخول لرؤيته.

- وكأنه خضع لأي قانون وهو على قيد الحياة حتى يخضع جثمانه

للقوانين الآن.

نبرته التي تحمل قدرًا هائلًا من الكراهية وعيناه السوداوان كهوة
سحيقة من الحقد كانت صعبة النسيان.. الآن تذكرت هذا الوجه،
قالت له وهي تحديق فيه بذهول:

– أنت ذلك الضابط الذي اقتحم منزلنا منذ شهر، أليس كذلك؟

ارتسمت على شفته ابتسامة جانبية ولم يجب فقالت هي بغضب:

– من فضلك دعني أراه، إن كراهيتك له بلا معنى الآن وقد مات، هل

تفعل بي ذلك رغبة في الانتقام منه؟!

قال آدم بسخرية:

– انتقام؟ من شخص ميت! وبهذه الطريقة البائسة!

ثم أضاف وهو يضغط على ساعدها:

– قلت لك هناك أوامر بمنع أي شخص من رؤيته

وسحبها ورائه نحو الخارج وهي تصرخ بانفعال وتحاول تحرير يدها

من يده، وقد امتلأت عيونها بالدموع واختنقت أنفاسها، وأحست دوارًا

عنيفًا وتسارعت نبضاتها حتى لتكاد تخترق ضلوعها

تهبة إبليس

- أرجوك.. دعني أراه

كانت تصيح به وهو يتقدم نحو المخرج متجاهلاً صرخاتها حتى وصلا إلى الباب فوقفت أمامه بوجه شاحب تتوسله، وتراقص الكون ودار وزحفت عتمة.. وانقطعت الأنفاس.. وتلاشى الكون كله و سقطت بين ذراعي آدم فاقدة للوعي.

اليوم الثاني - إدارة المباحث

ارتجف القلم بين أصابعه لأول مرة مذ سنين، كان يدري أن توقيعه لن يدفن حقيقة ما حدث لخالد وحسب بل إنه يضع حياته على المحك. هو لا يوقع اليوم على مجرد تقرير أو قضية ستغلق وتنتهى بعد مدة.. بل إن توقيعه سيحرر شيطاناً كامناً وحده خالد امتلك التعويذة الصحيحة لترويضه، خالد كان الحماية الوحيدة له والآن لقد فقد الميزة التي امتلكها بموته .

توبة إبليس

لاحظ آدم تردده أمام الورقة فتحنح قائلاً:

- سيدي دعنا ننهي الأمر، الصحافة مترقبة في الخارج.

رفع اللواء سالم رأسه لتبدو تجاعيد وجهه الستيني كثيبة أكثر من المعتاد..

- هل تعرف ماذا فعل بنا خالد بموته؟ لقد تركنا عراة أمام السيل، كل منا الآن مضطر لحماية نفسه والنجاة بها، وإلا فإن مصيراً مفرغاً سيكون في انتظاره.

نكس آدم رأسه ولم يملك ما يقوله، هو يدري أكثر من أي أحد ماهية أن يموت خالد؟ ولكنه لا يستطيع أن يكبح الحقائق الأخرى التي يعرفها والمشاعر المتأبينة التي تسكنه.

ران الصمت لدقيقة و كليهما يقلب وجوهه الخطر المحقق حتى أيقن اللواء أنه لا مفر من وضع توقيعه على التقرير ففعل ثم ألقى بالقلم كأنه يتجرد من فعلته.

كما مات الجسد وصعدت الروح إلى السماء لابد أن تموت الأسرار..
فموت خالد سيبعث العقارب من جحورها لتلدغ الجميع، ولن تغير كيفية

توبة إبليس

موته من هذه الحقيقة.

مد يده بالتقرير لآدم الذي قال:

- سأذهب للقاء الصحفيين الآن:

أشار بيده له لينصرف ووضع الرجل رأسه بين يديه مطرقاً.. تصاعدت
نعمة الهاتف شاذة وسط الجو الملبد بالقلق والتردد.. ألقى نظرة إلى
الشاشة فوجد اسم داود الباشا، أجاب متحفظاً وهو ينوي أن يفرغ جام
غضبه لكن النبوة القاطعة للباشا ألجمته كما كانت تفعل دائماً:

- ما هي آخر التطورات؟

كظم غيظه وربط علي قلبه قائلاً:

- اهتم آدم بكل شيء لا تقلق

- والصحافة؟

- في طريقه للتحدث إليهم

- غير مسموح لك بارتكاب أي خطأ وإلا فإنك تعرف ما سيحدث

إسود وجه اللواء وماج الغضب في أحشائه، ليته يمتلك خياراً غير

الصمت العاجز.. ليته يمتلك القوة الكافية ليسحب مسدسه ويسدد رصاصة إلى صدر الباشا.. لكنه أضعف وأكثر جنبًا من أن يفعل. أضاف الباشا بسخرية:

- عليك الآن أن تكمل دورك كاملاً.. لا تنسى أن خالد كان زوج ابنتك والصحافة سترغب في التحدث إليك أيضاً

فرك اللواء جبهته في ضيق

- أعرف ذلك بالفعل لا داعي لتذكيري.

- حسنا إذن

قال الباشا وأغلق الخط، فصدم اللواء الهاتف بالمكتب في عنف وحنق، يستطيع الباشا أن يتلاعب به كيف يشاء فلم يعد خالد موجوداً ليحميه منه، لقد سقطت الحامية التي اختبأ في أستار قوتها، صار الآن فريسة سهلة، بل إن الجميع صاروا كذلك، إن موت خالد قد بدأ عهداً جديداً بالنسبة له، ولا بد من البحث عن طريقة ليؤمن نفسه وإلا فإنه سيكون أول من يضحون به.

"يد الغدر تزهق روح رجل الاعمال الشاب"

"مصر تتشح بالسواد حدادًا على روح خالد درويش"

كانت العناوين العريضة تحتل صدر الصفحة الأولى من الجريدة التي امتلأت بعدة مقالات تتحدث في أبعاد القضية القضائية والسياسية والاقتصادية، أبرزها كانت المقالة التي كتبها الصحفي "رامي سليم" والتي قرأها ياسين وعيناه مشدوهتان في عجب، كان الصحفي يكيل الاتهامات للقتلة بالخيانة العظمى ووصفهم بأعداء النجاح وأنها حرب كبيرة ضد الاقتصاد المصري وخطط النهضة والتطوير، و رثى في عدة أسطر خالد رجل الأعمال الشاب الذي ابتلع سوق الصناعة في السنوات الاخيرة واخترق أفق السياسة بشعبية طاغية وصار نجمًا اجتماعيًا يشار له بالبنان نظرًا لسنه الصغيرة وجهده العظيم في مساعدة الشباب والمحتاجين، وكثيرٌ من الإنجازات العظمى التي لولا أن ياسين كان يعرف حقيقتها لصدق حقًا ولتأثر بموت خالد تأثرًا كبيرًا لفرط ما أجاد رامي تزييف الحقيقة البشعة لخالد بكم ضئيل من الحبر اللعين وقدر هائل من التدليس والكذب.

أما جريمة القتل وهوية القاتل فكانت أقل الأشياء أهمية على الإطلاق، فالיום أو الغد أو بعد عام خالد كان ليموت سواء بيد عدو غامض ولسبب مجهول أو حتى لو تمت تصفيته بأمر من القيادات العليا في الدولة المهم هي النتيجة وأنه الآن ميت.. الذين يعرفون حقيقة خالد يرون في قتله خلاصًا من شر عظيم وأن القاتل لابد أن يكون بطلاً من نوع ما، والذين لا يعرفون الحقيقة شغلهم الصحافة بأحاديث ومقالات عن من يحاولون هدم الوطن ومحاربتة فاخفى الحزن على خالد في عباءة حزن أكبر.

كان سلاح خالد الأقوى دائماً هو الإعلام، والأبواق التي تصيح وتعظم من اسمه ومكانته، ومازال رجاله يؤدون مهمتهم في التزييف بجدارة حتى بعد موته كخدمة أخيرة ربما أو لأنهم على الأرجح أرادوا أن يمنحوا موت خالد زحماً بطولياً يرفع من مكانتهم هم بصفتهم داعميه وأعوانه.

أغلق ياسين الجريدة وفتح التلفاز فظهر أمامه أحد البرامج الحوارية التي تناقش تفاصيل القضية ثم تحدث المذيع عن لقاء مع الضابط المسئول عن القضية.. تغير المشهد وانتقل البث إلى بوابة المشرحة التي وقف أمامها آدم متحدثاً مع مراسل القناة.

انفض ياسين ووقف يحدق بالشاشة بينما آدم يتحدث بثبات غريب عن خالد وملابس القضية.. التفت ياسين والتقط هاتفه واتصل سريعاً بشقيقه فسمع صوت الهاتف عند باب الشقة، فتح آدم الباب ودخل.. تحفز ياسين وتقدم نحوه قائلاً:

- ماهذا الذي رأيته للتو؟ هل أنت المسئول عن قضية قتل خالد؟

رمقه آدم بلا مبالاة ثم سار نحو غرفته في تجاهل تام.. قبض ياسين على ذراعه فاستدار نحوه قائلاً بهدوء:

- بلى أنا المسئول

- ألم يكن هناك سواك؟

ابتسم ابتسامة باردة:

- مصادفة

ثم أضاف بتهكم:

- أنا وهو لدينا قدرٌ مشترك كما يبدو

استشاط ياسين غضباً:

- لا تجعلني أفقد صوابي، كيف اختاروك لهذه المهمة وهم على دراية كاملة بتاريخكما معًا.

اتقد ذهنه فجأة فتراجع وهو يحدق بشقيقه:

- أم أنهم اختاروك تحديدا لهذا السبب؟!!

تركه آدم ودلف إلى غرفته فتبعه إلى الداخل:

- أجبني لقد اختاروك بسبب ما حدث بينكما في الماضي

- بالضبط

- وماذا تنوي أن تفعل؟

جلس آدم علي السرير قائلاً:

- سأنفذ الأوامر

أجاب ياسين غير مصدق:

- ولو كانت ضد الحق والعدل؟

امتقع لون آدم وأجاب بغضب مكتوم تحت صفحة الملامح الصلبة

- العدل؟ أنت تعرف بالفعل أنه يستحق هذه النهاية بعد ما فعله بريم

- لم يكن هو السبب الوحيد فيما حدث لها

قال ياسين بنبرة ذات مغزى ثم أضاف:

- ومع ذلك فلا أظن أن ريم ترضى لك أن تبيع ضميرك ومبادئك مهما

كان السبب

حدجه آدم ببؤس وأجاب بكآبة:

- لو كانت ريم هنا لما حدث أيُّ مما يحدث الآن، ولكن انظر حولك،

ريم لم تعد موجودة، أنت تنسى دائما أنها ماتت.

قال ياسين بنبرة اتهام:

- ومن كان المسئول عن موتها؟

تراشق الشقيقان نظرة صامته طويلة: وازدرد آدم الاتهام الصريح في نبرة

ياسين بصعوبة بالغة، ففي الحقيقة لم يملك ما يدحض به هذا الاتهام أو

مايدافع به عن نفسه، وقال أخيرا:

- فلنتحدث لاحقا.. أحتاج للنوم فقد كنت مستيقظاً طوال الليل.

ارتسمت على شفتي ياسين ابتسامة ساخرة وغادر الغرفة.

في غرفته استعاد كلمة آدم مرارًا

"أنت تنسى دائمًا أنها ماتت"

أحس ياسين كأن الكلمة اخترقت فؤاده كالسكين، كيف بوسع شقيقه أن يقر حقيقة مفاجئة كهذه ببساطة بينما ياسين يصارع ليقنع قلبه أن ريم لم تعد حقًا على قيد الحياة، أن يد قاسية باطشة اغتالتها ذات ليلة وتركت له وجعًا لا يحتمل وحزنًا لا ينضب، أن رصاصة غاشمة اخترقت قلبها وأن القاتل لم يزل حرًا طليقًا.. منذ شهرين يفتش عن الحقيقة، ينقب عنها بمعول قاسي ولم يخرج له حتى الآن من قبرها إلا العقارب والأفاعي والحقائق السوداء الكريهة، لكنه لم يجد دليلًا واحدًا يدعم شكوكه أو ينفيها.

مازال قادرًا أن يتخيل وجهها في كل ركن من الشقة.. ما زال صوت ضحكاتها المجلجلة حاضرًا في كل الزوايا، ما زال القلب يتشبث بوجودها بكل قوته يعاند الموت الذي أرداها بسطوته.. كيف كان الشوق إليها وهي على قيد الحياة وكيف الشوق إليها الآن وهي تسكن التراب ولا

تهبة إبليس

تملك عيناه أملاً في رؤيتها.

طفرت من عينيه دموع فضغط على أسنانه يقاوم غصة مريرة تسد حلقه،
ومسح أدمعه الساخنة بكفه ووقف سائراً إلى الكومود وفتح الدرج
ليستخرج منه صورتها، جميلة كما ألفها تطل في الصورة بثغر باسم و
عيونها الخضراء تلمع في جذل، تلف حول وجهها حجاباً وردي اللون،
يصعب عليه أن يتخيل حقاً أن كتلة السعادة الهائلة التي منحت عالمه
البائس النور والبهجة مدفونة وسط التراب في بقعة موحشة وأن الأوغاد
الذين امتصوا رحيق الحياة من روحها يهيمنون في الأرض ويعيشون فيها
فساداً كما اعتادوا.

كان ما يزال جالساً في مكانه، يفكر في كلمات ياسين، رن جرس الهاتف
فأخرج آدم من شروده نظر إلى الشاشة في غير اكتراث في البداية حتى
لمح اسم داود الباشا يتراقص كفزاعة مرعبة.. قبض على صدره بيده
وأسبل أجبانه قلقاً وضيقاً ثم أمسك بالهاتف وأجاب:

– أهلاً

ندت ضحكة عن الباشا فجفل آدم وابتلع ريقه.. بينما تحدث الرجل:

- أهلا بك يا آدم أين أنت؟

- في المنزل

حل آدم رابطة عنقه حين شعر كأن صوت الرجل يطبق على أنفاسه

- أحتاج إلى معروف صغير

خرج صوت آدم باهتًا مهمومًا وهو يقول:

- إنني أستمع

- فريدة درويش.

جحظ آدم مقلتيه قائلاً:

- فريدة درويش؟ مابها؟

- أريدها.

- ولماذا؟

أجاب الرجل:

- ليس هذا من شأنك.. أحضرها لي وحسب

أجاب آدم بغضب هادر:

- وكيف لي أن أفعل؟ هل تريد مني اختطافها؟

أجاب بصرامة:

- لو لزم الأمر افعل.. ولتحضرها لي في أسرع وقت

تصاعد صوت الصافرة فنزع آدم الهاتف عن أذنه وألقاه على السرير،

وأطلق سبة غاضبة من بين شفثيه هل يظنه الباشا أحد المرتزقة لديه..

لماذا يوكل إليه هذا النوع من المهام ومالذي يريده من فريدة؟ أليس طلبه

غريب جدا؟ هل تعرف المرأة شيئاً عن خالد؟ وانتابه خاطر مفرع.. هل

تعرف فريدة شيئاً عن قاتل خالد؟ فكر آدم ثم تأفف في حنق ووقف

ليبدل ثيابه، عليه أن يتجه إلى المشفى في أقرب وقت..

المستشفى

تطل الذكرى برأسها من بين سدول العتمة.. كأن اليوم يشبه يوماً في الماضي السحيق، كئيباً وبارداً وبلا نهاية، ويحمل بين كفيه كفنًا جديدًا ويشيع في مآتم لا صوت فيه ولا صراخ آخر إنسان تربطها به علاقة دم تُترك وحيدة بعد البتر القاسي لآخر جذر يثبتها بالأرض.

يتغير كل شيء فجأة تمامًا كما حدث في الماضي.. وتمامًا كما تم إلقاؤها في الملجأ قبل سنين يُدفع بها الآن إلى الدرك الأسفل من جحيم الوحدة.. على الأقل في الماضي كانت تتشبث بأمل كالمعجزة أن يجد خالد سبيلًا للوصول إليها.. أما الآن فيدها التي اعترها ضعف ونفسها التي نخر فيها اليأس وجسد خالد المضرج بالدماء يوثدان أي أمل..

الريح تعصف خارج نافذة منزلهما القديم قبل ثمانية عشر سنة تحمل نذير شؤم لم ينتبها له فانشغلا بألعابهما يتحايلان على الوقت والخوف في انتظار عودة والديهما.. تلك الليلة وجد اليتيم وحده الطريق إلى شباكهما المشرع ولو أن الأمر توقف هنا لكان بالإمكان احتمال له لكن الأقارب شاءوا أن يتجرع الصغيران كأسًا لا قبل لهما بمرارته فزج بهما إلى

تهبة إبليس

ملجأين متفرقين.. فما عادت عين تبصر الأخرى ولا عاد قلب يدري
لقلب شقيقه سبيلاً.. والسنون تزحف كسلحفاة عرجاء تجر في أذيالها
بقايا قهر قديم

وجاء خالد بعد اثنتي عشرة سنة وكان اليأس قد شق في الصدر نفقاً
فالتأم... وعمت العين لما غمرتها العتمة طويلاً فبزغ النور فيها.. ومد
خالد يده النورانية العظيمة فتعلقت بكفه كفراشة تائهة تهفو إلى نجاة من
مستنقع وحل، حقيقة أن خالد انتشلها من ضياع إلى ضياع لكنه في ذلك
الوقت البعيد تجسد كمعجزة حين كادت تكفر بالمعجزات.

مات خالد وعلى نحو يثير دهشتها مات مع صدمتها الغضب العارم الذي
ملاً جناحها شهوراً، تحاول بجهد بالغ أن تتذكر الأشياء المريعة التي
اقترفتها يده، لكنها لا تذكر الآن إلا وجهه الباسم قبل أن ينحل ويتغير،
وصوته الدافئ قبل أن يقسو، ويده المنقذة قبل أن تتلوث بالدم وتتجبر،
لم يعد هناك جدوى من الغضب أو الكراهية وهو الآن في عالم آخر..
لكن ما يشفي اللوعة و الخوف أي مصير ينتظره ياترى؟ وهل أبصر حقاً
طاقة نور أم أنه ظل حتى النهاية يسبح في عماه؟ هل مات غارقاً في
الدنس؟ موحلاً في الخطايا؟

فتحت فريدة عينيها ونظرت حولها في جزع، تذكرت ما حدث مع آدم قبل أن تفقد وعيها وبدلاً من أن يملؤها الغضب فقد سكنها الخوف.. إن أعداء خالد في كل مكان حقاً، غريان الحقد تنعق فوق جثمانه، والكراهية التي غذاها بدمه وروحه تنمو وتستشري بعد موته، الآن يحصد خالد نتاج نبتته الخبيثة..

تذكرت عيون آدم التي تحمل كراهية كادت تحرقها وفكرت كم شخص يشاركه ذات الشعور؟ كم سكين أرادت أن تنحر عنقه وأيها نجح في فعل ذلك؟ من قتله ياترى؟ ومن أصدر الأوامر بحرمانها من رؤية وجهه لمرّة أخيرة؟

شعرت أنها تختنق فنهضت ونزعت الحقنة الوريدية من يدها وسارت نحو الباب لكنها حين فتحته وجدت فردين من رجال الشرطة يسدان الطريق، حاولت الخروج لكنهما لم يسمحا لها فتراجعت قائلة:

– أريد المغادرة

أجاب معتر وكان شاباً نحيلًا، دقيق الملامح، له عينان فيهما مسحة من بلاهة:

توبة إبليس

- أنا آسف لكن غير مسموح لك بالمغادرة

رمقته في دهشة وهي تتفحصه:

- عمّ تتحدث وهل أنا متهمّة؟

- الأمر ليس كذلك لكنها أوامر أنا أعتذر

أجابت بعصبية:

- أنصت جيداً أيها السيد إن لم تسمح لي بالمغادرة فوراً فإنك لن

تستطيع تحمل عواقب فعلتك!

أجابها بصبر:

- أعتذر منك سيدتي لكنها الأوامر

تجاهلته فريدة وحاولت المغادرة لكنه أغلق باب الحجرة عليها فبدأت

بالصراخ دون توقف لترغمه على تحريرها.

- مالذي يجري؟

التفت معتر إلى مصدر الصوت وقال:

- حمدا لله على حضورك يا آدم باشا، اللواء سالم أمر بمنعها من المغادرة

قاطعه بحركة من يده قائلاً:

- افتح الباب

فتح معتر الباب فبرزت من ورائه فريدة تطالع وجه آدم بكراهية لم تخف

عليه.. دلف إلى الداخل وأغلق الباب دونه طالعه فريدة في غيظ:

- بالأمس أوامر لمنعي من رؤية شقيقي والآن بمنعي من الخروج؟

ماهي خطتكم بحق الله؟

تنهد وهو يتقدم نحوها فصرخت فيه:

- لا تقترب مني، إنك تهدر وقتك معي وتنسى أن مهمتك الحقيقية

هي أن تجد قاتل خالد

كان الوقت يداهمه، فقال لها بصبر نافذ:

- انصتي، إن لم تغادر من هنا الآن فلن أملك أنا أو أنت وقتاً لا

للنجاة ولا لإيجاد القاتل

جحظت مقلتاها في دهشة

- عمّ تحدثت؟

- إنهم قادمون لأجلك، يريدونك لسبب لا أعرفه، إن لم تغادري معي الآن فستكون حياتك في خطر.

- من هم؟!

- هويتهم غير مهمة، كل ما أعرفه أنهم يريدونك وعلينا الهرب فوراً.

هل تثق به؟ سألت نفسها ألف مرة خلال ثانية واحدة وعقلها يتأرجح بين القبول والرفض، فكرت في رجلي الشرطة الذين يسدان الباب.. فلتغادر الغرفة اللعينة أولاً ثم يمكنها الفرار منه إن أرادت.

هزت رأسها بالموافقة، فتقدم الطريق وسارت وراءه ففتح الباب فتبعته وعيون معتر تراقبهما بتردد ووجل حتى دخلا إلى الرواق الرئيسي المؤدي إلى المخرج فغابا عن بصره.

تنفس الصعداء حين رأى المخرج على بعد خطوات منه ، كيف أقدم على تلك المخاطرة؟ لقد كان قاب قوسين أو أدنى من أن يكشف أمره.. ابتم ساخرًا وهو يفكر كيف أن لعبة التوأم المتشابهة مازالت تؤتي ثمارها.. وأن أحدا لم يعرف أنه في الحقيقة ليس آدم إنما شقيقه التوأم ياسين.

قبل ساعة واحدة كان يقف عند باب الغرفة ينصت لمحادثة شقيقه وقد سرت في جسده رجفة ووزح ثقل على قلبه؟ عاد إلى غرفته يجر قدميه في ألم يغمره خزي.. متى صار شقيقه وحشاً لا يفكر قبل أن يقترف أفعاله الفظيعة؟ من يقبض على عنقه ويوجه له الأوامر ومالذي يجبر آدم على تنفيذها له؟ "فريدة درويش" بالنظر إلى مجريات الأحداث فلا بد أنها شقيقة خالد .

تناول هاتفه من على الكومود واتصل بأحد أصدقاءه الصحفيين.. ألقى التحية ثم سأل:

- هل تعرف شيئاً عن امرأة تدعى فريدة درويش؟

أجابه:

- إنها الشقيقة الصغرى لخالد درويش.. لماذا تسأل عنها؟

- سأخبرك بالتفاصيل لاحقاً لكن الآن حاول أن تعرف أين يمكنني العثور عليها؟

- سأوافيك بالمعلومات خلال ربع ساعة

وهاهو هنا يوشك على اعتراف شيء لم يتخيل أن يفعله قط، لكنه لم

يستطع أن يجلس مكتوف الأيدي، لم يعرف من كان المتصل ولا لماذا أرادها ولكن حدسه أنبأه أن المرأة في خطر شديد وأن توأمه يوشك أن يسلمها لما يبدو أنه أحد الرجال المشبوهين الذين يعرفهم فقد كان ارتجافه واضطرابه اثناء المكالمة يشيان بخطورة المتصل على الطرف الآخر.

كانا يتقدمان باتجاه المخرج حين لمح ياسين "آدم" يدلف إلى المشفى فأمسك يدها ودخل سريعاً إلى أحد الممرات الجانبية حتى عبر آدم دون أن ينتبه لهما، بدلت فريدة نظرها بينهما وصاحت فرغاً

- من أنت؟

- سأشرح لك لاحقاً لكن دعينا نغادر الآن.. إن حياتك في خطر..

قال ياسين متوسلاً فدفعت به بعيداً

- لن أتحرك خطوة واحدة حتى أفهم ما يجري

طالعتها مفكراً لا يدري ماذا يجدر به أن يقول؟ ولا يقدر على التكهن برد فعلها لو أخبرها الحقيقة، ثم ماذا يقول شقيقي كان يحاول اختطافك.. اللعنة، وهو على أية حال لا يملك وقتاً ليشرح موقفه لذا وضع يديه على

توبة إبليس

كتفيها وغمرها بعيونه قائلاً:

- كل ما أحججه أن تثقي بي لخمس دقائق أخرى وحسب حتى تغادر
المكان سالمين وسأشرح لك كل شيء لاحقاً.

كادت تدفعه من جديد لكن دفء ما نبع من عينيه السوداوين الباردين
فوقفت مترددة لبرهة قبل أن يكمل:

- أتوسل إليك.. خمس دقائق أخرى وحسب

أذعنت لإصراره قائلة:

- حسناً إذاً

أمسك يدها وسحبها داخل الممر فقالت:

- لكن المخرج بالجهة الأخرى

فأجاب وعيونه معلقة بالأسهم الموضوعه على الجدران تشير إلى منفذ
الطوارئ:

- لقد تأخرنا بالفعل وعلينا اللجوء لخطة بديلة

وصل آدم إلى الحجرة التي ترك بها فريدة بالأمس بعد أن فقدت وعيها فوجدها فارغة ولم يجد أحداً من الحرس، اتصل سريعاً بمعتز هتف به ما إن أجاب

- أين ذهبتم أيها الاحمق؟

- نحن على وشك مغادرة المشفى لقد اتصل اللواء سالم وأخبرته أنك اصطحبت السيدة فأمرنا بالانصراف.

جحظت مقلتاه فرعاً

- من اصطحب السيدة؟!

ارتبك معتز قائلاً:

- أنت لقد كان ذلك منذ عدة دقائق!

تشوش ذهن آدم لبرهة قبل أن يتيقظ عقله من جديد فسأل معتز

- أنا بنفسى فعلت ذلك!

- هذا ما حدث .

أسبل آدم أجفانه وصاح بعصية:

تهبة إبليس

- تحرك برجالك فوراً وأغلق منافذ المشفى كلها لا تدع المرأة تفلت منكم.

- كما تأمر.

أجاب معتر وأغلق الهاتف.. استشاط رأس آدم غضباً وهو يفكر مالذي ورط شقيقه مع فريدة؟ ياسين الذي يعرفه لم يكن ليرتكب هذا النوع من الحماقات فماذا دهاه؟ مالذي يخطط له حضرة المحامي الذي لم يعتد أن يتدخل في شئون الآخرين أبداً؟

بعد البحث المضني دون فائدة وقف معتر أمام آدم مرتبكاً:

- لم نجد لها أثر

تنحنح ثم أردف:

- ولكن كيف استطاعت الفرار منك؟

رمقه آدم بغيظ وقال بعصية مكتومة:

- انصرف أيها الأحمق لا تدعني أفرغ غضبي على رأسك

انصرف معتر سريعاً من أمامه دون أن ينبس بحرف، مهما فكر لا يمكنه

أن يخمن السبب الذي جعل شقيقه يساعد فريده.. ليس كأنها المرة الأولى التي يقترب فيها آدم فعلة شبيهة، وليس كأن ياسين كان غافلاً عن الأمر، لكن لماذا تدخل هذه المرة بالتحديد وبينما الوضع على درجة مفرجة من الخطورة، مالذي سيحدثه من حركته الحمقاء؟ لن يتركه آدم يفلت بفعله أبداً.. السؤال الذي يكاد يفقده عقله هو كيف عرف؟

واتسعت عيناه في انشده فجأة لا يمكن أن يكون قد سمع المكالمة، لا يمكن أن يكون قد عرف أن آدم كان يوشك على اختطاف المرأة.. ماذا قد يكون سمع أيضاً يا ترى؟ هالته الفكرة، وصلته رسالة أخرجته من شروده، فتحها ليظهر اسم الصقر كما خمن

"ماذا حدث؟"

تنهد آدم وفكر في رد فعل الصقر لو أنه أخبره بما اقترفه ياسين، لا داعي لإشراكه في مشاكله العائلية المعقدة للغاية لذا أرسل له

"غادرت فريده المشفى، لن يعرف الباشا عن مكانها شيء لا تقلق"

"جيد، وماذا ستقول للباشا؟"

"أنها هربت قبل وصولي"

توبة إبليس

"لن يصدقك"

"ليس هناك ما يثبت العكس، سيوبخني قليلاً وينتهي الأمر"

ضغط آدم على أسنانه في توتر وهو يلعن شقيقه في رأسه، لقد كان عالماً بين الباشا والصقر والآن ياسين يضفي إلى المعادلة المعقدة بالفعل طرفاً آخر

صف ياسين السيارة أمام إحدى العمارات السكنية حيث أشارت فريدة..

تفحص ياسين الحي المكتظ بعينه ثم سأل:

- هل أنتِ واثقة أنك ستكوينين في أمان هنا؟

- بالتأكيد.. هذه البقعة منسية كلياً لن يفكر أي شخص أنني اختبئ فيها

رمقها في عدم فهم فقالت:

- الشيء الأهم هل تنوي أن تشرح لي ما حدث في المشفى!

زاغ ببصره بعيداً يستجمع شتات أفكاره وأجاب:

- كل ما أستطيع قوله أن عليك الانتباه لنفسك، هناك من يلاحقك ويبدو

تهوبة إبليس

أنه يرغب في إيدائك

طالعه في شك:

- عمّ تتحدث؟ وكيف عرفت بهذا الشأن؟

- لا بد أنك انتبهت لذلك بالفعل أنا ياسين الشقيق التوأم لآدم الضابط
المسئول عن القضية.

- ها أنت قلتها، هو الضابط المسئول عن القضية، كان لا بد أن ينقذني
هو إذا؟ فكيف انتهى بك الأمر لانتحال هويته ولماذا هربت حين التقيناه
في المشفى!

أشاح ياسين بوجهه ولم يعرف بما يجب

- أنا لا أعرف أي لعبة رخيصة تلعبها أنت وشقيقك لكن لا تحاول أن

تقترب مني مرة أخرى

قالت باشمئزاز وضيق ثم فتحت باب السيارة وخرجت، راقبها ياسين حتى
اختفت داخل المبنى، ثم أدار محرك السيارة وانطلق في طريقه .

يأتي الندم كئيباً مشوهاً يفسد بقية إيمان حواه الصدر.. ويأتي الحزن

مهلهلاً ففضاضاً يهبط علي القلب فيبتلعه كله.. وتأتي الدموع في عناد
قاس فتتفرج عنها الأعين بلا حول أو قوة.

كانت السيارة تمخر الطريق بسرعة جنونية يتمثل لياسين وجه خالد عن
مسافة فيضغط البنزين ليلاحقه وكلما قاربه تلاشى واستوحش القلب
واستشرى الوجع أكثر.. خرج طيفها الألمعي كقبس من نور وسط عتمة،
ضاق حدقاته و تقلصت عضلاته واضمحل رأسه و ضغط المكابح فجأة
فأصدرت السيارة صريراً عنيماً، استند على المقود لاهث الأنفاس، لقد
صار يتخيل شبح ريم أيضا يالها من حالة، لقد ساعد للتو شقيقة المتهم
الأول في قضية ريم.. قال لنفسه أنه فعل الشيء الصائب وأن فريدة لا
دخل لها بما اقترفه خالد وأن ريم لم تكن لترضى لو أنه عرف بشأن تورط
المرأة في مشكلة ولم يساعدها، ولكن فكرة شيطانية كانت تملأ صدره
للحظة تمنى لو أن خالد كان حياً.. كان ليقتله الآن بلا تردد ولا شفقة،
لكن ما جدوى الغضب وريم ماتت وخالد أيضا مات.. ومع ذلك يعرف
جيداً أن قلبه لن يهدأ حتى يعرف من اقترفها.

وصل ياسين إلى الشقة فوجد آدم يجلس على الأريكة في مقابل الباب،
تبادل الاثنان نظرة صامتة طويلة قبل أن يقول آدم بهدوء مصطنع:

توبة إبليس

- لماذا فعلتها؟

أجاب ياسين دون تردد:

- لم أستطع أن أقف مكتوف اليدين وأنا أعرف أن حياة شخص ما قد تكون في خطر بسببك.

رمقه بغضب

- حضرة البطل يتدخل بشهامته المعتادة أليس كذلك؟

- فلتسخر كما تشاء، كان رد فعل إنساني حتمه على ضميري.. الضمير الذي لا تعرف عن وجوده شيء يا آدم

ندت عن آدم ضحكة ساخرة:

- لم أكن أعرف أنني بصدد الاستماع لإحدى خطبك الرنانة..

ثم وقف وسار نحو شقيقه:

- دعنا نعود لسابق عهدنا لا يتدخل واحدنا في شؤون الآخر.. و لا تحاول تكرار ما فعلته.

وينبرة تحمل قدرًا هائلًا من الحقد أضاف:

- لا تجعلني أكون سيئًا لدرجة أن أؤدي شقيقي

عقد ياسين ذراعيه أمام صدره قائلاً بمرارة:

- أعرف أن بوسعك أن تفعلها، من يملك القدرة على إيذاء إنسان

سيأتي يوم ولن تمنعه درجة القرابة وروابط الدم..

صاح آدم وقد انتفخت اوداجه من فرط الغيظ:

- عظيم.. أنت تعرف هذا بالفعل.. لذا لا تجرؤ على تخطي حدودك

مرة أخرى

وتجاوز ياسين في اتجاه باب الشقة ليغادر لولا أن استوقفه سؤاله

- أنت لم تفعلها يا آدم.. أليس كذلك؟ ريم لم تتأذ بسببك؟

تجمد آدم في مكانه دون أن يلتفت، هاهو يواجه السؤال الذي تراقص في

عينيه أخيراً، جف حلق آدم و اشتعل صدره ولم يرد.. لم يستطع أن

يستدير ويواجه شقيقه كان يشعر بنظراته المسلطة على ظهره لكن التردد

أعجزه، ليته كان يملك إجابة ترضيه و ترضي ياسين.. لكن الإجابة

الصحيحة على السؤال قاتلة

حث الخطى و غادر الشقة وترك ياسين وراءه يكظم وجعاً يفري حشاه..
 لماذا لم يرد؟ الإجابة التي يعيها هذا الصمت لا يمكن أن تكون
 صحيحة؟ لقد سأله لأنه تمنى أن ينكر الأمر.. تمنى أن يقطع جبل
 الشكوك ولكنه يوصله ويمده بصمته المريب، هل من المعقول أن يكون
 قد خسر ريم بسببه فعلاً ليس مرة واحدة بل مرتين؟

جلس ياسين على الأريكة يمسك برأسه التي شجها صداع، وسرى الدم
 المغلي في عروقه يكويها كياً، تذكر المشهد الذي زرع الشكوك في صدره
 تجاه شقيقه في المقام الأول، كان ذلك بعد موت ريم، حين قضت
 الصدفة أن يسمع مكالمة هاتفية له مع شخص لا يعرفه، كان متجهاً إلى
 غرفته ليسأله عن شيء ما ولكن وجدته يتحدث في الهاتف فقرّر العودة
 لاحقاً حتى استوقفه ذكر اسمها في منتصف الحديث فتجمد في مكانه
 كان آدم يقول:

- ريم لم تفهم قدر الشر الذي تواجهه، كنا نعرف أنها تعرض حياتها
 للخطر، كنا نعرف أي قوة كانت تواجهه وتركناها، كان علينا منعها،
 كيف سأغفر لك بل كيف سأغفر لنفسي أنها ماتت بسببنا نحن

وعرف ياسين أن للأمر علاقة بالقضية التي رفعتها ريم قبل مدة على خالد

درويش وحاشيته وسمع آدم يقول:

- رأيتها تقاتل للوصول للدليل واحد ولم أستطع أن أخبرها أنها لن
تصل لشيء لأنني تلاعبت بالأدلة

ثم هتف:

- لا تحاول تهدئي.. أنت أيضا لست بريئا مما حدث، نحن قتلناها،
نحن تسببنا في خسارة فادحة كان بالإمكان أن نتفادها، الذنب
يرهقني، لا أصدق أنني كنت جزءا مما حدث لها

وعلا صوت بكائه، وأغلق الهاتف وعلى وجهه أمارات حزن عميق وفي
عينيه نفق أسود معتم وبلا نهاية تنثال منه الدموع كأنها مخلوطة بالدم.
حث ياسين الخطي إلى غرفته، أمسك بدماعه وأحس دوارا عنيفا،
ولعدة دقائق كان عاجزا عن الرؤية بشكل واضح، توشك شرايينه أن
تنفجر من فرط الغليان، مالذي تعنيه كلمات آدم اللعينة؟ من يومها
والسؤال يؤرقه، ماذا حدث لريم؟ ما درجة تورط آدم في المسألة؟ و
السؤال الأهم هل ماتت ريم بسبب قضيتها ضد خالد حقا؟ أم أن
شيء آخر لا يعرفه ياسين قد حدث؟ ماذا يعني بتلاعبه بالأدلة؟ والآن

أسئلة جديدة تطرح نفسها.. من قتل خالد؟ لماذا يبدو أن آدم ينوي العبث بأدلة القضية ولماذا كاد يختطف شقيقته؟ عليه أن يعرف الاجابة، حدس قوي ينبأه أن كل هذا سيوصله للإجابة عن سؤاله الأهم بخصوص ريم ..

وقف واتجه إلى غرفة آدم، فتش في أدراج المكتب كما كان دأبه في الشهر الماضي، يفتش كل يوم لعله يجد شيئاً ما يدلّه إلى طريق يجب عن أي سؤال من الأسئلة التي تكاد تفتك به.. تنبه إلى أن أحد الأدراج كان مغلقاً على غير العادة، فتحه بالنسخة التي يملكها من المفتاح والتي لا يعرف عنها آدم شيئاً، وجد ملفين أحدهما باسم خالد درويش وآخر باسم عدوه الأشهر وصديقه السابق يوسف رمزي ..

جلس ياسين على السرير وشرع في قراءة ملف خالد ولم يشكل ما فيه مفاجأة كبيرة بالنسبة له فلقد كانت لديه فكرة كافية بالفعل عن وجه خالد الآخر الذي لا يعرفه العامة وجرائمه الشنيعة بفضل ريم بالطبع، ولكن وجود ملف يوسف رمزي معه هو ما كان مدعاة للدهشة بحق، فتح ياسين الملف ولم يخب ظنه فقد كانت المفاجآت الأكبر بانتظاره في الملف الذي لم يكن يبحث عنه في الأساس..

ليس فقط لأن يوسف رمزي كان متورطاً في أعمال مشبوهة هو الآخر ولكن لأنه وللمفاجأة كان زوج فريدة.

هل كان خالد وشقيقته وزوجها يشكلان عصابة من نوع ما؟ لماذا تتربط الأشياء بشكل مربك؟ إلى أين يمكن أن يقوده بحثه خلف الأدلة التي تبرز له لتدوخته أكثر!

جلس "رامي سليم" في حلته الرمادية وكان يستضيف في الحلقة كامل عز الدين واحد من رجال الأعمال البارزين، كانت الحلقة تدور بالكامل عما حدث مع خالد، ورغم علم فريدة أن شيئاً مما يقال لم يكن يشبه الحقيقة في شيء لكنها جلست أمام التلفاز تتابع الحلقة، كأنها تنتظر أن تسمع شيئاً يثلج قلبها، لكن رامي بدأ يتحدث عن العزاء الذي أعده اللواء سالم والد سوزان زوجة خالد، فأغلقت التلفاز في حنق.

تلك الملعونة ووالدها يذرفان دموع التماسيح بينما هي واثقة من أنهما السبب فيما أصاب خالد أو على الأقل هما يعرفان من فعل به هذا، هما السبب في كل مصيبة حدثت لخالد منذ اقتحما حياته، هما حولاه لهذا الوحش، امتصا روحه حتى النهاية، ولا بد أنهما أكثر المستفيدين بموته

توبة إبليس

بالنظر إلى الثروة الهائلة التي سترثها سوزان.

أفاقت من شرودها على صوت طرقات على الباب فسارت بإتجاهه
وفتحت.. تراجعت مرتبكة حين رآته يقف أمامها مبتسماً

- مرحباً

- يوسف!

نزع رامي الميكرفون من معطفه وتوجه إلى كامل عز الدين ليصافحه بعد
نهاية الحلقة، سارا معا خارج الاستديو، كان كامل شاردا فقال له رامي:

- مابك؟ سأصدق أنك حزين على موت خالد حقا؟

ابتسم كامل:

- لا تنكر أن موت خالد الآن أربك حسابات الجميع..

اتسعت ابتسامة رامي:

- لكنه فتح الطريق للبعض الآخر، صار الوصول لرئاسة المنظمة الآن
أكثر سهولة، صحيح أن خالد كان كالشوكة في حلق الباشا لكنه

كان أقوى أسلحته ودفاعاته أيضا.

شرد كامل ثم نظر إلى رامي قائلا:

- مشكلتك أنك أكثر ذكاء مما ينبغي

- لست ذكيا لكنها لوازم المهنة

ابتسم كامل وبدا وجهه الطيب أكثر شرا

- إذن انتبه لنفسك، لقد كان خالد مولعا أيضا بالأسئلة وانظر إلى أين

قاده هذا

ضحك رامي، فتجاوزه كامل واستقل سيارته وغادر .

كانت قد بكت حتى تورمت عيناها وتكومت في فراشها ترتجف تحت

الأغطية من أثر الحمى تهذي باسم خالد حتى تصدع قلب يوسف وجعا..

قضى ليلته إلى جوارها يتأمل وجهها الشاحب ويعالجها بالكمادات حتى

بزغ الفجر ففتحت عينيها ورأته جالسا علي كرسي بجوار السرير يطالعها

في إعياء وقلق.. ابتسم لها فتبسمت، مسد خصلات شعرها بيده قائلا:

توبة إبليس

- لم أكن أدري أنك تحبين خالد إلى هذا الحد

تغضن جبينها وقطبت ما بين حاجبيها في ضيق وانزعاج، فداعب وجنتها
بلمسته الرقيقة:

- لا تخشي شيئا، وإن رحل هو فإنني لن أرحل أبدا

توردت وجنتها في تأثر بالغ فقال:

- أنا أحبك.. وأعدك اني سألتصق بك كالأبد.. لن أدع شيئا يقف
بيننا أبدا.

ذلك الوعد الذي أطلقه ذات يوم و لم يفعل شيئا إلا خيانتته مرة وراء
أخري.

أفاق يوسف من شروده الطويل بعدما غمرته الذكرى البعيدة.. كان ذلك
قبل خمس سنوات تقريبا حين ترك خالد الإسكندرية وسافر مع زوجته
سوزان للعيش في القاهرة.. لم تتقبل فريدة ابتعاده عنها تلك المسافة
فكيف تراها تتقبل أمر موته.

بخار القهوة الساخن يتصاعد من الكوب الموضوع على الطاولة بينهما،
عيونه معلقة بملامحها المتعبة، إصبعها يصنع دوائر على مقبض الكرسي

كما كانت تفعل في الماضي إذا شعرت بالإحباط..

هنا في مسافة نصف المتر التي تحتلها الطاولة فاصل بين حياة تخلت عنه وحياة التبسته رغما عنه، هو في كل الأحوال لم يختر.. بل إن شيء خارج إرادته حاد به عن طريق وأسلمه طريقا آخر.. لعله لو كان يدري أنه سيبلغ من الأسى حد أنه يجلس في حضرتها دون أن ينال منها نظرة راضية أو ابتسامة لتغيرت الأمور كثيرا.

تغير هو وظلت هي كما عرفها منذ اليوم الأول نقية كزنبقة بيضاء أورثها الحزن فذبلت وظلت رغم شحوبها أجمل صورة تداعب مقلتيه.. تلوث كل شيء فيه حد أنه لو لمسها الآن لاحتقرت بين ذراعيه.. تبدل وجه الإنسان في وجدانه وتكونت حول القلب أغلفة من نار ووجع.. وعلى الرغم من ذلك مازال المسخ المشوه في أعماقه يحبها حبا نقيًا لا شائبة فيه، هي الشيء الوحيد الباقي من زمن الإنسان.. القوة التي تبقيه ممسكا بتلابيت روحه يستبقها داخل جسده بيد بينما يده الأخرى تحاول انتزاعها كل ساعة..

سألته دون أن تنظر إليه:

توبة إبليس

- كيف عرفت أنني هنا؟

أجاب بابتسامة:

- لم يكن من الصعب التخمين

أجابته بصوت حاولت أن يخرج قاسيا قدر المستطاع:

- ولماذا أتيت؟!

- لأطمئن عليك

- لم يكن هناك داعٍ

- لا أتفق معك في هذا، لدي دائما ألف سبب يبرر حضوري لرؤيتك

لكنك من تواصل إغلاق الباب في وجهي.

ابتسمت بسخرية دون أن تجيب.

أي عقاب هذا ياخالد؟ أي عقاب؟

لعلك تحترق في جحيم أبدي.. لعلك تتمزق ألف مرة على نصال من

لهب.. لعلك تموت بعد الموت ألف مائة أخرى.. أي قسوة تملكك

وأنت تصدر حكمك اللاإنساني في حق إنسانيته؟ بأي حق تبعد سراج

النور الذي كان ليرشده لطريق عودة؟ كيف تحرم ظمآننا من غيث يبريه

ساعة قيظ شديد؟ فلتحترق روحك في الجحيم حتى تصير رمادا ثم تبعث
وتحترق حتى نهاية الزمن.

فكر يوسف وغالب أفكاره وابتلع غصته قائلا:

- سأترك رجالي بالخارج لحمايتك

أجابت بلامبالاة:

- يمكنني الاعتناء بنفسى

تنهد وقال بصبر نافذ:

- عليك أن تدركى من تكونين يافريدة وكم أن حياتك مهددة خاصة بعد
موت خالد، دعيني أترك رجالي حتى أطمئن.

رفعت عيونها نحوه فالتحم الرفض فيهما بالتوسل الباكي في عينيه..
نكس رأسه في يأس، قالت بنبرة قاتلة:

- أنت تعرف بالفعل أن رجالك لن يستطيعوا حمايتي من الأذى مهما
بلغت قوتك أو قوتهم، هناك يدٌ أقوى من أيديكم جميعا قادرة على
النفوذ عبر النار لتصل إلى من تريده وقتما تريده وقادرة على أن تنهي

حياته بقرار، أم أنك نسيت ما حدث لحمزة بالفعل؟

أجاب بمرارة:

- هل ينسى الإنسان خطيئة كهذه؟ ولكن لا تقلقي فالوجع الذي

يسكن ضلوعي يوشك أن يكفر عن خطاياي جميعا

ابتسمت هازئة:

- إن الجحيم ذاته لن يكون كافيا للتكفير عن تلك الخطايا

- ياللقسوة!

هتف وقد احتقن وجهه وقال وهو يضغط على أسنانه:

- إن كان هذا عقابي فماذا يستحق خالد إذن؟

نكست رأسها ولم تجب فوقف حانقا ليغادر، تاركا وراءه اختناقا ودخانا

وحريقا.

أي وجع هذا؟ كلماته التي كانت بوابة السعادة يوما فجرت في القلب

معين تعاسة لا ينضب، وعيونه الصافية كالنور غلفتها عتمة وراء عتمة

وأسوار وراءها أسوار، كل شيء فيه تبدل وما زال كل شيء فيه كما هو.

يوم جلبها خالد إلى هذا المنزل قبل ست سنوات بدا لها أنها تعبر برزخا بين الجحيم والفردوس.. هنا قدم لها يوسف بابتسامة محبة

- وهذا هو يوسف صديقي المقرب

تصافحا وسرت في الأوصال رجفة والتحمت العيون في عناق لم يدم إلا لحظة.. يومها بدا أن كل الأحلام بإمكانها أن تتحقق.

عيونه البنية الدافئة، وراحة يده التي تتسع تماما لكفها الصغير، ابتسامته التي أغدقت عليها بسعادة الكون كله.

ثم تغير ذلك الرجل، صارت عيونه غاضبة على الدوام وإن لامست فيها اليوم ندما وحرنا.. ابتسامته صارت باهتة ميتة.. وراحة يده لم تعد تناسب إلا مصافحة القتلة والمجرمين!

متى تحول الحلم الجميل إلى كابوس مزعج؟ متى تلاشى البرزخ واستحال الفردوس سعيرا لا يطاق؟ وما بالها اليد التي انتشلتها من قاع الوحل يوما تحاول إغراقها اليوم بلا رحمة؟

استمرت سعادتهم عامان أو ثلاثة ثم قوض العذاب جنتهم في لحظة فهل استحق الأمر كل هذا الشقاء الذي ورثته؟ لم لم يتركها خالد ويوسف

لبؤسها الأول؟ لم منحها نفحة من الجنة ثم ألقيا بها إلى لظى العذاب؟
حقا من كانت حياته صعبة ستظل حياته صعبة للأبد؟

جرت جسدها المنهك واستلقت علي الأريكة تطالع السقف في وهن
تسلق عيونها الجدران تتأمل طيف الذكرى الذي ارتسم لها كلوحة
تراجيدية مرعبة.

وانتفض السؤال هل ليوسف أي علاقة بمقتل خالد؟ هزت رأسها رفضا
فلم يكن يوسف مهما بلغت به القسوة أو الغضب ليقترب شيئا كهذا
لأجلها هي على الاقل لكنها تعرف شخصا آخر لديه الجرأة بالتأكيد.

جلس يوسف داخل سيارته المصفوفة أمام الشاطئ تسبح عيونه في الأفق
البعيد ويدرك بمرور كل لحظة أن لا مهرب من القضبان التي تحبس
روحه.. هنا في تلك البقعة وقبل عدة أيام تمثل له انتقامه الذي أراد..

سحب خالد يده الممسكة بالمسدس وثبت الفوهة على صدره مباشرة
وصرخ بغضب هادر:

- اقتلني لو كان هذا سيعيد لك كل ما فقدته

تهبة إبليس

عروق رقبتة النافرة ووجهه المخضب بالدم وشفثيه المتورمتين اللتين ترتعشان في غضب.. كل ذلك لم يثر أي شفقة في قلب يوسف بل ثبت نظراته بعيني خالد يبهما نفورا واشمئززا لا نهاية له.. فوهة المسدس لا تبعد إنشا واحد عن هدفها.. ضغطة واحدة وينتهي كل شيء.

وكاد يفعلها.. كان على أهبة الاستعداد لإنهاء حياة خالد.. الكراهية والغضب كانا يملآن قلبه وروحه، لكنه ألقى بالمسدس بعد برهة وأمسك بتلابيب خالد وصرخ فيه

– سيكون الموت إنقاذا لك من عقابي!

استحق خالد أن يقتل بسبب السر الذي أخفاه وأخبره به يومها ولكنه تذكر في اللحظة الأخيرة أن قتله لن يفيد أحدا، كان بقاؤه على قيد الحياة هو الضمانة الوحيدة لعودة حياة يوسف لنصابها الصحيح.

مسح يوسف دموعا غافلت أجفانه المطبقة في تعب، كان وجهه شاحبا وقد نمت لحيته وغارت عيناه من أثر الإرهاق، أفاق حين تعالى صوت الهاتف بين يديه فأجابه دون أن يفتح عينيه:

– الباشا يبحث عنك.. أين أنت الآن

فتح يوسف عينيه ونظر في مرآة سيارته ليتأكد أن السيارة التي أرسلها الباشا لمراقبته تقف على مسافة.. تنهد في ضيق وقال:

- في الإسكندرية، والباشا أرسل رجاله في إثري منذ غادرت القاهرة أجابه ماهر في اضطراب:

- مستحيل وكيف زرت فريدة إذا هل جننت؟

لاحت ابتسامة ساخرة على وجهه وهو يتذكر كيف أنه جعل حارسه الشخصي يرتدي ثيابه ويقود السيارة في شوارع الإسكندرية طوال الليلة الماضية حتى يتخلص منهم..

- استطعت التخلص منهم حينها لا تقلق، أنا عائد إلى القاهرة قريباً.

أغلق الهاتف وقاد سيارته نحو الفندق الذي يقيم فيه، وفي جناحه الفاخر وقف يشذب لحيته بعدما اغتسل ثم ارتدى بزة سوداء باهظة الثمن ووقف أمام المرآة يتأمل هندامه.. كان وجهه ذو البشرة الخمرية وسيما إلى درجة ملحوظة.. عيونه البنية أنفه المستقيم وابتسامته الساحرة جعلت منه وجهاً جميلاً للحقيقة البشعة لمن عاثوا فساداً بإسمه ومن خلف ستار وفره هو لهم. ابتسم في اشمئزاز وخرج من الغرفة يرتدي قناع يوسف

رمزي رجل الأعمال الشهير كما ينبغي له أن يكون!

صبيحة اليوم الثالث - أمام منزل آدم

وقفت ترتدي معطفها الأسود تغطي رأسها بقلنسوة وترتدي نظارة شمس تخفي نصف وجهها.. وضعت الصندوق أمام باب الشقة ثم طرقته وهرعت إلى المصعد الذي أغلق بابه عليها في اللحظة التي فتح فيها آدم الباب ورأى الصندوق، تناوله ودخل إلى الشقة فتحه فوجد به مظروفا يحوي رسالة وقرص DVD، فض الرسالة وقرأ..

"الرسالة الثانية من ريم، سأزورك مرة أخرى لأعطيك الرسالة التالية، احرص على تنفيذ ما تطلبه."

سقط الصندوق من بين يدي آدم المرتجفتين وركض إلى خارج الشقة، أخذ المصعد وهبط إلى الأسفل وهرع إلى خارج العمارة يتفحص الطريق بعينه عليه يهتدي لهوية الشخص الذي يدعي أن الرسائل اللعينة التي تصله قادمة من طرف ريم، لكنه لم يبصر شيئا غريبا فعاد إلى الشقة لاهث الأنفاس والتقط الصندوق عن الأرض، فتح المظروف واستخرج

القرص، أسرع إلى حاسوبه ووضع به فوجد به ملفا واحدا يحتوي علي تسجيل فيديو ضغط زر التشغيل فظهرت ريم تحديق بعينين خاويتين وقد بدا في وجهها الدائري شحوبا غير مألوف، تفرك يدها في توتر بالغ، عيناها الخضراوان تلتمعان في ذهول..

أوقف آدم الفيديو حين لاحظ أنها علي وشك أن تقول شيئا ما.. تأمل ملامحها المرتعبة، ماذا بحق الله أرسلت تقول؟ لقد ظن أن أي حديث بينهما قد بتره مرآها لحقيقته، فلماذا لا زالت تتصرف بشرف كبير وهو أثبت أنه أكثر وضاعة مما صورت لها أسوأ كوابيسها، إنها تعذبه بحسن تصرفها البالغ معه لأنها تعرف أنه يؤمن في قرارة نفسه أنه لا يستحق أي شيء منها، لا طالما كانت بارعة في إعطاء المرء عقابا بمقاس إثمه بالضبط.

ريم ترسل له رسالة من بعد الموت.. رسالة ربما تحوي حقيقة لن يقدر على احتمالها ووجعا سيبدل كل شيء في نفسه.. استجمع شجاعته وضغط زر التشغيل، تحدثت ريم بنبرة باهتة يتبدى فيها أثر بكاء وبقية خوف:

- إذا كنت تشاهد هذا فلا بد أنني قد غادرت هذا العالم بالفعل، لا

يمكنني أن أمنع ندمي من عدم إخبارك هذه الأشياء وجها لوجه لكن الوقت كان يداهمني ولم أستطع أن أبوح لك بكل ما أدت قوله، هناك الكثير مما لا تعرفه ولذا من واجبي أن أخبرك به، عليك أن تفهم الحقيقة وتقبلها ولو لم تعجبك وأنا أراهن أنك لن تخذل إيماني بك، كل شيء بدأ بقضية العامل، أنت تعرفه جيدا.. فأنت من تلاعب بالأدلة الموجودة في مسرح الجريمة حيث قتل..

وبينما تابع آدم بقية الفيديو امتلأت عيناه بالدموع وأحس احتقارا كبيرا لنفسه، كان يجب لشخص مثله أن يموت، هي تستحق الحياة أكثر منه ألف مرة.

فكر ياسين في الرابط الغريب الذي يجمع هذه العائلة إن جاز أن يطلق عليها عائلة فعلا، لم تكن لديه أي فكرة أن يوسف وخالد مرتبطان في علاقة مصاهرة، لقد شعر وهو يطالع الاوراق أنه أمام عصابة كبيرة متوغلة بطريقة ما في جسد الوطن، الأشياء التي قرأها في الملفات فظيعة خصوصا إذا تذكر أن يوسف وخالد يعاملان من العامة معاملة طيبة ومن المفترض أنهما كانا يمثلان النزاهة والشرف في مجتمع تساقطت فيه كل

هذه المبادئ منذ مدة..

تُرى في أي عالم مقيت نعيش؟ لقد أثبت الإنسان بالفعل أنه أكثر المخلوقات وحشية على ظهر البسيطة وأنه قادر لولا لباس المدنية المتحضرة الذي يستر جسده أن يظهر أكثر الوجوه فظاعة وأكثر الأفعال قسوة على الإطلاق، في الغابة على الأقل لا يفكر حيوان في افتراس الآخر إلا إذا شعر بالجوع لكن هنا في العالم البشري ترى أناسا يقتلون آخرين لأسباب لا معقولة على الإطلاق، أروقة المحاكم تعج بالقضايا الغريبة التي وجد نفسه يقف أمامها مذهولا يرى بشرا يخلعون عن أنفسهم كل ماهو إنساني وآدمي ويقتربون فظائع يصعب تخيلها، تساءل دائما عن السبب وراء ذلك النوع من الأفعال، وراء الوحشية التي تختبئ خلف وجوه رزينة وطيبة أحيانا، ومالذي يخرج شخصا عن وقاره ليقترب جريمة لم يتخيل أي شخص أن يقتربها، أي سبب يجعله يغتال إنسانا ويزهق روحا، بل إن الناس يقتلون حتى دون سبب، دون أن يعرفوا الضحية ودون أن يضمروا لها أي عدا.. وأحيانا ما تكون عملية القتل بطيئة وجمعية.. يقتل فيها المتحكم آلاف البشر بسلاح اليأس وانتزاع أرواحهم نتفة نتفة حتى تنتهي.. يقتلهم وهم أحياء يرزقون.. يقتلهم باسم الوطن

تهبة إبليس

وباسم الدين وباسم أشياء لا يجب أن تكون أكثر أهمية من روح الإنسان التي لا بد أن تكون أعلى شيء في الوجود لكنها صارت أبخس الأشياء سعرا.

العالم المقيت الذي لا زال يحوي بين جنبه وغدين كيوسف وخالد وربما تكون فريدة شريكا آخر في أعمالهم القدرة، يلفظ روحا نقية كروح ريم، ياللوجع!

كانت فرح قد وصلت قبل برهة وجلست على الطرف الاخر من الطاولة دون أن ينتبه إليها فكان شاردا في أفكاره ينظر إلى الشاطيء القريب، وجعلت هي تتأمله هنيهة تستغل فرصة لا تتاح لها كثيرا في الآونة الأخيرة لتأمل وجهه المحبب إلى قلبها، الوجه العابس منذ وفاة ريم كأنها سرقت بموتها جل أفراحه وابتساماته، كما سرقت وهي حية قلبه دون أن تترك مساحة لأي وافدة أخرى..

تنبه لها أخيرا فالتفت معتذرا عن شروده ولو أنه عرف أي سعادة منحها بشروده هذا وسماحه لها بالجلوس في حضرته تبثه عبر الصمت أشياء لن يعرفها لما اعتذر، كانت فرح ابنة خالته وشريكته في مكتب محاماة افتتحه بعد عودته من السفر وموت ريم، خمرية البشرية هادئة الملامح

ترتدي حجابا يحتوي وجهها الطويل المسحوب، جميلة إلى درجة معقولة
وذكية إلى درجة مزعجة أحيانا.

أخرجت من حقيبتها مجموعة من الصور ليوسف وفريدة وخالد وأفردتها
أمام ياسين وبدأت تسرد له كل ما استطاعت جمعه من معلومات منذ
طلب منها ليلة أمس أن تبحث عن فريدة وخالد درويش ويوسف رمزي
وقالت:

– كان الصديقان قد نشأ معا في دار للأيتام وغادراه معا حين أتما الثامنة
عشر، عملا في شتى المجالات حتى استطاعا تأجير شقة صغيرة في حي
قديم، وكان خالد في ذلك الوقت يبحث عن شقيقته التي افترت عنه
قبل سنين حتى وجدها في ملجأ منعزل على أطراف المدينة وأحضرها
لتعيش معه وكان يوسف قد استأجر غرفة السقف في نفس المبنى وأقام
فيها، كون الثلاثة عائلة صغيرة دافئة حتى ظهرت سوزان صدقي
واستطاعت أن تفوز بقلب خالد وخلال مدة قصيرة تزوجا وانتقلا معا
للعيش في القاهرة حيث بدأ خالد في بناء امبراطوريته العظيمة وكان
يوسف وفريدة قد تزوجا بالفعل قبل انتقاله بشهرين ثم لحقا به إلى القاهرة
بعد سنة حيث بدأ يوسف في تأسيس شركته هو الآخر، كان مصدر

أموالهم مشكوك فيه لكن أحدا لم يستطع اثبات أي شيء ضدهم..
شخص ما كان يحميهم ببسالة شديدة.

قاطعها ياسين مستفهما:

- اللواء سالم أم شخص آخر سواه؟

هزت رأسها نفيا:

- لم يكن ليستطيع حمايتهم وحده فقد كان في النهاية ضابطا في
المباحث هنا في الإسكندرية ولديه عدة شركات في القاهرة يتردد عليها
كل فترة.. أما يوسف وخالد فنجحا في الوصول للعامة بسرعة وهناك من
كان يساعدهم من وراء الستار استطاع أن يصدرهم للمجتمع في صورة
بهية فتلقوا حبا وافرا من الناس، كان الهدف بسيطا أن يخلقوا صورة بطل
بسيط قادم من الصفوف الخلفية يكون واجهة مناسبة يتخفي وراءها
المحرك الرئيسي للأحداث و أداة ينفذ بها كل مآربه

التقطت أنفاسها واستطردت:

- كان كل شيء يسير بصورة مثالية حتى حدث ما حطم علاقة الصديقين
فجأة.. وصار معروفا في الأوساط الراقية أنهما يكرهان لبعضهما كراهية

شديدة ويتصيدان الأخطاء لبعضهما منذ ما يقارب التسعة أشهر وكانت فريدة حاملا وتعرضت لوعكة صحية خطيرة وتم نقلها للعلاج في لندن لكنها عادت بعد شهرين وحيدة بعد أن فقدت طفلها بعد ولادته بيومين وفي الآونة نفسها كانت المشاكل بين الصديقين في أوج اشتعالها وفي أحد الأيام تركت فريدة القاهرة وانتقلت للعيش في الإسكندرية وترددت شائعات عن انفصالها عن زوجها.. كما أن خالد وفريدة انقطعت علاقتهما تماما بعد انفصالها عن يوسف

نظر لها متعجبا:

- مامعنى هذا؟

- لا أدري بالضبط لكنها قطعت علاقتها بكليهما فجأة

- هل يعقل أنها اكتشفت ما كانا يفعلانه؟

- لعل هذا هو السبب .

قالت وأردفت بعد برهة من الصمت:

- أحضرت لك كل المعلومات التي طلبتها ولكنك لم تخبرني ما سر

اهتمامك المفاجئ بعائلة خالد؟

تهبة إبليس

- لدي حدس قوي وحسب

- بخصوص ماذا؟

تردد برهة ثم قال

- ريم.. أظن أن كل هذه الاشياء مرتبطة بها على نحو ما .. تعرفين أنها

ماتت بعد قضيتها ضد خالد مباشرة

ابتعلت غصة انتابتها إثر ذكر اسم ريم وقالت:

- لكن خالد أثبت بالفعل أنه بريء من التهمة

فرك ياسين جبهته قائلاً:

- لو أنه بريء تماماً.. لم كان هذا موقف آدم منه؟ شاهدتي بنفسك

ماحدث بعد موت ريم وكيف هاجمه في منزله وبين رجاله، آدم يعرف

شيئاً ولا يريد أن يخبرني به وموقفه من التحقيق في مقتل خالد يؤكد

لي ذلك

سيكون الجحيم قد تجسد له حقاً لو أن آدم كان متورطاً فيما حدث

لريم.

توبة إبليس

طالعه فرح في إشفاق وقالت:

- إذن ماذا تنوي أن تفعل؟

- أن أعرف المزيد.. أخبرتك أن لدي حدس قوي أن الامور مترابطة معا

لذا علي فقط أن أعرف كيف تترابط فعلا.. أفكر في التحدث إلى

فريدة بما أنني لا أستطيع الوصول إلى يوسف ولا خالد بالطبع ..

- لا يمكنني أن أقول أنها فكرة جيدة لكنها كل ما لديك في الوقت

الحاضر

صدق ياسين في شرود على قولها، قبل أن يودعها وينصرف تاركا لها

استنتاجا أوجعها، مازالت ريم هي كل ما يهمه حتى بعد أن ماتت.

تستند علي الحائط وتدفع بقدميها الثقيلتين لتعبر إلى داخل الحمام

وقفت أمام الحوض وفتحت الصنبور رفعت يديها المرتجفتين تستقبلان

الماء وتلقيان به علي وجهها .. طالعت صورتها في المرآة فأصابها

الفرع.. عيونها حمراء ووجهها الدائري النابض بالحياة قد اصفر ونحل،

أنفها الدقيق المستقيم محمر من أثر البكاء، شعرها الأسود مشعث ثائر .

كانت ليلة عصبية لم تستطع أن تغمض عينيها إلا والكوايس اللعينة تلاحقها، استدارت لتغادر دورة المياه، اتكأت على الحائط مرة أخرى فتراخي ساعدها المعتل وسقط إلى جوارها.. رفعت يدها الأخرى لتستند فشعرت أن الجدار يبعد ويختفي.. ضاقت أنفاسها وتسارع نبضها ثم قبل أن تدرك سقطت أرضا وارتطم رأسها بعتبة الباب الرخامية الحادة.. وبدأ جرحها الغائر ينزف !!

وصل إلى منزلها فوجد الحراس يجلسون على السلم يحتسون القهوة.. تجاوزهم وطرق الباب وانتظر أن يوقفه أحدهم لكن هذا لم يحدث.. حتى قال أحدهم بنبرة باهتة

- لدي المفتاح إذا كنت تريده يا آدم باشا؟

جحظت مقلته في ذهول، كيف يعرف هؤلاء الرجال شقيقه؟ وما العلاقة بينهم ليمنحوه المفتاح بهذه السهولة؟ التفت إليهم وتأملهم في تساؤل قبل أن يمد المتحدث يده بالمفتاح فالتقطه ياسين بعد تردد وأداره في القفل وفتح الباب ودخل..

كان السكون المطبق يخيم على كل شيء وبدا صوته الجمهوري المحترار الذي نادها كصرخة استغاثة تأتي من قاع جحيم فتكسر على أعتاب الصمت.. رآها ملقاة داخل الحمام على وجهها فوجب قلبه شفقة ورعبا وتقدم نحوها مناديا بهمس قلق:

- فريدة

ولا استجابة ولا حراك! عدل رأسها فرأى جرحا ينفر منه الدم، حملها بين ذراعيه وخرج سريعا وانتفض الحراس حين رأوه فهتف بهم:

- ليفتح أحدكم باب السيارة

بادر أحدهم وأسرع بفتح الباب الخلفي وضعها ياسين على الكرسي والتفت إلى الحراس بعد إغلاق الباب:

- مجموعة من الأغبياء.. لقد كادت تموت وحدها في الداخل

نكسوا رؤوسهم دون رد فاستقل السيارة وقادها باتجاه المشفى وذهنه يقفز بين أمرين لا ثالث لهما ماذا أصاب فريدة؟ ولم يعرف الحرس آدم؟ هاهو خيط آخر يتشابك مع الخيوط المعقدة بالفعل .

توبة إبليس

انصرف الطبيب بعد أن طمأنه علي حالتها، وقف بباب الغرفة حيث كانت فريدة تجلس علي السرير وقد رتبت شعرها الذي كان مشعثا قبل دقيقة، تبادلا نظرة طويلة متفحصة يرغب واحدهما لو يكتشف مايدور بخلد الآخر، دخل إلى الغرفة وسحب كرسيها وجلس بجانب السرير:

- ماذا حدث؟

سألت فقص عليها ياسين كيف وجدها وكيف نقلها إلى المشفى فقالت:

- يبدو أنني مدينة لك بالشكر

أجابها بابتسامة وحسب فاستطردت

- لكن ما الذي أتى بك إلى منزلي وكيف تركك رجال يوسف تدخل؟

أجابها:

- ظنوا أنني آدم!

ضيق عينها في تساؤل:

- آدم! وما علاقته بي لتركوه يدخل؟

- إنني من يجب أن أطرح هذا السؤال!

توبة إبليس

- ليس لدي أدنى فكرة

- إن المسألة تزداد تعقيدا كلما توغلت فيها أكثر.

قال كأنما يحدث نفسه ثم استطرد سائلا:

-إذن هل تعرفين من كان يطاردك في المشفى؟

أجابت في تحدي:

- لم أر سواك أنت وشقيقك وأنت من أخبرني هذه الحكاية التي لا

أعرف إن كان يجب أن أصدقها أم لا

- لو كانت حكاية لا تصدق، فلم ترك زوجك حراسة أمام المنزل؟

- لحمايتي؟

- بالضبط، أعتقد أنه يعرف أن هناك من يحاول الوصول إليك

شردت فريدة برهة تفكر، ثم قالت:

- قد يكونون ...

ثم بترت الجملة فجأة وقالت وهي تتفحص ياسين:

- لماذا علي أن أخبرك أي شيء؟ لا سبب يدعوني للثقة بك، أنا حتى لا أعرف إن كنت آدم أم ياسين.

ضحك ياسين قائلاً:

- أنت محقة، هذا يجعلنا متعادلين، فأنا أيضا لا أملك سببا للثقة بشقيقة رجل كخالد ولا زوجة رجل كيوسف .

وقف ياسين وتحرك في الغرفة وهو يتحدث قائلاً:

- جئت إلى منزلك لأنني أردت الإجابة عن سؤال فوجدت عند بابك ما زاد حيرتي وأسألتي، من قتل خالد؟ من ووط شقيقي في التحقيق في قضيته؟ من حاول إيدائك في المشفى؟ زوجة يوسف رمزي وشقيقة خالد درويش؟ من تكونين حقا؟ وما علاقة كل ما يحدث بك؟ أليس لهؤلاء الرجال الذين يطاردونك شيئا أفضل لفعله؟

ثم استدار لمواجهتها:

- إلا لو كنت أنتِ بنفسك مصدر خطر على أحدهم، أو رهينة لتهديد شخص آخر، أو لعلك تعرفين شيئا بخصوص ما حدث لخالد وهناك من لا يريدك أن تبوح به

- ومن تكون لتسأل هذه الأسئلة؟

- أنا شخص متورط في المسألة بقدرك أنت؟ شخص يفتش عن

إجابات

- لن تجد إجابات عندي، أنا لا أعرف من يطاردني وأريد أكثر منك

أن أعرف ما حدث لشقيقي؟

ابتسم ياسين:

- لتعاون إذا لإيجاد قاتله

- وماذا تستفيد أنت؟

- لدي سؤال يؤرقني.. أنا أدري بالفعل أن الوصول لقاتل خالد قد لا

يجيب عنه لكن حدسي يخبرني أنني سأجد في الطريق إجابات على

كل الأسئلة في رأسي

- إن ما تقوله لا يجعلني أثق بك أكثر

- أنوي خوض هذا الطريق ولو لم تساعدني.

قال بنبرة قاطعة والتفت قاصدا مغادرة الغرفة لكن باب الغرفة انفتح

بعنف قبل أن يصله وأطل من وراءه شخص ما.

ماقيمة قول كل هذه الأشياء الآن بعدما ماتت وانتهى الأمر؟ ماتت دون أن يعرف أنها عرفت ما عرفته، أنها كانت تنظر له نظرة المخدوع المفجوع وهو لا يدري، أن كل ابتساماتها في الشهور الأخيرة كانت تخفي كراهية وخوفاً، ماتت دون غضب أو عتاب، دون أن تخبره أنها غفرت له أو حتى أنها لم تغفر بل ذهبت وتركته معلقاً في نهاية السؤال للأبد، ماتت دون أن يعرف بأي صورة كانت تراه وهذه حقيقة كافية لإتعاسه وقتله كل يوم ألف مرة.

كانت محقة في كل كلمة، لكن الأوان فات كثيراً على أن تنقذه الكلمات ولا أن يكون حل مشكلته بقرار، منذ اختلط الدم والغضب وانصهرا داخل وجدانه وجاءت كلماتها هذه لتزيد الحريق اشتعالاً لم يعد هناك عودة، لن تكون لهذا الطريق نهاية إلا بالتححرر أو بالموت وعلى الأرجح بالموت إن لم يكن برصاصاتهم الغادرة وأيديهم الملوثة بالدم، إن لم يكن بسبب القيود الحامية التي تخنق روحه ولا بنظرة الاتهام في عين ياسين ، فلا بد أنه الموت بسبب الذنب العظيم الذي ارتكبه في حقها،

لا بد أن لعنة دمها المراق ستصيبه، لا بل ستصيبهم جميعا!

دق جرس الهاتف، أجاب آدم بتردد بعد أن رأى اسم الباشا:

- ما الذي تخطط له؟

جاء السؤال الغاضب مباغتاً فانتفض آدم مجيباً:

- ما الذي تعنيه؟

- لقد مرت ثلاثة أيام منذ طلبت منك إحضار فريدة وأنت تدعي أنك

تبحث عنها ولا تجدها، فهل لا تعرف حقا أين تكون؟

بُهِت آدم وازدرد لعابه في توتر بالغ حبسه سريعا وأجاب بنبرة قوية:

- إن كنت أعرف مكانها لأحضرتها لك فوراً.

- آدم.. لا تلعب معي، أنا لم أصدق قصتك السخيفة عن هربها من

المشفى سابقاً، ولن أصدق أنك لا تستطيع الوصول إليها

قال الباشا بغضب ثم أضاف بنبرة أكثر هدوء وقسوة

- لا تحاول خداعي، هذا ليس في مصلحتك وأنت تعرف ذلك

بالفعل.

توبة إبليس

- أنا..

قاطع الباشا بحدة:

- إياك أن تقول أي عذر أحقق، سيزيد هذا من موقفك سوء.. إن كنت تريد حقا أن تثبت لي أنك لا تخطط لشيء ما.. اذهب وأحضرها من المشفى الذي سأرسل لك عنوانه.

لم يستطع آدم كبح مفاجأته فهتف:

- وجدتها؟

- هل تظن حقا أنني في حاجة لك لإيجادها؟ أم هل اعتقدت أنك الرجل الوحيد الذي يبحث عنها؟ وجدوا اسمها في كشف مرضى الطوارئ منذ ساعتين.. أسرع وأحضرها لي قبل أن أرسل شخصا آخر ليفعل.

وأنهى الاتصال تاركا آدم في غمرة ذهوله، إنه اختبار حقيقي هذه المرة، الباشا يشك في تصرفاته ولو ترك شكه يزداد فإنه لن يهدأ حتى يكشف ما يخطط له آدم وحينها سيكون الثمن رأسه، بل إن الموت سيكون رحمة حقيقية مقارنة بالمصير الذي ينتظره لو عرف الباشا أي لعبة تحاك من

حوله.

نهض آدم وبدل ثيابه على عجل، التقط سلاحه وغادر المنزل سريعا، أهم شيء في هذه اللعبة هو الوقت... الثواني القليلة التي تعقب الضغط على الزناد واستقرار الرصاصة في صدر أحدهم أكثر بكثير من الثواني التي يتخذ فيها أحد أطراف اللعبة قرارا بالقتل.

قاد سيارته إلى المشفى والزمن يتسارع وينطوي تحت عجالاتها... عليه أن يصل قبل رجال الباشا، وإلا فالعواقب ستكون وخيمة.

تنبه للمكالمات الفائتة على هاتفه من معتر خلال الساعات الماضية والتي تجاهلها لفرط ضيقه فأجرى اتصالا هاتفيا سريعا به بينما قاد السيارة، وحين وصل كان رجال الباشا يتجمعون أمام الباب في نفس اللحظة، هرع نحوهم وألقى التحية في ثبات مصطنع وطلب منهم أن يتبعوه للداخل في هدوء، ساروا نحو الغرفة المقصودة، تقدم آدم المسير وأشهر مسدسه ودفع الباب بقدمه، لكن الغرفة كانت خالية.

وقف أمامهما في معطفه الأبيض، يضع على وجهه كمامة طبية أخفت

نصف وجهه، رمقه ياسين في توجس، أغلق الباب وراءه بعد أن دخل إلى الغرفة، تبادل الاثنان نظرات الترقب ثم قال ياسين بهدوء غير حقيقي:

– من أنت؟ وماذا تريد؟

رمى الملمث ياسين بنظرة ثابتة أصابته بالتوتر، ثم أشار لفريدة أن تقترب، فتحرك ياسين ليقف في المسافة بينهما، رمقه بغضب وتقدم نحوه فتأهب ياسين ، تقدم الملمث نحوهما فتقدم ياسين يسد الطريق، وللحظة ظن أن لهذا الرجل جبهة وعينان مألوفان تماما بالنسبة له، وجها رآه عدة مرات على الأقل، لو نزع الكمامة لأمكنه بالفعل التعرف على هويته واستولت عليه الفكرة ومد يده، لكن الملمث دفع يده والتحما في شجار، باللكمات والركلات طرحه ياسين أرضا ومد يده ليمسك كمامته لكن الملمث أمسك يده ودفعا ثم نفض ياسين من فوقه وركض إلى الخارج ، التفت ياسين إلى فريدة

– علينا أن نغادر حالا...

هزت رأسها وسارت معه إلى الخارج وهي تفكر أنه كان محقا، هناك من يلاحقها وهي على الأرجح تعرف من يكون.

كان معتر يحتسي كوبا من الشاي الساخن داخل سيارته المصفوفة أمام المشفى ويقاوم النعاس بصعوبة بالغة، منذ يومين وهو يتتبع سيارة ياسين في الأرجاء بأمر من آدم، ولم يلاحظ شيئا غريبا حتى مساء اليوم حيث اقتحم منزل فريدة وخرج بها محمولة على ذراعيه وفاقدة للوعي، حاول معتر أن يتصل بآدم عدة مرات لكنه تجاهل اتصالاته.

دق جرس الهاتف فالتقطه معتر سريعا وأجاب على آدم الذي أتى صوته مضطربا

- أين أنت؟

أخبره معتر بكل ما حدث فسأله آدم في لهفة إن كان أمام المشفى فأكد معتر أنه كذلك

- إذن أنصت جيدا، ادخل إلى غرفة فريدة وأخرجهما من المشفى حالا، رجال الباشا في الطريق وعليهما الهرب قبل وصولهم.

بهت معتر وسأل في عدم فهم:

- ولكن ألسنا نعمل لحساب الباشا؟ لماذا تساعدكما على الهرب؟

توبة إبليس

هتف ياسين

– نفذ دون أي سؤال

ارتاع معتز، وأغلق الهاتف وانطلق إلى داخل المشفى، كان يقطع الرواق باتجاه الغرفة حين رآهما يفتحان الباب ويغادران معا وعلى وجههما أمارات الفزع، اختفى داخل رواق جانبي حتى عبرا من أمامه ولحق بهما إلى الخارج مسرعا ليكمل مهمته.

٢

"ليس شرطا أن تشفي الحقيقة روحا مجروحة"

مسكيم غوركي

فجر اليوم الرابع - قصر خالد درويش بالقاهرة

وضع اللواء الملف أمامها فطالعه بلامبالاه، رفعت سوزان عينيها

المحمرتين إلى والدها قائلة بابتسامة ساخرة:

لا تقل لي أنك اندهشت.

احتقن وجه اللواء وقال غاضباً:

كنت تعرفين إذن!

وقفت وسارت مترنحة حتى وصلت إلى الطاولة وفتحت زجاجة المشروب

؛ فمألت كأسها مرة أخرى والتفتت إلى والدها قائلة:

هل توقعت حقاً أن الباشا سيترك لخالد قرشاً واحداً؟!

هتف في غيظ:

بالطبع لا، لكن لم أتوقع أيضاً أن يتنازل خالد له عن كل ثروته بهذه

السهولة.

انفجرت سوزان ضاحكة وهي تطالع وجه والدها الجاهل وجلست على

المقعد.. رفعت الكأس واحتسته دفعة واحدة ثم قالت والحروف بالكاد

توبة إبليس

تتجمع معها، لتشكل كلمات..

بهذه السهولة!، آه ياوالدي المسكين، أنت لا تعرف أي شيء حقًا.

سوزان!

صاح غاضبًا من استهزاءها به؛ فألقت بالكأس بين يديها حتى تحطم تماما

وقالت:

أسفة، لا تكثر لي.. تعرف أن أعصابي متعبة.

ثم قالت وهي تنظر له بتحدٍ:

أنا في نفس الوضع مثلك، خرجت بعد كل هذه السنوات خالية الوفاض،

لا أملك إلا سيارتي وبعض الجواهر الرخيصة.. وحتى القصر الذي نجلس

فيه الآن ليس لي وعليّ أن أغادره في الصباح.

ثم وقفت وسارت نحوه..

كما ترى لم أعد أستطيع أن أفيديك بشيء.

ثم أضافت بمرارة وهي تضحك:

هذا بالطبع حتى تنتهي فترة العدة ويكون بوسعي أن أتزوج ثريا آخر

توبة إبليس

يساعدك بماله.

وقف اللواء وناولها صفة عنيفة

لا بد أن الخمر قد لعبت برأسك.

وضعت يدها على وجنتها، ثم نظرت إليه بازدارء وغضب تلاشى سريعاً
وحل محله ضحك هستيري قبل أن تلتقط أنفاسها وهي تناوله وجنتها
الأخرى وتقول:

فلتناولني صفة أخرى، فلتفرغ كل الغضب في صدرك ياواليدي العزيز؛
حتى تخرج من هنا مرتاحاً تماماً وتستطيع أن تقول نعم للباشا.. حتى
تستطيع أن تنفذ كل أوامره.

واجهها اللواء بغضب

لماذا تتحدثين كأنني أجبرتك على الزواج من خالد أو التورط في
المنظمة، لقد كان اختيارك وفكرتك.

بالطبع، إنها خطيئتي أنا؛ لذا أنال عقاباً قاسياً بالنفي.

أجاب اللواء مفسراً:

توبة إبليس

ليس نفيًا، أخبرتك أن عليك السفر حتى تهدأ الأوضاع، لقد توسلت
الباشا كي يسمح لك بالمغادرة، لا أحد ينوي نفيك صدقيني.

بالطبع أنا أصدق أنك توسلت، لكن هل أنت حقًا تصدق أن الباشا تركني
أسافر بفضلك؟

قالت وهي تجلس على أحد الكراسي وأكملت ساخرة..

أنت لا تعرف أي شيء.

ما الذي لا أعرفه؟

أجاب بنفاد صبر؛ فردت وهي تغمض عينيها في تعب:

الحقيقة، كل ما يحدث في الغرف المغلقة التي لا تعرف حتى أنها
موجودة، العقاب الذي ينتظرنا، روح خالد التي لن تهدأ حتى تنتقم من
الجميع.

بدت له كلماتها كهلوسة محمومة، أغمضت عينيها وغفت وقرر هو
المغادرة، حالما تسافر سيطمئن قلبه ولو قليلا.

يدور ويكاد يقارب النهاية لكنه لا يصل، يدور ويكاد يلقي حتفه على حافة يأس ولكنه لا يصل.. يدور ويدور من وراء الفلك ولكن تيهه لا يجد نهاية وأسئلته موجهة إلى ظهره كالكساكين كلما قاومها انغrust بين ضلوعه وأجبرته علي الدوران من جديد.. حقاً إن الشرى الذي يوارى جسد الأموات لا يدفن إلا القليل وحسب بينما تتسلل بقية الأشياء وتهرع إلي الطرقات كالأشباح وتخلق فوضاها العارمة وجعاً وبكاءً وأغازاً بلا نهاية.. مات خالد ومن قبله ريم، وخلفا وراءهما إرثاً ثقيلاً من الأسئلة، وجد نفسه مضطراً لملاحقته حتى لو لم يرغب في ذلك..

يقود سيارة سوداء يتلعبها فضاء واسع معتم خبا فيه ضوء النجوم فبدت صفحة السماء خالية كئيبه، والطريق الطويل لا تبدو له نهاية كأنما يقوده إلى حافة الكون، هل هو يفعل الشيء الصائب؟

مالذي سيجنه بملاحقته لأسئلة لا تفتأ أن تزداد؟

ماذا لو أن الحقيقة التي تنتظره مروعة أكثر مما اعتقد؟

الحقائق القليلة التي اكتشفها لا تنذر بخير، فهل يقدر على المواصلة؟،

وهل تصمد نفسه لحظة ينكشف النقاب عن وجه الحقيقة؟!!

لاحظت منه التفاتة إلى فريدة الجالسة في المقعد المجاور، كانت تقبض بيدها على قلادة فضية حول جيدها على شكل مفتاح باضطراب آثار فضوله، كاد يسأل لكنها نظرت نحوه في حنق، كان قد أخبرها بكل الحقيقة عن المكالمة التي أتت لشقيقه، لكنه شعر أن لا طائل من الاستمرار في خداعها لحفظ ماء وجه آدم، فالواضح أن من يلاحق فريدة لديه جيش ممن هم مثل شقيقه رهن إشارته، وأن فريدة في خطر حقيقي أكثر مما اعتقد.

يبدو أنه لن يهدأ حتى يصل لي.

قالت في شرود فسألها ياسين:

- هل تعرفين من يكون؟

- لا يمكن إلا أن يكون داوود الباشا.

كانت المرة الأولى التي يسمع فيها ياسين الاسم؛ فسأل فريدة عنه؛ فأجابته موضحة:

- هو الشريك الغير معلن ليوסף وخالد، حقيقة الأمر أنه يملك كل شيء وهما يعملان لصالحه.

إذن هذا هو الشخص الذي كان يحميهما، هذا هو الاسم الذي لم تكتشفه فرح.

تذكرت فريدة الأوراق التي رأتها في مكتب خالد قبل أشهر: عقود وهمية وصكوك شراء وبيع بأسماء أشخاص نافذين في الدولة، حسابات بنكية بأرقام مثيرة للشك تم تحويلها من وإلى حساب خالد ويوسف مرات عدة على مدار الأعوام الماضية، كانت أول مرة ترى اسم داوود الباشا مدرجا كوسيط في معظم عمليات التحويل، حتى أنها لاحظت تزامنا دقيقا في تحويل الأموال لحسابه مع تحويلها لحساب خالد ويوسف، وعرفت حينها أن هذا هو الرجل الذي يحرك اللعبة الحقيقية.

قال ياسين مفكراً:

– إذن الباشا هو من طلب من آدم اختطافك!

– أظن ذلك.

آدم وخالد ويوسف يعملون لحساب نفس الرجل!، كانت الفكرة مدوخة للغاية، ريم من جهة ترفع قضية ضد خالد وشركائه، وآدم من جهة أخرى يعمل معهم، هل كانت تعرف؟، هل لهذا قُلت؟.. لهذا السبب يشعر

آدم بالذنب؟، ولذا تعرف رجال يوسف عليه!

- إلى أين تتجه الآن؟

سألته فريدة فالتفت لها..

- لا أدري، أنتِ أخبريني إلى أين يجب أن نذهب.

تفحصته بتردد، ثم قالت:

لا أستطيع أن أثق بك، خاصةً بعد ما قلته عن شقيقك، ولا أفهم مالذي

يهمك في معرفة من قتل خالد!

أخبرتكَ أن لدي أسئلة تحتاج لإجابة، شقيقي متورط في المسألة بشكل

ما وعلِّي أن أعرف ما الذي يجري معه، هو مضطر لتنفيذ أوامر الباشا إن

كان هو من يلاحقك حقًا، وإن لم يكن فلا بد أن يكون القاتل هو من

يتبعك وهو من تحدث إلى شقيقي.

لهذا تريد أن تعرف القاتل؟

أجل، لابد أن القاتل هو من يهدد آدم أو شخص قريب منه.

عادت فريدة للصمت مرة أخرى تزن كلمات ياسين في عقلها، إنه مثلها

عالق في هذه المسألة بسبب شقيقه، ربما يكون صادقاً حقاً في مساعدته لها، وعلى أية حال لم يعد هناك من تثق به، وبما أنه ساعدها على الهروب مرتين بالفعل؛ فإن البقاء معه يبدو تصرفاً عقلياً في هذا الوضع اللا عقلائي.

إذن اتجه إلى قصر خالد بالقاهرة سأعطيك العنوان..

ابتسم ياسين، إذن قررت أن تثق به..

فكر ثم سأله:

حسناً، ولكن لماذا تريد أن نبدأ من هناك؟

أريد أن ألتقي بسوزان زوجة خالد، أثق أنها تعرف شيئاً عن الأمر.. إن لم تكن هي من فعلها.

بهت ياسين وسأل:

أيعقل؟

أنت لا تعرف شيئاً، سوزان لا يهمها إلا أموال شقيقي وقد تقتل من أجلها، هي ابنة اللواء سالم وهو بنفسه المسئول عن القضية، ولو أن

أحدًا اختار شقيقك للمهمة فلا بد أنه هو.

فكر ياسين لبرهة..

هذا منطقي، فهو بالفعل رئيس آدم في العمل.

قاد ياسين السيارة حتى وصلا إلى قصر خالد وكان محاطًا بعدد من رجال الأمن.

– هل ندخل؟

سأل ففتحت باب السيارة وهمت بالمغادرة بعد أن قالت:

– سأحدث معها أولًا.

وقفت أمام الخزنة تنظر إلى الأوراق التي اجتهدت في جمعها أثناء وجودها مع خالد، كانت قيمة هذه الأوراق لتساوي ثروة في حياته لكنها الآن لا تساوي شيئًا، كل ورقة وكل صورة كانت صك حماية مما يمكن لخالد أن يفعله بها ساعة يقرر الخلاص منها في أحد الأيام، أي حياة تلك التي عاشتها معه وقد كانت تفكر عند رأس كل ساعة إن كانت

ستبقى على قيد الحياة أم أن رصاصة ستخترق جسدها قبل أن تتم العقارب دورتها.

أغلقت الخزانة ووقفت مكانها هنيهة تتكأ على الخزانة، أصابها دوار واعتراها لهاث شديد.. شحذت همتها وانتصبت وألقت نظرة هائمة على كل شيء ثم غادرت الغرفة تجر حقيبتها، هبطت الدرج باتجاه الطابق السفلي تزحف عيونها على الجدران في اضطراب لا تفهمه، ضحكت ساخرة من نفسها.. هل جنت لتشتاق إلى هذا المكان؟!!

هل حقا تجد صعوبة في مغادرته؟، لو سمع خالد شيئاً كهذا لضحك منها حتى بكى، تسمرت فجأة في مكانها على بعد درجات من الوصول للأسفل حين رأت فريدة تقف في منتصف البهو ترنو إليها بغضب وحقن شديد.

تنهدت سوزان وأكملت سيرها نحو الأسفل، أفلتت الحقيبة وعقدت ذراعيها أمام صدرها، وقفت أمام فريدة التي تفحصت بدهشة فستانها الأسود القصير الذي يحتضن مفاتها بحميمية وشعرها الأصفر المسدل على كتفيها و مساحيق التجميل التي تشكل ملامحها.. تلك المرأة هل تعجز حتى عن ادعاء الحداد بطريقة صحيحة؟!!

توبة إبليس

- أهلا يا فريدة.

سألت فأجابتها بنزق وهي ترمق الحقيبة..

- هل تغادرين إلى مكان ما؟

- إلى مكان لن أرى فيه أي وجه أعرفه.

ضحكت فريدة قائلة:

- وهل يوجد مكان كهذا؟.. أليس لسوزان هانم صديق واحد على الأقل في كل بلد.

- وهل يبقى للمرء أصدقاء بعد أن تحل عليه لعنة شقيقك؟، ألا تعرفين بالفعل أن التواجد معه كان يعني أنني أعادي العالم كله.

- صار الآن لعنة بعدما مات وورثته؟

رفعت حاجبها في دهشة

- وورثته؟، ألم تصلك الأخبار بعد، مات شقيقك دون أن يترك قرشاً واحداً.

طالعتها فريدة في دهشة

توبة إبليس

- لمن ترك ماله إذن؟

- الباشا بالطبع.

ابتسمت فريدة

خسارة، لم تنالي شيئاً وقد تزوجته تحديداً لهذا السبب.

أسبلت أجفانها وتنهدت ثم قالت في حنق:

- وشقيقك تزوجني لأجل السلطة، لا تتحدثي كأني المتهمة الوحيدة

هنا، العيش معه كان جحيماً حقيقياً ولكنني احتملته.

قاطعتها فريدة..

لأجل المال.

بلى.. وها هو قد مات دون أن يترك شيئاً

هتفت بها..

- لهذا قتلته؟

- هل جنت؟، ربما أردت قتله ألف مرة لكنني لم أفعل، لم يكن يستحق

أن أهدر ما تبقى من حياتي في السجن ثمناً للتخلص منه.

توبة إبليس

- من فعلها إذن؟

- هذا ليس مهمًا على الإطلاق، إن نجا شقيقك في الثلاثة أشهر الماضية تعد معجزة حقيقية، كانوا يخططون لقتله كل ليلة لكنه بطريقة ما كان ينجو، شقيقك لديه آلاف الأعداء جميعهم على استعداد تام لإنهاء حياته متى واتتهم الفرصة.

- ليس لدي شك أنك تعرفين القاتل، أعلم علم اليقين أنك ووالدك تساعدانه على التخفي والاختباء.

- حقًا؟.. تعالي معي.

أمسكت ذراعها وسحبها معها على الدرج باتجاه غرفتها، تلك الأوراق ربما سيكون لها قيمة حقيقية الآن.

فتحت سوزان الخزانة وأخرجت منها الأوراق وألقتهم علي الفراش..

- فلتشاهدي بنفسك ما كان يفعله وجربي حساب عدد الأشخاص الذين قد يرغبون في رؤيته ميتًا مطعونًا ألف طعنة.

اتجهت نحو حقيبتها واستخرجت دفتر مذكراته وناولتها إياه..

- وهذه مذكراته، اقرأيها.. فتشي فيها عن أي دليل ولن تجدي، دعي شقيقك يخبرك بنفسه عن وجهه الحقيقي، لأنك لن تصدقي إلا أنني كنت السبب في تدمير حياته، اقرأي ودعيه يخبرك من منا قاد الآخر للهلاك.

قلبت فريدة المذكرات في يدها ونظرت إلى سوزان التي استطردت..

- لا بد لي من المغادرة حتى الحق بالطائرة، هذا كل ما لدي من أدلة وأوراق قد تساعدك، ولكنني أنصحك ألا تتعبي نفسك في البحث.

همت بالمغادرة لكن فريدة قبضت على ذراعها قائلة:

- لن تذهبي حتى تخبريني بما حدث، من قتله؟، ولماذا؟!

وماذا كان يفعل في الإسكندرية تلك الليلة؟

- أنا لا أعرف شيئاً، أنا وخالد تشاجرنا قبل أسبوع وكنتم في منزل أبي ليلة الحادثة ولا أعرف ما الذي كان يجري معه، لست القاتل ولا يمكنني أن أحمن قاتله، لا يمكنني مساعدتك حقاً.

نظرت لها فريدة في عجز، أيقنت أن المرأة لن تخبرها بشيء وأنها ستصر على إنكارها لأي شيء يورطها فيما حدث لخالد.. تركت يدها وضمت

المذكرات إلى صدرها وهي ترمق الأوراق التي بعثرتها سوزان على السرير.
غادرت سوزان الغرفة بعد أن ربتت على كتفها في شفقة، كان السائق قد
وصل وحمل الحقيبة وسبقها إلى السيارة المصفوفة خارج أسوار القصر،
عبرت سوزان البوابة وأخبرها السائق أنه مستعد للتحرك حين استوقفها
ياسين الذي وقف متكئاً على سيارته يضع يديه في جيبي بنطاله، نزعت
نظارة الشمس التي ارتدتها قبل لحظة ورنّت إليه بنظرة أربكته وجعلته
يعتدل في وقفته، ثم ارتدت سوزان نظارتها مرة أخرى واستقلت السيارة
فسار ياسين نحو القصر ودخل، نادى فريدة لكنه لم يحصل على إجابة
؛صعد السلم ونظر إلى صف الغرف في الدور العلوي تائهاً لبرهة حتى
تناهى لأذنيه صوت بكاء محموم؛ فعرف إلى أين يتجه بالضبط.

فتحت فريدة دفتر المذكرات وكانت هناك ورقة مطوية الطرف فبدأت
القراءة بها..

" آمنت أنني أعيش حياة مؤقتة وأن كل ما هو ملكي ليس ملكي.. وكأن
كل شيء أعيشه يحدث لشخص آخر غيري، آمنت في أعماقي أن شيئاً

كبيرًا كان في انتظاري وأن حياتي التي أعرف ستتبدل يومًا ما.

لم أكن يومًا أشعر بالرضا عن أي شيء، كنت ساخطًا غاضبًا، في الأوقات السعيدة ظل شيء ما يقيد ضحكاتي، تقبض يد بطشاء على صدري، لم تعبر السعادة يومًا مسام جلدي، بل ظلت عالقة على شفتي.. باردة وحسب.

كنت أحوم كعصفور تائه يكتم نواحه داخل صدره، رغما عنه ليبقي من حوله سعداء.. كنت أحملق بوجه فريدة الضاحك وأرى نظرات يوسف العاشقة فلا أملك إلا أن أحسدهما وأتخذ منهما ركنًا قصيًا، ألوك وجعي بين أضراسي، أحایل غصتي بلا فائدة.

عم كنت أبحث..؟

عن كل شيء يقيني آمنًا سعيدًا مسيطرًا..

هل كنت سأتردد لو وجدته يومًا ولو لثانية واحدة

مهما كان كنهه؟، مهما كان..

تلك الجمل الثلاث أرددها دومًا لأكون على أهبة الاستعداد، وفي اللحظة التي أجد فيها ضالتي سأسلك الطريق الذي يظهر لي ولو كان

نهايته الهلاك.. إلى هذا الحد كنت مستعدًا أتحرق شوقًا لفرصة نجاة صغيرة، ويوم تمثلت لي الفرصة أخذتها بكلتي يدي دون أن أجفل أو أفكر.. إلى هذا الحد كنت جاهزًا لأسلك الطريق، فبأي حق ألوم الآخرين وأنا الذي توصلت الله لفرصة مثلها، ولم أدر أن الشر أحيانًا يكمن في الأماني البريئة.

انهالت الدموع تجر وراءها حزنًا يكبر في الصدر كالورم الخبيث، التفتت إلى الأوراق فلفت انتباهها ظرف أصفر؛ فتحته ووجدت فيه صورًا لرجل تلقى رصاصة في الصدر ومعه ملاحظة صغيرة.

" أنهيت الأمر كما أمرت ياخالد باشا. "

أخذتها رعدة فألقت به بعيدًا، ليس ثمة شيء كالقهر العظيم الذي يغتال أرواحنا بغتة، خارت قواها وافترشت الأرض مأخوذة بلوعتها تطحنها الصدمة بين نواجذها.. أواه حين تفجعنا الحقيقة، حين نماطل ونهرب وإذ بها تصفع وجوهنا دون رحمة، لا فرار من حقيقة خالد، لا فرار من شياطينه التي سكنته، لا فرار من الخطايا التي اقترفت بها يده.. لا فرار من الوجع، ولا فرار من حيرة ونار تكوي القلب الغض الذي مازال رغم فظاعة ما يعرفه عن حقيقته يحبه حبا فطريًا لا يعرف زوال، يهتم له اهتمامًا عاجزًا

لم يقدر على تخليصه من وحل الذنوب، ولا استطاع إنقاذه من براثن الموت، ولا هو بإمكانه الآن أن يحول بينه وبين حساب عسير ينتظره، ولا أن ينجيه من الجحيم..

فتح ياسين الباب فوجدها على هيئتها تلك والصورة ملقاة عند قدميها، أخبرته في خضم البكاء الذي بدد أنفاسها عما رآته.

استمع إليها ولم يملك شيئاً لقوله، وقف يطالع الأوراق التي ألقها سوزان على السرير..

هل كان بإمكان الحقيقة أن تأتي في صورة أبشع؟

على مسافات متقاربة استقرت مجموعات من الصور لعدد من القتلى تم إرسالها إلى خالد كل واحدة في مظروف خاص ومعها نفس الملاحظة القاسية، واحدٌ منهم لفت انتباه ياسين بشكل خاص، كان العامل الذي رفعت ريم القضية بسببه ضد خالد، كان خالد وحشاً وشيطاناً حقيقياً، لم يكتفِ بإدارة شركة ضخمة لغسيل أموال القتلة واللصوص ولكنه وكما تقول الصور والأوراق الأخرى كان يشارك في عمليات تهريب ضخمة للسلاح والمخدرات.

وجد ياسين أيضاً عقدي تنازل عن الأملاك.. واحد باسم داوود الباشا مؤرخ يوم وفاة خالد، وآخر باسم يوسف رمزي مؤرخ قبلها بأسبوع، نظر إلى فريدة التي مازالت علي وضعها الأول وقد تحجر الدمع في مقلتيها وحل خرس تام علي كل صوت كان يتردد في داخلها.. انتحر الضجيج وشحت الأفكار وخفت النبض وتعال يد الصمت فوق كل شيء، تعرف أن خالد كان يقترب الكثير من الأشياء السيئة لكن هذا الذي تراه ليس بفعل إنسان حتى.

تقدم ياسين وجلس على الأرض بجانبها وقرب العقدين منها قائلاً:

- فريدة.. هل تعرفين ما هذا!؟

لاحظته بطرف باكي ثم هبطت بعينيها إلى العقدين وتناولتهما وهي تقرأ في دهشة..

- ما هذا؟، أخبرني سوزان عن إعادته لكل أمواله للباشا، لكن ما خطب العقد الخاص بيوسف!؟

تبادلا نظرة متوجسة ومسحت فريدة دموعها بظهر كفها وقالت:

- فلنتصل بالمحامي، لا بد أنه يعرف شيئاً.

شقة يوسف ..

صاحف يوسف الصحفية بود قائلاً:

- نادين، لست في حاجة لإخبارك عن ضرورة الحفاظ على سرية المقال حتى موعد نشره.

- لا تقلق.

شد على يدها قائلاً بنبرة مضطربة.

- لا بد أن أقلق، لو تسرب خبر المقالة قبل موعد نشرها تعرفين بالفعل المصير الذي سينتظرنى حينها.

طمأنته المرأة بابتسامة وديعة، ثم ودعته منصرفاً وشيعها هو بقلب وجل وفكر هائج، عاد إلى داخل الشقة بعدما أوصد الباب، وقف أمام التقويم يتطلع إلى التاريخ، اليوم الرابع منذ وفاة خالد، ويتبقى حسب الاتفاق أربعة أيام أخرى.. الله وحده يعلم كيف ستمر وبأي صورة وحياة من ستأخذ في نهايتها، كل ما يعرفه أن أول انفجار حقيقي سيحدث غداً.

سار إلى غرفته ونزع قميصه وبحث عن آخر، ثم وقف أمام المرآة يغلق أزراره ويعدل هندامه.. حين وقع بصره على أثر لجرح قديم في جانبه الأيسر فتهدل كتفاه في إحباط، وعادت فريدة تعيث بأفكاره مرة أخرى.

ارتدى بجسده على السرير مُطلقاً ذراعيه إلى جواره وأغلق عيونه المسكونة بالدموع.. ويل للذكريات تختبأ في ثقب القلب لتخرج فجأة تلدغه وتطلق سمومها في شرايينه.. لماذا تتربص به صورتها حتى في ندوبه الغائرة؟!، إن آنس عيونه نومًا كانت هناك، وإذا سبق طيفها النوم فمصير ليلته أرق طويل، هي الضوء المخملي الذي يلوح في السماء في ليلة وهي العتمة القاتلة في الليلة التالية..

وضع يده على جرحه وحلقت به الذكرى إلى صباح زفافهما قبل خمس سنوات، كان بيدل ثيابه حين سمع صوت شهقتها الفزعة؛ فالتفت، كانت عيونها تتفحص الندوب التي تشق طريقها في ظهره العاري، التقط قميصًا ليرتديه بيد اعترتها رجفة ووجه اعتلاه شحوب، لكنها كانت تقف أمامه بالفعل تمسك بيده وتستجوبه بعين حيرى مشفقة، أشاح بصره ونزع يده من يدها وحاول ارتداء القميص، تحسست أناملها الباردة الندبة في جانبه فسرت في جسده انتفاضة عنيفة تراجع على إثرها.

توبة إبليس

خرج صوتها متهدجًا تخنقه الدموع..

- يوسف، ما هذا؟

لقد ظل آخر أسبوع قبل زفافهما لا تذوق عيناها غمضًا، يفكر بما يخبرها به حين يحدث هذا الموقف، ولكن ها هو يقف أمامها ضائعًا مشتتًا تخونه الحروف.

استجمع شتات نفسه واقترب منها، أجلى حنجرتة وقال:

- لنجلس يافريدة ونتحدث.

جلسا على طرف الفراش، أغمض عينية واجتلب نفسًا عميقًا وبدأ يقص عليها كل شيء من البداية.. قبل دهر طويل حين نشأ في منزل في أطراف المدينة لأب محتال يقتات على بيع الأحلام الزائفة للأبرياء وأم مريضة بالضعف وقلة الحيلة كان حضورها في حياته باهتًا للغاية، حتى أنه لا يذكر شكلها.

توجب عليه منذ الوهلة الأولى أن يعتني بنفسه وحسب أن يستبسل ليعيش في منخب العقارب الذي عاش فيه، فكان المكان وكراً لتجار المخدرات وبنات الهوى، ولا بد أن والده ظن طفولته لم تكن صعبة بما

يكفي ؛فنكل به وأذاقه عذابًا لا يمكن احتمالته، كانت له تلك العصا الغليظة التي مزقت جسد يوسف مرارًا وتكرارًا وربما بلا سبب حقيقي أحيانًا وكأنه طقس عذاب جُبل على ممارسته ليس إلا، وفي ذلك اليوم البعيد كان والده قد تحصل على مبلغ مالي ضخم بعد أن احتال على عجوز تقطن بمفردها وقيل أنها قُتلت بعدما سرق منها المال.. كان الطفل يعبت بأغراض والده بحثًا عن ألعابه حين وجد صندوقًا يحوي المال وبعض من حُلي المرأة فأعجبتة واحدة وأخذها.. كان يلعب بها مع الأولاد حين رآها واحد من الجيران واسترعت انتباهه ؛فسأل يوسف عنها وأخبره الطفل أنها لوالده.

لم تمض سويغات حتى كانت الشرطة في الشارع تبحث عن والده، فقد استغل الجار الفرصة للخلاص من عدوه اللدود ومنافسه في المهنة.. لم تجد الشرطة والد يوسف وانصرفت وحين دقت الساعة الثانية عشر، استيقظ يوسف من نومه فزعًا حين هوت على جسده ضربة اهتاجت لها كل حواسه، وجد والده يقف أمامه صارخًا وقد اكتشف أن قطعة الحلبي التي سرقها الطفل كانت سببًا في الوشاية به.

اه من تلك الليلة وما رأى فيها يوسف من ألوان العذاب الذي لا

يحتمل.. لم يستعمل والده عصاه تلك الليلة بل سلسلة حديدية ضخمة تكوي _ كالنيران _ جسده، وحين اكتفى شد وثاقه عاريا إلى ساق الفراش ووقفت أمه في ركن قصي ترأقب، انصرف في الصباح؛ فهرعت إلى طفلها و حلت وثاقه وناولته ثيابه قائلة بنبرة باردة:

- اهرب.

ولم يحتاج يوسف منها أن تكرر كلمتها فخرج يجوب الشوارع تنزف جراحه حتى اهتدى إلى وكر قضى فيه ليلته، وعاش بعدها لسته أشهر في العراء وحيداً حتى وجدته امرأة أشفت عليه؛ فألحقته بدار الأيتام الذي تتردد عليه، كان ذلك حيث التقى خالد.. وكان باب جحيم يؤدي لآخر.

كان خالد مشهوراً في الملجأ بمشاكله التي تتكرر كل يوم حتى أن مشرفي الملجأ خصصوا له بقعة في المخزن يقضي فيها فترة عقوبته، ولفرط ماحدث هذا كانت تسمى باسمه.

لم يحاول يوسف أن يتقرب منه وحاول أن ينعم بالهدوء الذي وجده في الملجأ ولو قليلاً.. بعد فترة تبدل مدير الملجأ الطيب وجاء بدلاً عنه رجل لا يستقر في قلبه لون من ألوان الرحمة أو الإنسانية، وتحول المكان

إلى ساحة عراق يومية وتم إهمال الأولاد كلياً.

وفي إحدى الليالي تسلل خالد إلى غرفة المدير ينتوي سرقة بعض الأموال ليشتري شيئاً يسد جوعه بعدما قلص الرجل عدد الوجبات، رآه يوسف فتبعه فضولاً، ولم يدر أي منهما أن المدير كان غافياً في المكتب واستيقظ على إثر الحركة التي أصدرها خالد؛ فأوقد المصباح ووقف أمام خالد يواجهه بمدية كان يخبئها في جيبه.. اشتبك الاثنان في عراق وكاد الرجل يفتك بخالد الذي لم يكن قد بلغ خمسة عشر عاماً آن ذاك لولا يد يوسف التي اشتبكت بالعراق؛ تدافع عنه.. اختلطت الأجساد واحتدمت المعركة حتى استقرت المدية بجانب يوسف فسقط أرضاً ينزف، وهرب المدير هلعاً بينما وقف خالد مذهولاً لبرهة تعبت به الصدمة، ثم استفاق وهرع لجلب المساعدة وكانت تلك بداية صداقتهما.

كانت فريدة تنصت للحكاية وسيل دموعها متصللاً لا ينقطع.. أمسك يوسف بيدها قائلاً:

ثم أرسلك الله لي ليعوضني عن الماضي المسكون بالخوف والقهر والحرمان.

انتابتها وعكة بكاء شديدة وقالت وسط دموعها..

- لم أتخيل يوماً أن كل هذا حدث معكما في الملجأ حيث نشأت، لم أواجه مواقف مخيفة بهذا الشكل وظننت أنكما مثلي.. لكن يا إلهي، انظر إليك!

أحاطها بذراعه قائلاً بابتسامة:

- لننسى يافريدة، لنضع هذا كله وراء ظهورنا، نحن الآن معاً وأنا لست ساخطاً، ما حدث كان لا بد له أن يحدث ولم نكن لنفر منه أبداً.

طوقته بذراعيها تحاول أن تخمد بقربه وجعاً يستعر في الفؤاد.

أفاق يوسف من شروده وقد شقت الدموع طريقها على وجهه.. لقد كانت فريدة عوض الله له بعد كل ما حدث، لكنه فقدتها بغبائه وتهوره، لعله يستحق أن يكون سليل الرجل المحتال الذي لازال في السجن يقضي حكماً بالمؤبد، والمرأة التي تقطن الآن في عنبر بمستشفى الأمراض النفسية.

نهض وبدل ثيابه وغادر المنزل في طريقه إلى مكتب الباشا حيث جلس

ينتظره في حجرة واسعة خافتة الأضواء وبها مكتب خشبي فاخر خالي من أي شيء إلا مطفأة السجائر، خلفه كرسي خشبي من نفس اللون، مقبضيه على هيئة رأس أسد.. وعلى الحائط في الخلفية عُلق لوحة تراجيدية داكنة الألوان تجسد مشهداً ساكناً لإنسان عالق في متاهة يظن أنه وصل إلى نهاية الطريق ولكن شيطاناً اختبأ بعد المخرج بخطوات في انتظاره، كانت تلك الصورة تبعث في نفس يوسف وحشة وتثير غيانه حتى علي الرغم من أنه رآها مئات المرات، لكنه لا يدري لما يحتفظ الباشا بشيء مثير للفرع كهذا في مكتبه.

دخل إلى الغرفة وألقى التحية على يوسف الذي جلس على أريكة جلدية مريحة استقرت في وجه اللوحة مباشرة، كان طويلاً عريض المنكبين، عيونه زرقاء فاتحة تنذر بشر، وبشرته بيضاء صافية وقد حلق شعر رأسه الأصلع ونمت له لحية خفيفة، كان له جسد شاب وهو في الأربعين، وفي مقلتيه ريعان طفولة تجعله يجذب من لا يعرف الحقيقة وراء وجهه الوسيم.

جلس على كرسيه خلف المكتب وقال بنبرته الهادئة التي تثير النفس:

— عوداً أحمد يارفيق.

اغضب يوسف ابتسامة باهتة فأكمل الباشا..

– حان الوقت لنشغل بأعمالنا، ألا توافقني؟

– مضت أربعة أيام بالكاد على وفاة خالد، أليس من الخطورة التحرك
الآن؟

نظر له باستخفاف..

– يا لقلبك الضعيف يا رجل!

شبك يوسف أصابعه وكتف غضبه؛ فقال الباشا وهو يستخرج من أحد
الأدراج علبة السجائر الخاصة به منشغلاً بإشعال واحدة بينما يتحدث..

كل شيء معد، ورجلنا سينتظر في روما مساء الغد، لا يمكننا أن نتأخر
في دفع المال فالشحنة ستصل إلى الميناء فجر اليوم، أنت تعرف ما
عليك فعله أليس كذلك؟

هز يوسف رأسه ثم قال:

أية أوامر أخرى؟

حدجه الباشا بلا مبالاة ثم سأل:

هل تعرف أين بوسعي أن أجد زوجتك؟

نظر له يوسف بذهول، لم يتوقع أن تبلغ به الوقاحة أن يسأله عنها..

لا أعرف.

أجاب يوسف وهو يفرك يديه في عصبية مكتومة.

ألا تريد أن تعرف لِمَ أسأل عنها؟

لا بد أن لديك سبباً وجيهاً.

تراشق الاثنان بالنظرات الصامتة لعدة ثوان قبل أن يقطع الباشا الصمت

وهو ينهض عن كرسيه ويسير في أرجاء الغرفة.

ستخبرني إن عرفت مكانها، أليس كذلك؟

هل يجدر بي أن أمنحك إجابة كاذبة؟

قال يوسف في تحدٍ؛ فابتسم الباشا، والتفت له.

بل أفضل أن تكون صريحاً، تعرف أنني أفضل اللعب بالأوراق المكشوفة.

إذن فالإجابة لا بالتأكيد.

أجاب يوسف بنبرة قاطعة، قال الباشا مبتسماً:

دعني إذن أسألك سؤالاً آخر، ألم يخبرك خالد أي شيء قبل أن يموت؟
يُقتل.

قال يوسف مصححاً، فتغير لون الباشا وضحك ضحكة ساخرة قصيرة،
ثم قال بنبرة جادة:

غادر، وانتظر ماهر بالأسفل، سيعطيك كل ما تحتاجه.
حسناً.

نهض يوسف وغادر المكتب تتبعه عيون الباشا بتحفظ خفي.. مجموعة
الحمقى هذه لا بد من تهذيبها يوماً، فقط بعد أن يفرغ من فريدة وينال
مراده منها سيكون يوسف هو التالي.

جلس يوسف في سيارته المصفوفة أمام المكتب في انتظار ماهر يقلب
بصره في الطريق المعتم وقد اغتم قلبه وخامره ضيق وكأن الحياة برمتها
قد أعرضت عنه وتركته على قارعة الطريق يتقلب على صفيحة حامية كل
جوانبها تكوي، لم يكن من المفترض أن تصل الأمور به إلى هذا الحد،
قبل النهاية بزمن وجب عليه أن يتوقف وأن يراجع أفعاله المشينة، وجب

عليه حين رأى مصيره المهلك أن يحيد عن الطريق فلم إذن ظل يتصرف وكأنه لا يرى الحقيقة؟، لم ترك خالد وسواه يقبضون على عنقه كأنه مسلوب الإرادة؟!!

اقترب رجل فارغ الطول من السيارة يرتدي بذة باللون الأزرق الداكن، عيون غاضبة متحفزة دومًا، وقد استطالت لحيته وخط الشيب شعره الأسود قليلاً، مال متكئاً على النافذة يتحدث إلى يوسف عبرها..

– هذا كل ما ستحتاجه، أعددت كل شيء، سافر ولا تخاف.

ثم ناوله مظروفًا وأردف:

– بعد أن تنهي لقاءك مع رجل الباشا سيكون رجلنا في انتظارك، ستوصل له المال عبر أحد رجالنا في خدمة الغرف، سيجدك هو ويعرفك بنفسه.

ألقى يوسف نظرة إلى الطريق ثم إلى المرأة ليلمح سيارة رجال الباشا التي تتبعته منذ سفرته للإسكندرية وقال:

– عظيم، ولكنني في حاجة لخدمة أخرى.

طالعه الرجل بابتسامة طيبة لا تناسب ملامحه القاسية ؛ فأكمل:

- لا بد أن أرى فريدة، ولا بد أن أفهم لمَ يريد لها الباشا.

هز الرجل رأسه متفهمًا وأخرج ورقة وناولها إياها.

- اتجهت هي وياسين إلى هذا الفندق بعد مغادرة منزل خالد، الباشا أمر

رجاله بنشر صورها وأظن أنهم سيصلون لها خلال عدة ساعات.

فرك يوسف جبهته في توتر بالغ وقال:

- وكيف سنتصرف؟

- دع الأمر لي، تحدث إليها وإن أخبرتك شيئًا تحدث إليّ وأبلغني، ثم

اتجه لتستقل طائرتك.. لا بد أن يشعر الباشا أننا مازلنا طوع أمره وأنه

مازال يسيطر على الأمور، أما عن فريدة فأنا أعرف كيف أحميها منهم.

طالعه يوسف بامتنان..

- شكرًا لك يا صديقي.

وأدار سيارته وتحرك في اللحظة التي توجه فيها الرجل إلى السيارة التي

تبعه وأشار إلى السائق؛ فتوقف.. أشار إلى الرجال فترجلوا من السيارة

ووقفوا أمامه فقال:

- يوسف متجه إلى المطار، فلا داعي الآن لتبعه.. من الأفضل أن تنضموا للآخرين في البحث عن فريدة؛ فانطلقوا في سبيلهم وصعد هو إلى المكتب كأن شيئاً لم يكن.

كانت هناك الكثير من الأمور الغريبة وغير المفهومة، التاريخ الخاص بعقد الباشا يطرح ألف سؤال مرتبط بجريمة القتل نفسها، والتاريخ الخاص بيوسف يطرح ألفاً أخرى بشأن علاقتهما الغير منطقية، أخبرهما المحامي أنه في طريقه من الإسكندرية إلى القاهرة؛ فحجزا غرفتين في الفندق حيث اتفقت فريدة مع محامي خالد أن يلتقيا، أخذوا قسطاً من الراحة حتى حل المساء واتصل بهما الرجل فهرعا لانتظاره في بهو الفندق.

أقبل الرجل الخمسيني صوبهما مضطرب الخطى، شاحب الوجه، ألقى التحية وجلس؛ فأخبرته فريدة بشأن العقدين، نظر فيهما بصدمة جعلته يتصب عرقاً ثم قال بعد صمت طويل:

- كنت من سجل عقد يوسف قبل وفاته بيومين، أما العقد الآخر فلم يسبق لي رؤياه، ولم يخبرني خالد عنه شيئاً.

توبة إبليس

حدقت به فريدة وقالت:

- تعني أنه تنازل ليوسف عن كل أملاكه حقًا؟.. لكن لماذا؟

- حين سألته قال إنها الوحيدة ليعتذر عما فعله، على أية حال تصرفات

خالد في الآونة الأخيرة كانت غير مبررة بالمرة، لم يكن تنازله ليوسف هو

التصرف الوحيد الخارج عن المألوف.

تمتت في صدمة:

- يعتذر!

فتح يحيى حقيبته واستخرج منها دفترًا للشيكات وناولها إياه، فتحتة

لتجد عشرين شيكًا على الأقل موقعة باسم خالد وبأرقام متفاوتة.

- ما هذا؟

- تعويضات لكل من تعرض للأذى بسببه في الماضي.

تشوش رأسها فنظرت إلى ياسين الجالس إلى جوارها في حيرة وبادلها هو

بنظرة تملؤها التساؤلات حتى قال يحيى:

- يبدو أنك لا تعرفين ذلك، خالد كان يحاول أن يتوب وأن يصحح

توبة إبليس

أفعاله.

عقب ياسين ساخرًا:

- يتوب!، هل هذه مزحة؟

- لا لم تكن مزحة، كان خالد جادًا جدًّا في هذا.

قال ياسين مفكرًا:

- هذا لا يفسر وجود عقد الباشا، كما أن تنازله عن أملاكه ليوسف

بدافع الاعتذار يبدو تصرفًا مبالغًا فيه للغاية، نحن نتحدث هنا عن خالد

درويش، لا أظن أنه قد يفعل شيئًا كهذا مهما كان نادمًا.

- هذا ما فكرت فيه أيضًا حين رأيت العقد.

أتى الصوت من ورائه فالتفت الثلاثة إلى يوسف الواقف على مقربة عاقدًا

ذراعيه، جلس على الأريكة بجوار فريدة وقال كأنما يحدث نفسه:

- لدي شعور خفي أنها خدعة أو فخ، وربما انتقام أخير لا أفهم مغزاه ولا

الهدف من ورائه.

رمقته فريدة في شك..

ألا تعرف حقًا لم فعل هذا؟

هز رأسه نفيًا، ونظر إلى المحامي.

أولم تخبرني بالأمر بعد وفاته يا أستاذ يحيى؟

بلل الرجل شفثيه بلسانه في خوف وقال:

– أجل، يوسف باشا لم يكن يعرف شيئًا عن الأمر.

ثم نهض قائلاً بنبرة مضطربة:

هل تريدون سؤالي عن شيء آخر؟

هزت فريدة رأسها نفيًا، عم تسأل وسيل الأسئلة لا يتوقف؟

مالذي سيعرفه المحامي البائس على أية حال إلا لو كان بوسعه قراءة

أفكار شقيقها وهو أمر عسير، إن فهم تصرفاته صعب بما يكفي كما

ترى، الأحجية اللعينة لا تفتأ تزداد تعقيدًا، وكلما ظنت أنها وضعت قطعة

في موضعها اكتشفت أن رقعة الأحجية أكثر اتساعًا مما ظنت بكثير.

تأمل يوسف شرودها وقال موجهًا حديثه إلى ياسين الذي يجلس على

الكرسي على يساره:

توبة إبليس

هل بوسعي الانفراد بزوجتي قليلاً؟

وقف ياسين مغمماً:

- بالتأكيد.

حالما انصرف سألها يوسف بجدية:

- هل تعرفين ما الذي يريد الباشا منك؟

احتضنت يدها القلادة وأجابت:

- لا أعرف.

رمقها بجانب عينه قائلاً:

- كاذبة.

نظرت نحوه في غضب مكتوم..

- لست في حاجة لإخبارك شيئاً.

- إذن أنت تعرفين ما الذي يريد.

هتفت:

- لو أنني أفهم أي شيء مما يحدث حولي منذ خمس سنوات لكان بوسعي أن أفهم الآن لِمَ يلاحقني زعيم عصابتكم العظيمة وماذا يريد مني.

ثم أضفت بنبرة باهتة:

- على أية حال لا تشغل بالك فبوسعي حماية نفسي.

- سيصل إليك خلال ساعات يا فريدة.

أجابت بثبات:

- إذن سأهرب وسأستمر في الهرب حتى أفهم معنى هذه الوثائق اللعينة، حتى أعرف من قتله ولماذا أراد أن يتوب كما يدعي المحامي؟

أجاب يوسف بحنق:

- أيًا كان ما حدث له فقد استحقه، لن أسمح لك بتعريض حياتك للخطر، لقد كان السبب في خسارتي لك وهو على قيد الحياة، ولن أتركه أن يكون السبب في خسارتك وهو ميت.

- مازلت تصر على أنك خسرتني بسببه!

- بلى، كان هو السبب في كل شيء من البداية.

تهوبة إبليس

قاطعته فريدة بوقوفها فجأة:

- سنعود إلى الحديث في نفس الحكاية؟

لكنه أمسك بمعصمها ووقف أمامها قائلاً:

- أجل، سنتحدث حتى نصل إلى حل.

سحبت معصمها بعنف..

- لا يوجد حل، أخبرتك ألف مرة، فما الذي تريده؟

وأجاب بصوته العميق:

- أنت.. تعرفين بالفعل أنني لا أريد شيئاً إلا أن تعود لي.

ارتسمت ابتسامة جانبية ساخرة على شفيتها، وقالت:

- فات الأوان.

فقال:

- لم يفت، ولن يفعل أبداً ما دمت حياً، ولو كان عليّ أن ألاحقك للأبد

لتسامحيني ولتفهميني فسأفعل، سأستعيدك مهما كان الثمن ومهما كانت

الوسيلة، لأنني لا أستطيع أن أفعل شيئاً بخلاف هذا، أنتِ كل ما أملك

في الحياة.. لم نكن رجلاً وامرأة واقعين في الحب وحسب، لم نكن مجرد زوج وزوجة، بل كنا عائلة..

في الوقت الذي سرقت فيه الحياة مني كل شيء منحنتني إياك عوضاً عن كل الخسارات والأوجاع.

آه من ذلك الرجل حين تلتبسه روح طفل خائف فيجتث بناظره المحب كل الغضب، ولا يملك القلب سوى أن يدق ولهاً، وأن تتوق الأذرع لعناق يخدم وجعاً يتدفق في العروق كالحمم، تلتحم النظرة البريئة في عينيه بعينها وتغزل من خيوط النور التي توقدها في القلب سماءً مرصعة بالنجوم تحتضنها بحب، تمتت _ولو أن في بعض التمني الشقاء_ أن تبوح له بما تكتمه، أن تخبره كيف أضوى الشوق الروح!، وكيف اعوجت طرق الحياة بعد فراقه!، لكنها حين تغمض عينيها وتتنفس وتفتحهما من جديد تنقشع الغمامة ولا ترى إلا رجلاً يرتدي ثياباً باهظة الثمن وله ابتسامة مبتورة ونظرة كأنما طعنه أحدهم للتو، هذا الرجل والخيوط التي تربطها به هي هلاك متجسد لا يجدر بها أن ترتكب حماقة خوضه مهما كلف الأمر.

توبة إبليس

لكنك أفسدت كل شيء.

قلت؛ فأقر في ضعف:

فعلت، ودفعت الثمن، كانت لحظة ضعف.. وسوس لي الشيطان وجعلني

أرى النواقص والعيوب في حياتي، كنت راضياً فحول الرضا لسخط.

إياك أن تلوم الشيطان على أفعال أنت المسئول الكامل عنها.

قلت في ثبات فأجاب مدافعاً:

الشيطان الحقيقي كان شقيقك يا فريدة، لن أنكر أنني كنت ضعيفاً، لن

أقول أنني لم أساق، أنا إنسان وأصابني لحظة ضعف وأخطأت، ثم ثابت

إليّ نفسي وحاولت أن أعود لكن شقيقك وقف لي بالمرصاد كشيطان

رجيم، كان هو من قادني إلى هذا الطريق لأنه لم يرد أن يهلك وحده،

وحين حاولت الهرب أدرك أن بوسعي النجاة، بينما هو لن يستطيع أبداً..

حول حياتي لرجيم ليحتفظ بي قريباً منه، هالِكاً معه.

قاطعته فريدة بهتاف باكي:

– ما تقوله لن يغير من الحقيقة شيئاً، أنت منخطئ وربما أكثر منه ألف

مرة، كنت تعرف أنك على خطأ ومع ذلك لم تتوقف، ما أضعف الشيطان

يا يوسف!

ما أعجزه عن إفساد قلب مؤمن!، إنما هي نفسك التي تافت إلى حياة خالد المترفة، إلى المال والسلطة والحياة الجديدة، حتى أنا أتحمل معكما الوزر، كنت أرى ما تفعلاه وسكت، كنت خائفة من مواجهة نفسي بالحقيقة؛ لذا عاقبني الله في طفلي.

- أعرف أنني مخطيء ولا أستحق أن تنظري لي مرة أخرى، لكنني أقسم لك أنني حاولت العودة ولم يتركني خالد، كان يحاصرني، حاول تفريقنا مرات عدة وحين يس، امتدت يده اللعينة لطفلنا.. هو المسئول الوحيد عما حدث لحمزة، لم يفكر أنه طفلك أنت، لم يفكر أن عمره كان يومًا واحدًا فقط، كان مهتمًا بتعذيبي وحسب.

- كفى.

صاحت وقد بدت على حافة انهيار، نعم خالد كان شيطانًا، تلك الحقيقة التي تصدح الآن مرة وراء أخرى مهما حاولت غض الطرف عنها.

لا، لن أكتفي، لماذا تغير رأيك فيه الآن؟، لماذا تبحثن عن قاتله وهو يستحق أن يقتل على الأقل لأجل ما فعله بنا؟، لم تبدين كأنك غفرت له

توبة إبليس

خطاياها، وتلوميني أنا؟!!

ثم أضاف لاهثًا من فرط انفعاله:

تظلميني يا فريدة، أنت غير منصفة معي.

قالت بإنهاك:

- أنت لا تفهم، خالد مات، انتهى، لم يعد موجودًا ولم يعد بوسعه أن يصلح أخطاءه، أحتاج لأن أعرف كيف مات وهل تاب حقًا كما قال المحامي؛ لأن فكرة موته وذنوبه عالقة بنحره تعذبني، ثم ما فائدة كراهيته الآن؟، إنني لا أستطيع أن أتذكر إلا أنه شقيقي المغتال.

- وأنا وأنت!، ألم تفكري فينا أبدًا؟

- طالما أن دم حمزة بيننا يا يوسف، فلن يكون هناك شيء يدعى أنا وأنت أبدًا.

قالت بنبرة صارمة وانصرفت، ووقف يطالعهما حتى اختفت.

لا يورث الشر إلا الشقاء ولا تنبت بذور الحقد إلا ورويًا مسمومة سوداء تتسلق جدار العمر حتى تحجب النور، ماذا كان ينتظر؟ كان هو من

اختار طريقًا يعرف أن نهايته الهلاك، فما خطبه اليوم يلوم الأقدار على ما اقترفته يداه؟، كيف يخبرها أنه ظن نفسه يومًا أعتى من التيار ولم يكن! عاش وهو مؤمن أنه لن يغرق يومًا في وحل الخطيئة، ظن أن المبادئ الرنانة التي تملأ صدره قوية ولن ترديها الوسوس أرضًا، اعتقد أن نفسه لا تحيد عن الطريق ولو ترصدت بها الشياطين من كل جانب، لكنه اكتشف أنه أكثر هشاشة مما تصور بكثير، ذاق يومًا لذة لم يجب أن يجربها، أغواه خالد بأكثر الأشياء التي يحتاجها، منحه القوة التي عاش مسلوبًا إياها طوال حياته، الحق في تقرير مصيره، القدرة على حماية نفسه ومن يحب، والأهم أنه مكنه من قتل العوز والحاجة والجوع، قال لنفسه أنه سيجمع ما يكفيه من المال ثم يرحل عن هذا العالم للأبد، أنه يخطيء ولكنه سيعود حتمًا وأن الله سيغفر له، لكن شهوته ازدادت ضراوة وداخل البذة السوداء وخلف المكتب الفاخر، وفي بهاء السلطة التي امتلكها كان شيء ما يجذبه بقوة كشعور غامض قوي جعل خسارته لحياته الجديدة فكرة تضاهي الجحيم، وفي لحظة ما لا يستطيع أن يعرفها تحديدًا فقد قدرته على المقاومة وسار جرمًا تائبًا في الفضاء تجذبه أحيانًا تلك القوة؛ فيدور ويدور دون أن يفكر فيما تقترفه يداه، وفي مرات قليلة

فقط كان يفلت ويجد نفسه سابقاً في العتمة، يحدق إلى نفسه ولا يعرفها، عافته روحه ولفظه جسده.. يناجي الله وسط موج العتمة العاتي فيستشعره القلب قريباً رغم أنه يرى جبال ذنوبه راسخة تحول بينه وبين النجاة.

لا يمكنه أن يلوم فريدة لما فعلته وما تفعله الآن، لعل ابتعادها عنه كان خياراً أفضل، لكنه كان كصفعة على وجهه كي يفيق، حين رحلت تركت وراءها عالماً فارغاً من المعنى، ورأى أكوام المال التي كانت سبباً في موت طفله أمام عينيه أعجز من أن تشتري لحظة واحدة من السعادة أو دقيقة واحدة من النوم الهادئ، فهل لفريدة أن تصبر لأيام أخرى؟، أن تنتظر الأعمى الذي يتلمس الطريق بيديه وهو عالق وسط متاهة لا يقدر على تجاوزها حتى البصير؟، هل لها أن تمنحه فرصة؟

وهل المهم حقاً أن تسامحه فريدة؟، أن أن الأهم هو أن يغفر له الله!، أن يمنحه سلاماً كان ينقب عنه منذ دهر طويل، هل لهذه الذنوب الراضحة على كتفه أن تزول يوماً؟، هل لأكفه الضارعة من إجابة؟.. وهل لهذا التيه من نهاية؟!

دق جرس الهاتف، كان معتر مايزال يتتبع أثر ياسين وفريدة ؛لذا أثارت رؤية اسمه توتر آدم فأجاب سريعاً:

- آدم باشا هناك سيارة تتبع فريدة وياسين منذ غادرنا منزل خالد درويش.

- ألم تعرف لمن تكون؟

- أعتقد أنه السائق الذي اصطحب سوزان أرملة خالد هذا الصباح.

هب آدم واقفاً وقد اعترته رجفة..

- ابق مكانك، سأتي إليك بأسرع ما يمكنني.

أغلق هاتفه واتصل بالصقر أولاً، أخبره بما حدث فقال في غضب:

- تباً، كان يجب أن نأخذ حذرنا منها.

- لا بد أن نتحرك سريعاً، لا يمكنني أن أضمن ما قد تفعله سوزان.

- نصف ساعة وستجد طائرة خاصة في انتظارك في المطار وسأرسل أنا

رجالتي إلى هناك في حالة تأخر أو حدوث أمر طارئ.

- حسناً.

أجاب آدم، سوزان تلك الساقطة اللعينة.. أما آن لها أن تبتعد عن

الطريق، أم أنها تشتهي أن تُراق دماؤها إلى هذه الدرجة!

لندن

أنهت الاتصال ونهضت من مقعدها الوثير لتقف أمام النافذة تطالع المدينة المضيئة ببهجة ليلية... من الجيد أنها فكرت في ترك السائق ليتعقب فريدة... ترجلت من السيارة بعد ان ابتعدا عن القصر بعدة أمتار وأخبرته أن يعود واستقلت سيارة أجرة واتجهت للمطار .. كان الخيار الوحيد بعدما رأت آدم يقف هناك أمام باب القصر في انتظار فريدة؟؟ لا يمكنها الا أن تفعل ما يبقيها آمنة والطريقة الوحيدة هي بالخلاص ممن يطاردونها كالأشباح، لن تكون كبش فداء لثلة الأوغاد هذه مهما حدث، خالد علمها الدرس جيدا .. كوني قبل عدوك بخطوة.

أجرت اتصالا آخر بمكتب الباشا في القاهرة، وأجابها الباشا بنزق وتأفف

- ماذا تريدین؟

- أعرف مكان فريدة

توبة إبليس

أجاب بجدية

- أين؟

- اكتب هذا العنوان

لا تنكر حقيقة خالد، هي تعرف وجهه البشع أكثر منهم جميعا، لكنها أيضا أبصرت وجهها لم يره أيا منهم، كان خالد يوما ما منقذها، كان اليد التي وجدتها وسط سنوات ممتدة من الضياع، منحها دفئا وبيتا وقدم لها يوسف الرجل الذي أحبت يوما ما، يسري في عروقهما دمّ واحد يربط روحيهما رباطا وثيقا مهما مزقته الكراهية لن ينقطع، يظنون أن خيانة خالد وأفعاله أوجعتهم؟ لكنهم لن يعرفوا أبدا قدر الوجد الذي اختبرته، لا يوجد أقسى من أن تفقد أمّ طفلها في اليوم الذي ولد فيه سوى أن تفقده بسبب أهم رجلين في حياتها، تأتي قسوة الطعنة من عمق الحب، فهل هناك أعمق من حبها لشقيقها أو لزوجها؟

وقفت على حافة المسبح يتمثل لها على صفحة المياه وجه وليدها الذي فقدته صبيحة ميلاده، وجه خالد المضرج بالدماء وعينا يوسف الذابلتين

الحزینتین، وقلبها الضعیف الذی ما عاد یستطیع التحمل قبضت علی
قلادتها الأثیرة

صوت الصغیر یتردد کل لیلة باکیا یتبها حزنا لا یموت.. صوته البعید
یدرک أذنیها متوسلا فتهرع فی أروقة المشفی حافیة فوق شظایا الزجاج
المحطم یسبل الدم منهما وترکض وترکض وصوت الطفل یبعده ویتلاشی ثم
ینتحر الصوت فجأة وتجتاح العتمة کل شیء وتفتح عینیها وینتهي
الکابوس المؤقت لیبدأ الکابوس الحقیقی، کل لیلة یتكرر الکابوس، ترى
یوسف یتقدم نحو سریرها ویمسک یدها ویقول بصوت باکی:

حاول الأطباء یا فريدة لكننا فقدناه

لم تفهم.. حتی حین أخبرها أن طفلها فقد لم تفهم.. کل الوجع الذی
عاشته منذ یوم ولادتها وحتى فی أحلك أيام الملجأ تناهی فی الصغر بینما
اجتاحها رجفة وجع کادت تذهب عقلها... ظلت لأیام تهذي وتصرخ
وکانوا یحقنونها بالمخدر كلما أفاقت لتستيقظ فی حالة أسوأ... ویوسف
یقف فی رکن من الغرفة یرنو إليها بخيبة لا تنتهی.. هكذا بمنتهی البساطة
خطفه الموت قبل أن تشتم فریده رائحته قبل أن تضمه ضمة واحدة..
احتملته فی أحشائها تسعة أشهر تنتظر الساعة التي تراه فیها ثم یخبرونها

أن الامر انتهى ... ولكنه كان قد بدأ... كل شيء بدأ بموت حمزة ..
 بالكاد تذكر شيئاً عن هذه الفترة كل شيء يبدو باهتا عدا الوجد .. كل
 الذكريات تموج كخيوط دخان أسود كريحه الرائحة .. أخرجها يوسف من
 المشفى وعاد بها إلى القاهرة وتركها لتغرق في الحزن، حتى اكتشفت في
 أحد الأيام حقيقة ما حدث ، حقيقة الخدعة الكبيرة التي مارسها شقيقها
 وزوجها عليها، لم يمت حمزة لأنه كان مريضاً بل لأنه اختطف، لأن
 الباشا قتله، أن أعمال يوسف وخالد هي ما أودت بحياته حين اكتشفت
 هذه الحقيقة لم تحتمل أن تبقى معهما يوماً واحداً

اعتراها الدوار وتذكرت يوم سقط ستر الحقيقة أمامها وعرفت خبايا عمل
 خالد ويوسف وحقيقة ما حدث لطفلها وانطفأت الافكار لبرهة وسكت
 الكون حتى صفتها برودة الماء الذي سقطت فيه، حركت يديها بذعر في
 البداية لكنها وفي لحظة ما دب يأس في أوصالها الواهنة وفكرت لو أنها
 تستريح لو أن كل شيء ينتهي فأرخت ذراعيها وأغمضت عيونها وتركت
 جسدها يتجه نحو قاع المسبح العميق بهدوء.

توبة إبليس

كانت تقف أمامه بمنامتها القطنية القصيرة تسدل شعرها وتزين شفيتها
بحمرة مثيرة، ابتسمت ريم له ثم عاودت معانفته واسندت رأسها إلى
صدره وهي تهمس:

- اشتقت إليك

طوقها بذراعيه وهو يبادلها شوقا بشوق:

- وأنا أيضا

تسارع النبض واختنقت أنفاسه فجأة، فرق ياسين أهدابه المغلقة وتأمل
الغرفة من حوله في فزع تلاشى سريعا لما أدرك أنه كان حلما، تلك
الذكرى اما آن لها أن تتبدد؟ وكيف لها أن تفعل والقلب يقبض عليها
بكلتا يديه يأبى أن يفلتها؟ تلتبسه ساعة يقظة وساعة حلم، تتخذ من
نفسها أشكالا عدة وتمنح نفسها نهايات أخرى أحيانا.. تعذبه بكل طريقة
ممكنة.

نفض رأسه في إحباط والتقط مذكرات خالد عن الطاولة أمامه، كانت
الأحداث فيها تبدو عشوائية على نحو ما فأول تاريخ فيها يعود إلى حادثة
قبل خمس سنوات تؤرخ للقاء الأول بين خالد و رجل يدعى ماهر ثم

تتحرك الاحداث بغير تتابع، فبدا أن خالد لم يسجل سوى الاحداث المهمة أو المفصلية التي كانت تؤدي إلى شيء ما أو تنتج عن شيء ما. لقد ألقى نظرة سريعة على الصفحات الأولى ولم يشأ أن يقرأ أكثر قبل أن تمنحه فريدة الإذن لفعل هذا ولعله فضل أن تقرأها هي بنفسها.

أغلق المذكرات ووقف سائرا نحو الشرفة ليطمئن أن فريدة مازالت تجلس أمام المسبح كما كانت منذ مغادرة يوسف قبل ساعة أو أكثر لكنه وجدها تقف على الحافة شاردة تقبض يدها على القلادة، ما شأن تلك القلادة بالضبط؟ لقد لاحظ الطريقة التي تمسك فريدة بها، كانت على شكل مفتاح بل هي على الأغلب مفتاح حقيقي، لكن أي باب يفتح يا ترى وماذا يخفي وراءه؟ لم يكن قد ابتعد كثيرا حين تناهى لسمعه سؤال يوسف عن السبب وراء ملاحقة الباشا لفريدة ولو صدقت شكوكه فلهذا المفتاح علاقة وطيدة بالأمر.

انتبه لترنح جسدها قبل أن يسقط في الماء جحظت عيناه في فزع وهرع إلى خارج الغرفة مسرعا يسابق الثواني الطوال التي تتمدد تحت قدميه.. وصل إلى المسبح فوجد أحد عمال الفندق يسحبها نحو الحافة وواحد آخر يقف مترقبا في انتظاره، ماذا فعلت تلك الحمقاء؟! ردد في داخله

وهو يلتقط يدها من العامل ويسحبها بمساعدة الآخر إلى خارج المياه،
وضعها على الأرضية الرخامية الباردة مغمورة بالماء مسجاة كجثة لا
روح فيها... ضغط الرجل صدرها عدة مرات محاولاً أن يطرد الماء من
رئتيها ويأسين ينادي باسمها في غمرة خوف يقبض كأنياب الليث على
القلب فيدميه ولا يفلته .

سعلت أخيراً فتنهد في ارتياح وافترش الأرض إلى جوارها يلتقط أنفاسه
وهو يحدق فيها لقد كاد اليأس يفتك بها، كانت على بعد شعرة من
موت محقق ووقف هو على نفس المسافة من فجيحة أخرى هو الذي ما
عاد يحتمل الفجائع !!

قاد ماهر سيارته وحيداً تتبعه سيارتان تحملان أربعة رجال أشداء تلقوا مثله
أمراً بالذهاب إلى عنوان الفندق الذي أخبرت عنه سوزان، لقد عرف منذ
البداية أنها ستشير المشاكل، كانت الثقة بها خطأ لا يغتفر، تناول هاتفه
وأرسل رسالة إلى رقم غير مسجل لكنه يحفظه عن ظهر قلب
"يجب أن أنفذ الأوامر، لا يمكننا أن نلفت نظر الباشا"

غاب الرد عدة دقائق وأتاه محمولا بالتردد والخيبة

" أنا أبذل ما في وسعي للوصول قبلك، لنأمل أن يمر الأمر بسلام "

أغلق ماهر هاتفه وعاد يحدق بالطريق... عشر دقائق ويصل إلى

الفندق... عشر دقائق من المستحيل أن يحدث فيها شيء ينقذ الوضع

أحاطت جسدها المرتجف بمنشفة وتناولت كوب القهوة الساخن من يده

و ارتشفته طلبا لبعض الدفء، جلس على الكرسي المقابل وانبرت نظراته

تلومها تارة وتشفق عليها تارة أخرى.

وتاهت هي في فضاء الفكر تلوم نفسها أيما لوم على فعلتها، خلال ثانية

استل اليأس سيفه وبتر أوصال الأمل فغشت القلب ظلمة وتقوض إيمانها

وكادت تقترف شيئا تندم عليه أبدا...

أمسكت القلادة تستمد منها الطمأنينة، طالعها في شك فأفلتتها إشفاقا،

قرأ هو ما في عينيها فقال:

- هل بوسعي أن أسأل سؤالا؟

توبة إبليس

- تفضل

قال وهو يشير الى القلادة

- هذا المفتاح!؟

طرقات عنيفة متتالية على باب الغرفة بترت سؤاله، تبادل نظرة متوجسة مع فريدة قبل أن يقف لفتح الباب، ظهر من وراءه آدم مصفر الوجه لاهثا، لجمت الصدمة ياسين لبرهة وقبل أن يبدي أي رد فعل دفعه آدم إلى داخل الغرفة ودخل مغلقا الباب دونه، نهضت فريدة ترنو إليه بحذر وهو يقول:

- لا بد أن نغادر بسرعة

تحرك ياسين بجسده ليقف حاجزا بين فريدة وشقيقه الذي استطرد

- رجال الباشا قادمون خلال دقائق

لحظه ياسين بتردد صامت ووقف آدم بيثه عبر الصمت رجاء ليثق به ولو

مؤقتا، تمتم ياسين بعد برهة

- لنتحرك يا فريدة

تشبث كفها المرتجف بساعده فالتفت لها

هل تثق به؟

عاد ببصره إلى توأمه وقال بابتسامة متحفظة

- كأننا نملك خيارا آخر

ابتسم آدم في بشر وتقدم الطريق ليفتح الباب لكن جرس هاتفه استوقفه

أجاب مسرعا فأتاه صوت معتر الفزع

- لقد وصلوا بالفعل

كان جسده يؤلمه بعد شجاره العنيف مع ياسين في المشفى، ومع ذلك

اندفع بأقصى سرعته متبعا آدم حتى دلف إلى الغرفة، وقف عند بابها

ينصت للمحادثة الدائرة بين الشقيقين حتى جملة آدم الأخيرة التي أعلن

فيها عن وصول رجال الباشا إلى الفندق بالفعل.

تراجع مبتعدا عن الباب وهو يبحث حوله عن مخرج من المأزق، لا

يمكنه أن يسمح لرجال الباشا بأخذ فريضة مهما اضطر ليفعل ليحول دون

ذلك، واقتحام الغرفة الان ومحاولة أخذها من الشقيقين تبدو مهمة مستحيلة، لمح جهاز الحريق المثبت على الحائط فهرع نحوه، ضم قبضته وحطم الواجهة الزجاجية، ثم أدار المفتاح فانطلق جرس الانذار في أرجاء الفندق واندفع النزلاء من الغرف، انتظر حتى غادر الثلاثة الغرفة...
ثبت القلنسوة على رأسه واندفع وسط الزحام وراءهم

التقطت فريدة مذكرات خالد، وأخرج آدم مسدسه قائلاً:

سأخرج أولاً، يبدو أننا سنضطر لمواجهة رجال الباشا

إنها فكرة مجنونة

هتف ياسين حين دوى صوت الإنذار في الأرجاء، تبادل الثلاثة النظر والتفت آدم إلى الباب وفتحه في حذر فرأى اندفاع النزلاء فنظر إلى شقيقه:

بوسعنا أن نتسلل وسط الزحام

وهرع الثلاثة إلى خارج الغرفة متسللين وسط الهرج الدائر في الرواق حيث اندفع النزلاء محدثين اضطراباً لرجال الباشا الواقفين عند المخرج،

تراحم الثلاثة بين الأجساد المتدافعة كالسيل على الدرج وخرجوا أمام ناظري رجال الباشا الذين وقف النزلاء حاجزا بينهم وبين هدفهم .. كانت سيارة آدم مصفوفة أمام الفندق ومعتز قد أدار محرك سيارته.

استقل الثلاثة السيارة وانطلقوا في طريقهم تتبعهم سيارة ماهر والسيارتان الأخريان سعيا في الطرقات الضيقة ووسط الزحام الليلي المثير للأعصاب، لم يكن من الصعب حقا أن تتخفى السيارة تحت غطاء الليل وتحت ستر الزحام لولا أن رجال الباشا تتبعوهم بإصرار لا يقبل التراجع واستطاعوا أن يميزوا السيارة عند كل منعطف ولم تفلح فكرة الاختباء أبدا وأقر آدم أن المواجهة قد تكون حلا لا بأس به... تقدم بسيارته الطريق قاصدا الطريق الصحراوي... إن أرادوا خلوة فهلم إذن!

بمجرد أن انخلعت السيارة من الزحام واستلمت الطريق الخالي حتى بدأ رجال الباشا بالمناوشة تارة برمي الرصاص مصحوبا بشهقات فريدة وتارة بمحاولة إحداث التحام بين السيارتين لإجبار آدم على الحياد عن الطريق... لكن آدم استمسك بالمقود في ثبات وأخرج هاتفه وأجرى اتصالا فأدركه صوت ماهر بعد برهة:

– آدم أنا خلفك لا تقلق

تنفس آدم الصعداء بعدما واتاه القلق لما اختفت سيارة ماهر عن ناظره

- لا بد أن نجد وسيلة للتخلص من هذا الحصار

- أنصت جيدا

أنصت آدم لماهر لدقيقة ثم أغلق هاتفه وضغط على البنزين قائلا:

- ياسين يوجد مسدس أسفل كرسيك

مال ياسين بجذعه والتقط المسدس فاستطرد آدم:

- هل تجيد استعماله؟

- أجل

أجاب ياسين بنبرة باهتة فقال آدم:

- فريدة اختبئي حتى لا تصابي

طالعه فريدة ببلاهة وقد انفك عقال القلب فراح يدق في صخب صم

أذنيها، ربت ياسين على يدها بلطف

- افعلي

أشار آدم بيده لمعتر الذي كان يقود سيارته خلفه تماما أن يتجه للجهة المقابلة ليحاصرا إحدى السيارتين بينما كان ماهر سيتولى أمر سيارة الدفع الرباعي السوداء، فتح ياسين شبك السيارة وضغط آدم المكابح فتراجع حتى صار علي نفس مستوى السيارة الرياضية الزرقاء في اللحظة التي تقدمت فيها سيارة معتر من الاتجاه الاخر، صارت السيارة الزرقاء محاصرة بين معتر وآدم الذي أعطى الإشارة فبدأ ياسين بإطلاق النار صوب السيارة تزامنا مع مناوشات معتر واحتكاكه بالسيارة من الجهة الأخرى حتى أصاب ياسين السائق فتراجعت السيارة وانقلبت عدة مرات قبل أن تستقر أخيرا

كان ماهر في تلك الاثناء قد تولى أمر السيارة السوداء وسدد عدة رصاصات على العجلات فدارت السيارة حول نفسها عدة مرات قبل أن تنقلب محدثة دوي انفجار مفرع وحين كاد ماهر يتجاوز الانفجار بسيارته، ظهرت سيارة رمادية من العدم احتكت بسيارته ودفعتها عدة مرات حتى اصطدم بالسيارة التي أصاب ياسين سائقها، انطلقت عدة شرارات نتيجة الاحتكاك كانت تنذر بانفجار أكبر علي وشك الحدوث خلال دقائق.

أوقف آدم السيارة وترجل راكضا باتجاه النار حين عبرت من أمامه السيارة
الرمادية، فهرع ياسين خلفه وظلت فريدة في موضعها وقد شلت الصدمة
حركتها!!

انداح صوت ياسين صارخا:

- آدم إلى أين؟

لكن آدم تجاهله وأكمل سعيه حتى تخطى النار المشتعلة واتجه صوب
سيارة ماهر فلم يجده فيها .. مسح ببصره الطريق فرآه يسحب جسده
مبتعدا عن السيارة .. أسرع نحوه وساعده على الوقوف ..

- هل أنت بخير؟

ابتسم ماهر وهو ينظر إلى ذراعه في ألم مجيبا:

- لا تقلق، إصابة خفيفة

تنهد آدم في أسي، وهو ينظر نحو السيارة الرمادية التي ابتعدت قائلا:

لمن السيارة الغريبة؟

لا أعرف

ورفع بصره ليرتطم بياسين الذي وقف يتابع المشهد في دهشة، قال ماهر
الذي وقف متكئا على ذراع آدم:

أكملوا الطريق

هتف آدم

- مستحيل أن أتركك هنا وحيدا!!

- لا بد أن تفعل، كل شيء يجب أن يسير وفقا للخطة، اذهب الآن.

كاد آدم يجيب لكن ماهر ضغط على ذراعه وهو ينظر لياسين بطرف
عينه .. فلاذ آدم بالصمت وساعده على الجلوس أرضا

- انتبه لنفسك

- لا تقلق

سار آدم مبتعدا وهو يسحب ياسين الذي طالعه في تساؤل وإن آثر أن
ينصاع له حاليا! في تلك اللحظة بدا كما لو أنه يبصر في وجه شقيقه
شيئا مختلفا !!

في السيارة كانت فريدة لم تزل على وضعها تغمض عينيها وترتجف ..

ساعدها ياسين لتجلس على الكرسي وهو يسألها إن كانت بخير ..
أومات برأسها في صمت وقد شج الخوف قلبها نصفين !!

صف سيارته الرمادية أمام البناية التي يقطن فيها آدم، ترجل من السيارة بصعوبة يضع يده المجروحة في جيبه، لم يملك الوقت ليضمدها بعد أن حطم بها زجاج جهاز الانذار كان عليه أن يسرع لملاحقة آدم وياسين لمساعدتهم على التخلص من رجال الباشا، كانت هناك مناوشات عدة قد حدثت ولم يكن قد تبين مما وقع الكثير لكنه ميز سيارة معتز وسيارة آدم وكانت سيارتين من بين الثلاثة التي قامت بملاحقتهم قد تحطمتا بالكامل ولم تبق إلا واحدة فاندفع بسيارته وحاصرها حتى التحمت بالحطام.

كان عليه حينها أن يسرع بسيارته إلى الاسكندرية ليصل إلى المنزل قبل التوأمين، ولأنه لا يملك كثيرا من الوقت قبل وصولهما، صعد إلى الأعلى مسرعا، فتح الشقة بالمفتاح الخاص به ودلف إلى الداخل، نزع القلنسوة عن رأسه، ودخل إلى غرفة آدم، كانت في مقابل باب الشقة كما تم وصفها له من قبل.

لو كان هذا آدم الذي يعرفه فلا بد أنه يحتفظ بنسخة من شريط المراقبة المسجل ليلة مقتل خالد، كان حاسوب آدم موصولا بالكهرباء وموضوعا على السرير، فتحه وفتش فيه حتى وجد ملفا مغلقا بكلمة سر فعرف أنه الملف المنشود، ضغط الأزرار وكتب كلمة السر فلم تنجح الأولى، أغمض عينيه برهة محاولا أن يتذكر كلمات السر الأخرى التي يستعملها آدم، حتى استقر على واحدة فجربها ولم تفلح، فاستخدم واحدة أخرى وجدها حين اخترق جهازه آخر مرة، فانفتح الملف، كان به فيديو المراقبة، قام بنسخه على القرص الذي أدخله إلى الحاسوب، وخلال الثواني القليلة التي انتقل فيها الملف رفع بصره ليشاهد الغرفة التي عُلقَت صور ريم على جدرانها فأحس غصة قوية.

انتهى النسخ فأخرج القرص وأغلق الجهاز وغادر المكان مسرعا بعد أن غطى رأسه، كان الشيء الأهم بالنسبة له ألا يكتشف أي شخص هويته وإلا فإن ما عمل لأجله لسنوات عدة سيذهب أدراج الرياح .

شقة ياسين... الإسكندرية

فتح ياسين الباب وأشار لفريدة بالدخول ففعلت، سرعان ما تسللت رائحة التراب والعطن إلى رئتيها فسعلت وأبدى ياسين اعتذاره موضحاً أنه لم يدخل المكان منذ شهر... أشار لها نحو حجرة النوم قائلاً:

– تستطيعين قضاء الليلة هنا

أرادت أن تسأله هل ستركها وحيدة في هذا المكان لكنها التفت ووجدته قد غادر بالفعل.. طالعت طيفه الذي اختفى في قلق.. منذ عاد إلى السيارة وقد بدا في وجهه اضطراب وحيرة، وظل يفرك يده في توتر واضح وهو يبادل آدم نظرة نارية

هبط ياسين واستقل سيارة آدم التي وقفت في انتظاره، كانا وحيدين بعدما غادر معترز هو الآخر قاصداً منزله، انطلقت السيارة تمخر طبقات العتمة الكثيفة، كان الوقت قد تخطى بالكاد منتصف الليل وسرت برودة في الجو الملبد بالترقب والتحفز

هل تنوي أن تشرح لي ما يحدث؟

سأل ياسين فأجاب آدم بحسم

ليس هناك ما يجب عليك أن تعرفه

لحظه بعين ملؤها ألف تساؤل ونز صوته حانقا

- لقد حدث وأن تورطت في اللعبة، لذا من حقي أن أفهم

- أنت دخلت اللعبة بإرادتك لم يجبرك أحد

ضرب ياسين علي باب السيارة وقال:

لمرة واحدة فقط تخلى عن عنادك، وأجبنى عن أسئلتى، ما لذي يجري؟

كيف تعمل أنت وخالد ويوسف لدى نفس الرج؟ من قتل ريم ومن يطارد

فريدة ولماذا؟

أوقف آدم السيارة إذ وصلا إلى المنزل والتفت إلى شقيقه:

- سأجيبك في حال وعدتني أن تبعد وتترك الأمر لي ..

- تعرف أنني لا أستطيع، إن لم يكن لأجل حماية فريدة، ولا لأجل

كشف الحقيقة التي تحاول إخفاءها، ولا لأجل فضح خالد ويوسف

وأفعالهما المشينة، فلأجل معرفة حقيقة ما حدث لريم

صاح آدم غاضبا:

- إن معرفة ما حدث لريم هو واجبي، ليس عليك أن تتدخل في المسألة،

أم أنك تتناسى أنها كانت زوجتي أنا!

رمقه ياسين في ذهول، نعم كان يتعمد أن ينسى، فكر بينما شقيقه يكمل
بحدة

لا يهمني إن كانت زميلتك أو صديقتك، أو أي صفة أخرى يضيفها
خيالك المريض ليمنحك الحق في التحقيق في مقتلها أو اتهامي بأي
شيء

واستطرد منفعلا

أنا الوحيد الذي لديه الحق في السؤال عما حدث لها ، والقصاص لها
مهمتي أنا ، لذا تنحى جانبا وتوقف عن العبث والتورط في لعبة أكبر منك
ثم ابتسم في ود مصطنع:

اصعد إلى الأعلى واخلد للنوم ودعني أتولى مشكلة زوجتي بنفسي

تسمر ياسين لبرهة محاولا أن يستجمع شتات نفسه قبل أن يمد يده
المرتجفة ويفتح باب السيارة ويترجل سائرا باتجاه المنزل تراقبه عينا آدم،
كان مضطرا لمواجهته بهذه الكلمات ليدفعه بعيدا عن الطريق وإلا فإن
آدم يعرف أنه من لا يملك الحق في البحث عن قاتلها هو الذي عرف

هويته من البداية ولم يتمكن من أن يفعل له شيئاً، وكل ما يستطيع فعله الآن أن يبعد ياسين عن الأمر كي لا يخسره هو الآخر.

تذكر ليلته التعيسة قبل سنين ليلة زفاف آدم وريم، عاد إلى منزله منهكا، أعبته الخيبة وفاق الوجد احتمالاً... لم يشعر بنفسه الا وهو يحطم زجاج الشرفة بيده، صرخ وما داواه ذلك بل حدث أن زاد البوح جراحه اغورارا كانت ليلة يكرهها ولحقتها سنين عاشها في شظف الهموم، قد من أحلامه الشكلى ابتسامة ناقصة يزين بها ثغره لعلها تكسو عري الجراح ساعة يجتمع بشقيقه وزوجته .. حاول أن يستمرئ الوضع لكن روحه لفظت كل محاولاته القسرية تحت قدميه!!

في تلك الليلة لا بد أنه تحطم ألف مرة، لكنه يوم قتلت أدرك معنى أن يتحطم الإنسان حقاً، أن ينخلع جزء منه ويترك فراغا سحيقا، ثقبا هائلا في الروح، وجعا يخلق مرارة خانقة في حلقه تجعل طعم الحياة كريها ولا يطاق، حزنا كمطر من الحمم يصهر أورده وشرايينه، وصرخة تعلو إلى أقصى مدى ومازالت تعجز عن التعبير عما فيه، وقلبا ينتفض مذبوحا ينتظر أن تغادره الروح ولكنها لا تغادر.

لا لم ينسى أنها زوجته، لكنه لن ينسى أيضا أنها كانت حب حياته، وأنه فقدها مرة حين تزوجها آدم ومرة حين ماتت بسببه، لا لم ينس أنه عاش في عذاب ممض والغيرة تمزق حشاه، لا لم ينس أن آدم شقيقه رغم كل الكراهية التي يكنها له، ولا لم ينس أنه وعد نفسه أن ينتقم لمن قتلوها ليكتشف أن شقيقه واحد منهم، هل يطمر الإنسان أوجاعا بهذا الحجم؟ لو كان له أن يفعل فلما يحترق كبده ويغلي دمه دون توقف؟ لو أنه استطاع أن يدفن حب ريم حين عرف بما بينها وبين شقيقه لو استطاع أن يخلع قلبه ويتخلص منه بما يحويه من حب لها وكراهية لآدم لاستطاع أن ينساها بعدما ماتت، لاستطاع أن يتوقف عن البحث عن الحقيقة، لكنه ويا لها من لعنة لا يستطيع.

"الشیطان لیس قوة خارقة تهاجمك من الخارج

بل هو صوت عادي ينبعث من داخلك"

إیف شافاق

فجر اليوم الخامس - روما

وضع يوسف حقيبة المال على الطاولة الفاصلة بينه وبين ممثل شريك
الباشا في إيطاليا .. فتح الرجل الحقيبة وتأكد من المال ثم ابتسم ليوسف
- شكرا لك .

هز يوسف رأسه بابتسامة فاستأذن الرجل منصرفا ، ودعه يوسف
بمصافحة حميمة.

الآن، أدى مهمته الظاهرية وحن وقت تنفيذ المهمة الحقيقية ، تناول
الهاتف واتصل بخدمة الغرف وطلب كوبا من القهوة!
مرت دقائق قبل أن يصله الطلب مع العامل الذي وضع ماهر صورته في
المظروف .. وضع كوب القهوة على الطاولة وتحتته رسالة صغيرة تناولها
يوسف وفتحها
- سلم المال للعامل.

أخرج يوسف ملفا من وراء ظهره وناوله للعامل الذي أخفاه داخل الطاولة المتحركة ، وهم بالانصراف لولا أن استوقفه نداء يوسف فاستدار بجسده .. قال له يوسف بالإيطالية

- هل تريد جني المزيد من المال ؟

هز العامل رأسه بسعادة فابتسم يوسف في حبور بعدما اهتدى لخطة هروب مثالية .

ارتدى يوسف القبعة التي أعطاه إياها العامل بعدما تبادلا ثيابهما .. وضع هاتفه في جيب ومسدسه وجواز سفره في الجيب الآخر وقال للعامل:
- أنا مستعد .

أخرج العامل هاتفه واتصل بشخص ما وأخبره أن ينفذ ما اتفقا عليه وطلب من يوسف أن يقف وراء الباب في انتظار اللحظة المناسبة ..
مرت عدة دقائق قبل أن يسود في المكان هرج بعدما افتعل أحد العمال الشجار مع نزيل في الفندق وتجمع من حوله النزلاء تبادل الحارسان عند الباب نظرة وجلة وأخرج يوسف رأسه قائلاً:

تحركا وانظرا ماذا يحدث

أسرع الحارسان باتجاه الصوت فخرج يوسف سريعا يتبعه العامل الذي وجهه إلى الباب الذي لا يعبره إلا الموظفين .

انتظرت سيارة سوداء عند الباب كان ماهر قد أعدها مسبقا .. أسرعت السيارة إلى الوجة التي حددها لها ماهر أيضا حيث مطار نائي تقف فيه طائرة خاصة في انتظار يوسف .. كانت الطائرة قد حصلت على التصريح باسم يوسف بالفعل فحلقت بمجرد وصوله قاصدة الاسكندرية ...

شقة آدم

وقف ياسين عند باب غرفة آدم يطالع سريره المرتب، إذن لم يعد آدم بعدما تركه أمام المبنى بالأمس، سار نحو المطبخ وأعد كوبا من القهوة ثم خرج ليلتقط الجريدة التي تصل إلى باب المنزل كل صباح .. جلس على مقعد في شرفة غرفة آدم يحتسي كوب القهوة، وفتح الجريدة ليصدمه الخبر الرئيسي

" بيع شركتي النصر و الاتحاد المملكوتين ليوسف رمزي و خالد درويش
لمستثمر أجنبي "

في حوار خاص مع يوسف رمزي نوضح سبب الخلاف بينه وبين صديقه
خالد درويش و حقيقة مقتل خالد، نترك لكم هذا الحوار مع يوسف رمزي

ما سبب الخلاف الحقيقي ؟

- أنا و خالد كنا صديقين حتى دبر أعداء النجاح مكيدة أفسدت ذات
بيننا و استمرت العداوة سنوات لكننا استطعنا أخيرا أن نحل الخلاف ..
لم يكن شيئا مهما إذا نظرنا له الآن .. مجرد خدعة و ضيعة جعلتني أخسر
صديقي لسنين

متى تم التصالح ولما تم إخفاء الأمر ؟

-تصالحنا قبل أشهر .. وتم الإخفاء في محاولة لكشف الأشخاص الذين
حاولوا أذيتنا بهذا الشكل .. لكنهم لم يمهلوا خالدا وقتلوه
هل تتهم شخصا بعينه ؟

- بالتأكيد .. لكن دعيني أوجل الأسماء إلى النهاية واتركيني أخبرك أولاً
 أن خالد عرف بشأن المكيدة التي تحاك ضده وتنازل لي عن أملاكه دون
 معرفتي في البداية ولم يخبرني بشأن من تربصوا به لقتله إلا قريبا حين
 التقينا في الإسكندرية وكشف لي ما يحدث .. خالد حاول فعل كل شيء
 للنجاة لكنه فشل مع الأسف وانتهى الأمر به صريعا ، ودعيني من هذا
 المكان أؤكد أنني سأسعى لمعرفة قاتل خالد ولو كلفني الأمر حياتي وأني
 سأنتقم ممن أزهق روحه انتقاما شديدا

ولكن بمن تشك ؟

- عدلي فؤاد وزير السياحة السابق ... سعد البنا مساعد وزير الداخلية
 .. عادل إدريس عضو مجلس الشعب

إن هذه اتهامات في منتهى الخطورة فهل أنت واثق !!

وتأكيدا على قوله قام يوسف بتسليمنا تسجيل صوتي للمذكورين أعلاه
 وقد ورد فيه اتفاق بين الثلاثة لمقتل خالد وقد تم تسليم التسجيل ليلة
 أمس إلى سراي النيابة .

وبالعودة إلى يوسف رمزي فقد أكمل

– أنا لن أستمر في العمل كرجل أعمال .. هذا العمل كلف صديقي حياته وكلفني حياة ولدي وزواجي .. شعرت أنه من الصواب أن اكتفي بهذا القدر وأعود لحياتي الطبيعية الهادئة!

وبهذا يكشف لنا المكيدة التي حيكّت ضد رجل الأعمال الشاب خالد درويش المعروف بنزاهته وحبّه للوطن من قبل أعداء كانوا بيننا وكنا نتوسم في وجوههم خيرا ذات يوم ثم ها هي تسقط الأقنعة ، تنتهي اليوم أسطورة خالد درويش ويوسف رمزي نهاية درامية لم يتوقعها أحد ..

طوى ياسين الجريدة وقد اتسعت عيناه وارتسمت على شفثيه ابتسامة غير مصدقة .. كلام يوسف يتناسق بعض الشيء مع العقد المسجل بل وربما يفسر لما طارد الباشا فريدة فلعله فعل لأنها وريثة خالد الوحيدة وكما فهم من المرات التي ذكر فيها الاسم أمامه والأوراق التي تركتها سوزان فهو شريك خالد بطريقة ما ولعله قتل خالد لإدراكه لمحاولة تنازله عن أملاكه ليوسف .. وربما أجبره على التوقيع على العقد الذي لا بد قد أدرك عدم جدواه الآن.

كل شيء منطقي كل شيء منسق في موضعه الصحيح بصورة تبدو مثيرة للشك، لقد رأى آلاف من جرائم القتل بحكم عمله وهذه الأدلة و هذه الطريقة التي انتهى بها الأمر إما صحيحة جدا أو ملفقة بذكاء حقيقي .

وقف عند باب الشرفة يتأمل صور ريم وهو يفكر في مطاردة الباشا لفريدة .. تصرفات شقيقه المثيرة للشك ، الرابط المشترك بين خالد وآدم ويوسف .

دخل آدم إلى الغرفة وأغلق بابها دون أن يتنبه له ، كان يتحدث على الهاتف وبدأ سعيدا وهو يستمع للطرف الآخر ثم قال:

— لا شك أنه سيفقد عقله بعد ما حدث في قصر خالد تلك الليلة.

ثم قال:

— لا تقلق لم يكتشف أمري بعد لكنه سيفعل قريبا بلا شك وحتى ذلك الحين دعنا نتصرف بحذر.

ثم قال قبل أن يغلق الهاتف:

— أراك الليلة إذا.

وقف ياسين مختبأ في الشرفة يستمع لشقيقه في ذهول حتى دخل إلى الحمام فأسرع إلى داخل الغرفة وكاد يفتح الباب ليغادر لكنه لمح هاتف آدم الموضوع على السرير فالتقطه وفتحه كان الاتصال الأخير من رقم مجهول .. يسبقه اتصال من رقم مسجل باسم الصقر غادر الغرفة وهو يحمل فكرة واحدة في ذهنه " ما حدث في قصر خالد " هو الآن يعرف إلى أين يتجه، لكن عليه الانتظار حتى المساء .

مكتب الباشا

تفحص رجال الباشا الجريدة التي جلبها الحارس في قلق تدافعوها بينهم وكل واحد يرفض أن يكون من يحملها للباشا قطع ماهر الجدل الدائر بسحب الجريدة من يد الحارس متطوعا لمواجهة الباشا بما ورد فيها .. سار نحو المكتب وطرق الباب ودخل تأمل الباشا وجهه المتورم والجبيرة التي تحيط ذراعه وأشاح بوجهه في عدم رضى، لقد أرسله أمس ليحضر

فريدة لكنه عاد بعد خسارته لأربعة رجال خالي الوفاض ، تنحني ماهر

وتقدم باتجاه المكتب ووضع الجريدة فوقه قائلا

- هناك خبر هام لابد أن تقرأه.

ابتسم الباشا في غيظ وتناول الجريدة وقع بصره على العنوان الرئيسي

المكتوب بالخط العريض فانتفض واقفا وقد التمعت عيونه في ذكر وصاح

بهلح حقيقي

- مستحيل ...

رفع بصره إلى ماهر

- أحضروه لي فورا.

نكس ماهر رأسه مجيبا:

- رجالنا في روما اتصلوا منذ دقائق، يوسف اختفى من الفندق ولا

يستطيعون إيجاده

جلس الباشا على مقعده وخيم الصمت لبرهة .. قبل أن ينفجر ضاحكا

في غيظ، ضحكا هستيريا ارتعدت له أوصال ماهر حتى تسلل ألم إلى

ذراعاه المصاب ، الآن لا يمكن التنبؤ بما سيحدث، اللعبة خرجت عن السيطرة والكل يستخدم أقوى أسلحته وأكثرها فتكا على الإطلاق.

قصر خالد

بالإسكندرية

وصل إلى قصر خالد كان المكان مهجورا وأضواء القصر مطفأة ، تسلق السور وقفز إلى داخل حديقة القصر وقف يتفحص المكان ببصره .. كانت هناك فوضى عارمة بالحديقة تشابه الفوضى التي تحيط بأفكاره حاليا .. كل شيء غير منطقي وغير منظم وحتى وجوده هنا نفسه يبدو كتصرف يائس وتعلق أحمق بخيط قد يؤدي إلى لا شيء ، خالد يقيم بالقاهرة لكنه أتى ليقتل في قصره بالإسكندرية .. عقدي تنازل عن الأملاك ومقال مشبوه يفسر الأمر، ومفتاح لعين يتعلق بجيد امرأة يطاردها الجميع ، عليه أن يكشف الغموض المعشش في تفاصيل الحكاية أن يفهم الروابط الخفية بين الأحداث وقصر خالد يبدو كنقطة بداية منطقية نوعا ما .. كل القتلة يتركون وراءهم شيئا .

كان الباب مفتوحا فدفعه ودخل ، أوقد المصابيح وتقدم باتجاه البقعة التي سقط فيها جسد خالد كان موضع الجسد محددا بالطبشور الأبيض، وهناك آثار عراك عنيف في الردهة من زجاج محطم وأثاث في غير موضعه أو أشياء ملقاة في الأركان ، خمن أن خالد كان يقاوم وأن عراكا قد حدث في هذا المكان .

صعد الدرج واتجه أولا إلى غرفة نوم خالد وكانت الأغراض مبعثرة في كل اتجاه أيضا والخزنة في دولابه مفتوحة وفارغة ، فرك ياسين رأسه في حيرة، لا شيء يفضي إلى أي شيء ، خرج إلى الشرفة يلتقط أنفاسه .. مسح الحديقة ببصره تحت أضواء مصابيح خافتة تحدد السور .. لمح غرفة صغيرة في ركن بعيد، في قصر كبير كهذا أليس من المنطقي أن توجد غرفة لرجال الأمن وأن توجد ربما كاميرات مراقبة ، اتقد ذهنه فجأة فركض إلى الأسفل باتجاه الغرفة .

دخل الغرفة فوجدها معدة بأجهزة مراقبة حديثة وشاشات عرض ورف ضخم يحوي شرائط الفيديو ابتسم في سعادة وبحث عن الشريط المؤرخ بيوم وفاة خالد فلم يجده على الرف، إذن فالشرطة قد أخذته بالتأكيد .

عاد أدراجه إلى داخل القصر ليلمح شيئاً غريباً، وجد مظروفاً موضوعاً على إحدى الطاولات وقد كتب عليه " إلى ياسين وفريدة " التقطه مسرعاً وفتحته ليجد إسطوانة حاسوب ، انتابه الهلع وعرف أن شخصاً ما يراقبه فنادى قائلاً

— من هنا ؟

لكنه لم يسمع رداً إلا صدى صوته ، مما زاده رعباً .

صف سيارته الرمادية في مكان خفي بجانب قصر خالد، ترجل ودخل، كان ما رآه في شريط المراقبة الذي سرقه من حاسوب آدم مثيراً للدهشة، اعتقد أنه سيحصل على إجابة حين يرى محتواه لكنه وجد إجابة أكثر تعقيداً من أن يفهمها بل من أن تكون ذات معنى .

تجول داخل المكان ولكنه لم يجد شيئاً مهماً، لكن أضواء القصر اشتعلت فجأة، كان حينها في الدور العلوي فتقدم في وجل نحو السلم ليجد ياسين لكنه عجز في تلك اللحظة عن تحديد أي التوأمين كان، راقبه حتى انتهى من تفتيش القصر وخرج إلى غرفة المراقبة وعرف حينها

أنه يفتش عن شريط المراقبة وأدرك أنه ليس إلا ياسين، فآدم لن يأتي ليبحث عن الشريط الذي يملكه، وقف مفكرا لدقيقة ثم خرج إلى سيارته وعاد حاملا تسجيل المراقبة وتركه على طاولة داخل القصر، لو أوصله ياسين إلى فريدة حقا فهذا يعني أن بوسعه الثقة به، وعلى أية حال على أحد آخر أن يعرف حقيقة ما حدث في القصر تلك الليلة لأنه حتى الساعة عاجز عن أن يفهم حتى بعد أن رأى بعينه .

أسرع ياسين إلى غرفة المراقبة ووضع القرص في أحد أجهزة الحاسوب و جلس على الكرسي محققا بالشاشة يراقب سير الأحداث .. في الثانية عشر تماما وصلت سيارة خالد إلى القصر وترجل منها مترنحا كأن به بقية ثمالة .. دلف إلى القصر وبعدها بنصف ساعة تبعته سيارتين ترجل الباشا من إحداهما وترجل يوسف من الأخرى ومعه شخص ما يرتدي معطفا أسود بقلنسوة تغطي رأسه فلم يتمكن من تبين هويته .

غاب الجمع في الداخل بعض الوقت ثم خرجت سوزان تهول وقد أصابها الفرع .. تبعها الباشا وأمسك بها وأدخلها إلى سيارته عنوة ثم أخرج هاتفه وأجرى اتصالا ثم استقل السيارة وغادر .

حدق ياسين بالشاشة لا يفهم أي شيء .. سرع التسجيل حتى رأى آدم يخرج من القصر نحو الحديقة حاملا المسدس وقد نزع معطفه الأسود وبدأ وجهه على الكاميرا .. جلس القرفصاء في منتصف الحديقة واهتز جسده في عنف كأنه يبكي .. ثم وقف وبدأ يصرخ، دخلت سيارة أخرى إلى القصر ساعتها وترجل منها ماهر .. تحدثا وحاول أن يغادر لكن ماهر سحبه معه إلى الداخل وغابا قرابة الساعة ثم خرج الثلاثة يوسف وماهر وآدم .

وقف ياسين ممسكا برأسه يحدق بالشاشة التي احتلها وجه آدم ، لم يرد أن يصدق التفسير الذي تبادر لذهنه .. أعاد تشغيل الفيديو مرات عدة .. وجه سوزان الفزع ولحاق الباشا بها .. وخروج آدم غاضبا والوجه الذي عاد به إلى القصر بعد عدة ساعات مع فريق التحقيق .

شعر بالغثيان فهول خارجا من غرفة الأمن إلى الحديقة وانحنى يقىء ما في جوفه على العشب الأخضر .. اللعنة على معدته العصبية التي لم تتحمل فظاعة ما رآته في أشرطة المراقبة .. ركب قطع الأحجية مئات المرات ولم ينته ولو لمرة لشيء يقارب الصورة التي رأى عليها الحقيقة ولم يكن ليفعل أبدا.. ماذا يقول لها الآن كيف يخبرها بما رآه .. وأي

الخبرين سيكون أشد وقعا عليها .. اشترك يوسف في مقتل شقيقها ، أم هوية قاتلة الحقيقية ؟ أولم يكن شيئا واحدا سيئا يكفي لهذه الليلة ، شاء الله أن يكشف أمامه كل الأوراق المقلوبة بلا استثناء ودفعة واحدة .

كذبة يوسف الكبيرة التي أعلنها في الجرائد اليوم .. ووجه شقيقه الذي اختتم الليلة بعرض مذهل لن ينساه ياسين في حياته .

وقف وسار نحو بقعة يغطيها العشب الندي وارتمى يحدق بالسماء باكيا، آدم ! ماذا فعلت ؟ علا نشيجه وشعر أن روحه مفارقة جسده لا محالة .

توقف آدم بسيارته أمام مكب للنفايات .. فتح هاتف خالد الذي بحوزته وأرسل رسالة على رقم الباشا

" استعد للضربة القادمة فجر الغد ... "

ألقي الهاتف في القمامة وقاد سيارته مبتعدا ، كان الباشا يجيب على الاتصالات الغاضبة من أعضاء المنظمة بشأن المقال الناري في الصباح حين وصلت الرسالة ففتحها .. طالع الهاتف ببلاهة لبرهة ثم تسلق بصره إلى خانة المرسل، فغر فاهه في صدمة وشحب لونه .. ازدرد لعابه في

ضيق تخامره الدهشة ونظر إلى ماهر الواقف على مقربة محاولا أن يربط
على قلبه

- هل هاتف خالد في الخزنة ؟

- بالتأكيد ..

إذن ماهذه الرسالة ؟ من يحاول التلاعب به وماالذي يريد، الضربة
القادمة فجرا ، هذا موعد الإفراج عن الشحنة وتوصيلها للمخازن .

وقف قائلا لماهر بحزم

- أعدوا الطائرة سنسافر حالا إلى الإسكندرية.

فتحت فريدة دفتر المذكرات وشرعت في القراءة .. من نقطة محددة قبل
سنة أشهر

اليوم تغادر فريدة .. تترك وكر الشر أخيرا ولست أدري أيجدر بي أن
أكون سعيدا أو تتابني الكآبة .. شقيقتي أبصرت نواقصي شيئا فشيئا

والآن تكتشف ما فعلته بطفلها . لا أظن أننا سنملك طريق عودة بعد هذا

الحدث .. ليس من الممكن لها أن تغفر ما اقترفته وليس من المحتمل أن أطلب منها الغفران .

بعد أسبوع

اليوم أخبرني الطبيب مرة أخرى أنه لا أمل يرجى من العملية .. لا فائدة .. الداء الذي أعاني منه بلا دواء ولا جدوى من المحاولة أو الانتظار .. هل هذا عقاب الله لي ؟ شاء أن يحرمي مما لم أرغب بسواه، أريد أن أرفع يدي لأدعو لكنني أخجل .. بأي وجه أفعلها .

خمسة أشهر

تلك المحامية الحمقاء لا أدري ما سر عنادها .. لم أتوقع أن ترفض أطنان المال التي قدمتها ثمنا لصمتها .. هي حمقاء جدا أو خطيرة جدا .. والمشكلة أن أي خطأ يحدث سيكلفني حياتي .

"قبل وفاة ريم بثلاثة أيام"

توبة إبليس

سألت ريم اليوم

- هل تظنين أن شخصا مثلي يمكن أن يتغير؟

- بالطبع !!

هتفتُ

- مع كل الفظائع التي اقترفتها هل يعقل أن أنتزع

الشر من أعماقي؟

- إن الشر يا خالد ليس من طبيعة الإنسان .. وكل

ماهو ليس من طبيعة الشيء يمكن انتزاعه .

يبدو الأمر سهلا حين تقوله .. يبدو سهلا للغاية !!

قبل وفاة ريم بيوم

أخبرتني أن كل شيء سيسير حسب اتفاقنا .. أخبرتني أنها تثق بي وأدري

أنها لا تفعل .. هي ليست امرأة غبية وهذا موطن الخطورة .. لا يمكن

التنبؤ بأفعالها وهذا ما أخشاه .. لو اكتشف رجال المنظمة الأمر .. لو

عرفوا بما تملكه ريم !! هذه هي النهاية !!

انقطعت المذكرات بعدها حتى قبيل وفاته بأسبوع

اغفر لي هواني فإنني هلكت بذنبي ، تركت طريقك فتعلقت نفسي بباطل
يجرني معه إلى الحضيض .. لا شيء سيحررني من أسر نفسي سواك ..
رحمتك وحدها تنتشلني من الضياع غفرانك وحده يسقط عن كاهلي
الذنوب .. إنني ضائع يا الله .. متعب ويدي متسربلتان بسلاسل من
حديد وحدي أحكمت عقدها حول معصمي ووحذك قادر على أن تحرر
عبدا من أسر نفس يقودها الهوى !!

ضعيف تكبر وظن أنه قوي ولكنك القوي وحدك يا إلهي .. تشاء ولا
يشاء سواك فأرجوك اللهم برحمة منك امنحني نورا أتشبت به في عتمتي
.. أحتمي بسترك وقدرتك من ضعفي وقلة حيلتي .. لا أقدر لو لم تشأ
لي ولا أبصر لو لم تشأ لي .. وحدك تهدي إذا شئت وتُضل إن شئت ..
وويل لي إن شئت يا لعظيم ضلالي !

أردد في داخلي ساعة يأس لا فائدة ياخالد لقد هلكت .. تلوث كل شيء فيك ولا وسيلة لتنجو من هذا الدنس ، أنا إنسان سيء ولا مفر من هذه الحقيقة .

ماذا أفعل؟ أرى في الموت راحة ولكنني أخشى من جبال الذنوب التي تنتظرنني .. كيف أموت وأنا كرهه مقرف إلى هذه الدرجة ..

اليوم التقيت يوسف بالإسكندرية .. كلانا كان يقف بسيارته أمام منزل فريدة نحدق بها عن مسافة دون أن ترانا .. لمحتته ورآني فتغير وجهه واستقل سيارته وابتعد وتبعته ساعتها .. وللوجع توجه إلى البقعة التي اعتدنا الاجتماع فيها مع فريدة، ترجلت من سيارتي وسرت نحوه تفاجأ بي وكاد يغادر لكنني سألته متوسلا أن يبقى .. لا أدري كم أخبرته في تلك الليلة ولا أعرف كم توصلت ولكنني بُحت بكل جرائم في حقه ، أخبرته السر الذي أثقل كاهلي شهورا، وتركته يضربني أردته أن يفرغ جام غضبه على رأسي حتى يكتفي لكنني أدركت يومها ودمعه يتساقط وهو يضربني صوت صرخته الغاضبة الشكلي ينقض على أذني ، وأنة العذاب التي كانت تغادر صدره بين لحظة وأخرى أن ما فعلته لا يغتفر ولا شيء سيمحوه .. جثوث علي ركبتني واعتذرت .. وحين لم أجد شيئا آخر لقوله أمام

توبة إبليس

الغضب والحسرة التي ملأت عينيه، أخبرته أنني سأتنازل عن كل أملاكي
له .. وساعتها كاد يقتلني حقا .. لكنني قررت أن أنفذ قولي وفي الصباح
التالي كان كل شيء قد تم تسجيله بالفعل !!

قبل وفاته بأربعة أيام

الآن يريدون قتلي .. سوزان وشت للباشا بشأن رغبتني في التوبة ، رجال
المنظمة وجدوها فرصة للنيل مني أخيرا، سنوات وأنا كالشوكة في
حلوقهم يخشون نفوذي الذي ازداد يوما وراء الآخر .. لا أدري بشأن
مخططهم وحقيقة لا أهتم .. مادام الموت سيأتي لا مفر فكل الوسائل
سواء ..

أغلقت فريدة الدفتر لاهثة الأنفاس .. لهذا السبب قُتل شقيقها إذن ..
لأنه أراد التوبة ، تركوه يعيش شيطانا ولما انتهى التوبة أعدموا الرغبة في
صدره !!

وقف أمام النار المشتعلة بالصندوق الحديدي يلقي ورقة تلو الأخرى
فتلتهمها النيران، عقد زواج خالد، عقود شركاته، صور قديمة وأخبار تم
اقتصاصها من الجرائد.

ماذا تمحو النار؟ لاح له وجه خالد الممزج بالدماء وجسده الرابض على
الأرض وقدم الباشا الموضوع على وجهه فاقشعر بدنه، بين كل الأشياء
القاسية التي عايشها مع خالد فلا بد أن مشهد قدم الباشا الملوثة على
صدغه هو الأشد قساوة واشمئززا على الإطلاق .. الرصاصات التي
تطايرت في ذلك اليوم لا تحصى .. الدم والأسرار التي انكشفت وجسد
خالد الذي تلقى رصاصة من آخر شخص تخيله يوسف ..

ألقى يوسف آخر مجموعة من الأوراق ووضع يده في جيبه يشاهد غليان
النار، لقد مات خالد فلا بد أن يمحي كل أثر يؤكد أنه عبر الحياة يوما ،
سينتهي هو وتبقى الآثام التي اقترفها رازحة كالجمال .. الفساد العارم
الذي رعاه خالد وحماه سينخر في قلب الحياة طويلا ويمزق نياط الأمل
سيعربد في الأزقة يزهد الأرواح حتى يكتفي ولن يكتفي .

تناول دورقا من المياه كان موضوعا على سور الشرفة وسكبه على النار
فخدمت وتمنى لو أن الجحيم في أعماقه يفعل أيضا لكنه كان يدري أن

وهج النار الحامية التي تكوي القلب لن يحمد إلا بفنائه وموته .. وفناؤه وموته وحسب!

دق جرس الباب فسارع نحوه وفتحه وجده يقف أمامه بابتسامة سعيدة أشار له بالدخول ففعل سأله يوسف بلهفة - ماذا فعلت ؟

- أرسلت الرسالة وتخلصت من الهاتف

اتسعت ابتسامة يوسف وهو يستمع لآدم الذي أكمل

- أخبرني ماهر أن الباشا يكاد يفقد عقله.

- مبارك علينا إذن يا صديقي.

مد يده وصافح آدم الذي قال

- مبارك علينا الانتقام لخالد

لحظة صمت قبل أن ينفجرا من الضحك ويوسف يقول

- لا يمكنني أن أخمن وقع الجملة على الباشا حين قرأها

أجاب آدم

- حري بك أن تفكر في وقع خبر بيع أملاك خالد كلها

فعاد يوسف لضحكه من جديد، اللعبة الآن في لحظة الذروة، فقط أيام

قليلة وينتهي الأمر ..

تذكر آدم شيئا فقال

- هل أرسلت شخصا لمساعدتي في الفندق ؟

هز يوسف رأسه نفيا فقال آدم مفكرا

- إذن لم يرسله الصقر ولا ماهر ولا أنت ، فمن

فعل ؟

- من تقصد ؟

- أظن أن هناك شخصا يحاول مساعدتنا، في

الفندق صدر جرس الإنذار فجأة ولا أظنها كانت مصادفة، وحين كان

رجال الباشا يطاردوننا ظهرت سيارة رمادية غريبة واصطدمت بسيارة ماهر

طالعه يوسف مستغربا

— من يكون يا ترى ؟

— لا أدري، لكنه شخص لا يعرف أن ماهر يعمل

معنا.

تبادل الاثنان نظرة طويلة صامتة وهما يقلبان التخمينات الممكنة لكنهما لم يصلا لشيء .

— دعك من هذا أخبرني ماذا فعلت ليلة أمس ؟

الليلة السابقة

كان آدم قد انطلق إلى الميناء بعدما أوصل شقيقه إلى المنزل حيث توجب عليه أن يوقع على استلام الشحنة، التي دفع يوسف ثمنها بمساعدة عامل الفندق .. وعن مسافة ليست بالبعيدة كان رجال الباشا يشكلون طوقا حول الشحنة الخاصة به والتي وصلت قبل ساعات وكان يوسف قد دفع ثمنها أيضا ولكن لشريك الباشا الذي التقاه في إيطاليا قبل لقائه بعامل الفندق .

تقدم آدم بسيارته الطريق وتبعته سيارة النقل المحملة بالبضائع حتى وصلا إلى أحد المخازن .. قام الرجال بإفراغ الشحنة وانصرفوا وسار آدم باتجاه أحد الصناديق وفتحها فاستخرج قطعة سلاح تأملها بابتسامة عابثة وهو يتخيل رد فعل الباشا حين يتم الإفراج عن الشحنة الخاصة به غدا ويدرك أنه قد تم خداعه وأن الشحنة الحقيقية هنا في هذا المخزن الذي لا يعرف بوجوده حتى، وأنه أرسل يوسف ليدفع ثمن شحنة لن تأتي .

أغلق المخزن وقاد السيارة عائدا إلى المنزل كانت الشمس قد أشرقت بالفعل منذ عدة ساعات .. في طريقه لصعود الدرج دق جرس الهاتف برقم غير مسجل أجاب فأتاه صوت يوسف يلقي التحية، بادله آدم التحية وفسر له يوسف أنه اشترى رقما جديدا حتى لا يتمكن أحد من تتبعه وأنه وصل إلى الإسكندرية للتو وفي طريقه إلى الشقة التي اعتادا اللقاء فيها ، وطمأنه آدم عن ياسين وفريدة وأبلغه أن رجال الباشا قد اهتموا بماهر واصطحبوه إلى المشفى أمس وأن إصابته لم تكن خطيرة .. وأنه أيضا استلم الشحنة ووضعها بالمخزن !

كان آدم قد دخل الشقة واتجه إلى غرفته وأغلق بابها أثناء الحديث حين قال يوسف

- ترى ماذا حدث للبasha بعد قراءة المقال ؟

أجاب آدم

- لا شك أنه سيفقد عقله بعد ما حدث في قصر

خالد تلك الليلة

فسأله يوسف

- هل تظن أنه اكتشف أمرك؟

- لا تقلق لم يكتشف أمري بعد لكنه سيفعل قريبا بلا شك وحتى ذلك

الحين دعنا نتصرف بحذر

- أنت محق، على أية حال أراك الليلة.

فقال آدم:

- أراك الليلة إذا.

الحاضر

أوقف يوسف السيارة على بعد عدة أميال من المخزن يتابع المشهد مع آدم .. وصلت سيارة الباشا وترجل منها ودخل كان رجاله يصطفون أمام الصناديق في انتظار الأمر بتفحصها .. أشار لهم الباشا بالبدء فشرعوا بفض الصناديق التي كان من المفترض أنها تحمل السلاح لكن الأمر انتهى بها حاوية لشحنة ساعات يد واكسسوارات مقلدة .

وقف الرجال أمام الصناديق يعصف بهم إرتياح شديد حين دوى صوت الباشا صارخا بهم في غضب هادر .. لم يتمالك نفسه أمام الكارثة التي حلت على رأسه للتو ... هذه فعلة يوسف بالتأكيد .. هذا الملعون يفكر أنه سيفلت بفعلة .. ماهدفه بالضبط ؟ لو لم يكن هناك تلك الليلة حاضرا وشاهدا على ما حدث في قصر خالد لصدق حقا الهراء الخاص بانتقامه لأجل خالد ؟ هذا الأرعن يخطط لشيء أبعد . وطالما تطاول وتمادى إلى هذا الحد فالقصة أكبر مما يتخيل والمتورطون أكثر ممن يعتقد .. لا بد أن شخصا داخل المنظمة يساعده لكن من يكون ؟

التفت الباشا إلى ماهر

- اتصل برجال المنظمة، سنعقد اجتماعا في أقرب وقت ممكن

توبة إبليس

— حسنا

أجاب ماهر بابتسامة مطيعة أجاد رسمها على شفثيه بحكم الممارسة،
الضربة الثانية تمت بنجاح .. الباشا الأحمق لا يعرف شيئا عما لا زال
بانتظاره .

ثم قال الباشا وكأنه تذكر للتو

— واتصل ب " رامي سليم " أعطه موعدا قبل

اجتماع المنظمة

فطالعه ماهر في دهشة

— لماذا ؟

— نفذ وحسب .

قال بنبرة قاطعة معلنا نهاية الحديث .

كل شيء ناقص مهما قارب طور الكمال .. كل سعادة مبتورة مهما
عانقت القلب ... كسب المعركة ربما ولعله نال شيئا من انتقامه لكن

الوجع مازال ينخر في الضلوع وصوت ريم لازال يتردد في محراب القلب
كصرخة عذاب تفتح بابا للجحيم فتخرج الأحزان من أجدائها و تحاصره
بين فكيتها تروم هلاكه .

ترجل من السيارة واقترب من الشاطئ تراقبه عينا يوسف في إشفاق ..
ألقي جسده على الرمل وأغلق عينيه .. تعالى صوت هدير الموج وانحسر
وصوت ريم يتردد في صداه المعذب ويطلق هو أنة وراء أخرى .. أواه
ياريم من حرقة الفقد

علا نشيجه وبدأ جسده ينتفض ويوسف يستمسك بمقعده خلف المقود
يغالب رغبة عارمة في السير نحوه ومواساته هو الذي يدرك ألا جدوى من
المواساة إطلاقا .

هو يذكرها حتى لو لم يكن هناك داع أو مناسبة، حتى في غمار النسيان
وحين تأخذه غفلة يذكرها، طيفها يعانق روحه كل ثانية يربت على حزنه
الذي لا يعرف نهاية . يتخطف الموت حقا أرواح الأنقياء، منذ لقائهما
الأول وبدت ريم كأنها لا تنتمي لهذا العالم ! كانت أنقى من كل من
يعرفهم .

يومها كان في آخر أيام إجازته وعرج على ياسين في الجامعة ليودعه قبل رحيله، جلس في مطعم الكلية في انتظاره حتى يفرغ من محاضراته حين أتت ريم وجلست على المقعد المقابل له ووضعت كتبها بعصية على الطاولة وأشارت للنادل فاقرب منها سألته أن يحضر لها كوباً من عصير البرتقال ثم التفتت له قائلة

– هل تريد شيئاً ؟

طالعتها في دهشة ثم هز رأسه نفياً فعادت للنادل وأخبرته أن يحضر طلبها وحسب، نظرت باتجاه آدم وبدأت تتحدث، كانت تتذمر بشأن أحد الأساتذة لأنه قام بطردها من المحاضرة بعد أن تجادلا وكيف أنها قد ألمحت دون قصد _ وقد كانت تقصد بالتأكيد _ أن الأستاذ كان واحداً من هؤلاء الذين يتسلمون القضايا بناءً على المقابل المادي وليس تبعاً للأخلاقية والعدل وأنه لم يأبه إن ناصر المجرمين ودافع عنهم .

وضعت يدها أسفل ذقنها واستندت على الطاولة قائلة

– لن أخرج أبداً بعد ما فعلته اليوم، أليس كذلك ؟

هز رأسه نفياً بابتسامة فزمت شفيتها في حزن وقالت

– " ياسين " ما العمل ؟

إذن هي تظنه ياسين اتسعت ابتسامته العابثة وحدق فيها مأخوذاً،
واصلت الحديث ولم يكن يستمع بل كان يتأملها كما يتأمل المرء شيئاً
مدهشاً يثير في نفسه انبهاراً وغبطة، تلعثت ريم وبترت حديثها لما
شعرت بعيونه تتفحصها بشغف غريب ، رفعت حاجبيها في دهشة
وتوردت وجنتيها واتسعت ابتسامته، مرت دقيقة طويلة وهما على ذات
الهيئة حتى قالت

– هل أنت بخير ؟

أوماً برأسه بالإيجاب دون أن تتحرك نظرتة المثبتة في عينيها، أشاحت
بوجهها في ارتباك وأجلت حنجرتها ثم عادت تنظر إليه وقد لاحظت أن
تغيراً قد طرأ على شكله فقالت

– هناك شيء مختلف بك

رفع كتفيه كناية عن الجهل فقالت

– أظن أنهما عيناك، فيهما شيء مختلف

زم شفتيه فقالت

توبة إبليس

- مالخطب ؟

عقد ذراعيه أمام صدره ولم ينبس بحرف ففعلت مثله قائلة

- هناك شيء غريب

تبادلا نظرة طويلة صامتة، وعيونه السوداء تعبت بها بنظرة بريئة وقد
كست وجهه السعادة وفاض على ملامحه الجبور، حتى أخذتها رعدة
خجل

قرر أن يوقف لعبته حتى لا تتحول إلى مزحة سخيفة

- أنا آدم .

اندفعت في حماس تستند بذراعيها على الطاولة

- التوأم، لا يعقل، التقينا أخيرا إذن .

ولم يجب بأكثر من نظرة وابتسامة .. كل شيء بدأ بنظرة وابتسامة !!

ريم تعرفت عليه منذ اللحظة الأولى أدركت بنظرة إلى عينيه أنه كان

مختلفا ومن يومها لم تخطأ بينهما ولو لمرة واحدة، تذكر يوم أهدته لوحة

رسمتها لوجهه في عيد مولده وتركت معها بطاقة

" سألتني دوما لما أحببتك أنت ؟ وكيف ميز القلب بين وجهك ووجه ياسين ؟ إننا نحب في الإنسان روحه و حقيقته، لعلكما تملكان نفس الوجه، لكن ابتسامتك ونظرتك وصوتك يحدثان في أعماقي شيئا ما، اضطرابا يصيبني بالدوار ويدوخني، كان الأمر كذلك منذ اللحظة الأولى للقائنا، ولم يتغير أبدا، القلب يعرفك أنت، بل لم يعرف إلا أنت "

لقاؤهما الثاني كان أمام بوابة الجامعة ولم يكن قادما لزيارة ياسين كما سيخبرها لاحقا، بل مدفوعا بشغف غريب ليراها .. تمييزها له وقع في قلبه موقع إعجاب ودهشة وجعلها تعلق بذهنه حتى إجازته التالية ودعاه فضوله لاختبار الأمر مرة أخرى ..

اختار يوما تغيب فيه ياسين عن الجامعة ووقف أمام البوابة في انتظارها غادرت مع جمع من الرفاق فلوح لها عن مسافة سارت نحوه باسمه وتوسم فيها بنظرة يلتمع فيها طربً واضطراب . توقفت عن السير في منتصف الطريق ورنت إليه مفكرة ثم اتسعت ابتسامتها وتقدمت باتجاهه ووقفت أمامه قائلة

- حمدا لله على سلامتك يا آدم

توبة إبليس

ابتسم تأثرا وروعة

- كيف ميزتني ؟

أجلت حنجرتها وأجابت بصوت خامره الخجل

- اعتقدت أنك ياسين في البداية لكنني عرفتك من

الطريقة التي تنظر لي بها

قطب ما بين حاجبيه سائلا

- لماذا كيف أنظر لك ؟

هزت كتفها في حياء أربك القلب .. لم تجبه يومها قالت عيناها كل شيء، لا يدري آدم ما بدأ الشرارة بينهما نظرتة المختلفة التي فضحته أم ابتسامتها التي جعلت نظرتة تلمع في الأساس، لماذا لم يكن من الممكن أن يحظيا بعلاقة بسيطة ؟ لما ظلت النواذب تعكر صفو حبهما، أينعت زهرة الحب وفاح شذاها الطيب فلما بددت الشكوك عبيرها وكيف تسلق الموت ساقها اليافعة ؟

لو أن هناك عودة ؟ لو أن باستطاعته أن يتجنب المأساة التي كلفت ريم

حياتها وكلفته هو ريم !

كيف استطاعت أن تفعل ما فعلته ؟ وكيف قبر الحقيقة التي عرفها وتبع
 أملا أحقق في أن ريم لم تعرف شيئا ؟ لو أنه واجه نفسه ؟ لو أنه ربط
 الأحداث ببعضها ؟ لو أنه صدق الحقيقة الواضحة ولم يهرب ؟ لاستطاع
 ع الأقل أن يعانقها عنقا أخيرا، أن يخبرها بمدى أسفه لاضطرابها
 للتعامل مع القذارات التي اقترفها، لكن صمتا غامضا نشأ بينهما، كان
 كل شيء غير واضح رغم أنه يبدو له الآن واضحا جدا، ينظر في عينيها
 فيشعر بكل شيء ولا شيء من بينها كان بوسعه أن يمنحه إجابة ، يشيح
 بوجهه عنها لأنه رأى في مقلتيها أسئلة أعجزته وأرهقه أن يبحث عن إجابة
 لم يرد أبدا أن يصل إليها .

وصل إشعار من النيابة لخالد وكان آدم معه في منزله، وقف كل منهما
 أمام المحضر ذاهلين كل لأسبابه الخاصة، نشب بينهما شجار انتهى
 بوعد من آدم أن يستوضح المسألة ثم يخبره بما يحدث، أسرع إلى
 المنزل فوجدها تجلس أمام التلفاز شاردة وعلى شفيتها ابتسامة لم يفهمها
 لكنها اختفت حين أدركت وجوده، سألتها عن الموضوع وأخبرته الحكاية،
 كان أحد العمال في مصنع تابع لخالد وشريكين آخرين قد اكتشف عيبا
 قاتلا في خط الإنتاج من شأنه أن يُعرض حياة المستهلكين للخطر ،

وأبلغ عن الأمر لكن تم سحب البلاغ في اليوم التالي ثم وجدته والده وشقيقه بعد يومين مقتولا في شقة اعتاد الإقامة فيها وحيدا، كان والده يعرف بشأن البلاغ فعرف أن مالكي المصنع هم المسؤولون عن قتل ولده لكنهم أجبروه على المساومة بعد القبض على الابن الآخر كوسيلة للضغط عليه، عرفت ريم الحكاية وانتظرت حتى تم الإفراج عن الفتى واستطاعت بالاتفاق مع والده تهريبه من البلاد حتى لا تصل له يدهم واستكملت قضية القتل طريقها وقامت ريم بمقابلة خالد مدنيا للتحقيق في المخالفات الموجودة في المصنع .

حذق فيها آدم لعدة دقائق دون أن يقول أي شيء، أعجزته ضوضاؤه الداخلية عن الكلام، هذه هي الحكاية ؟ لا يوجد أي مفاجآت أخرى لم تقلها ؟ هي تسعى خلف خالد وشريكه من أجل الفتى المقتول وحسب ؟ لم تكتشف تورطه في المسألة ؟ لا تعرف أنه من أفسد الأدلة وأنها لن تنجح في إثبات أي شيء بسببه هو ؟ ثم من يساعدها ؟ كيف حدث أن خبرا واحدا لم يتسرب عما تحاول فعله ورجال الباشا ورجال خالد، بل وهو شخصيا يترقبون أيما محاولة كهذه لإجهاضها باكرا قبل أن تتحول إلى ضجة ؟ فكيف حدث هذا ومن أقرب إنسان إليه ؟

كان وجه ريم خاليا من أي تعبير، ولم يستطع أن يستنتج شيئا فسألها بشكل مباشر أن تتراجع عن القضية لأنه لم يرى جدوى من المحاولة وأن القضية ستلغى عاجلا أم آجلا، حاول أن يشرح لها أنها تواجه من لا تستطيع مواجهته وأنها لا تملك دليلا ، فحدجته بخواء وألقت نحوه جهاز التحكم الخاص بالتلفاز وطلبت منه أن ينتقل إلى قناة محددة وبقدر سخافة طلبها في هذه اللحظة لكنها أوضحت أن مفاجأة مدهشة تنتظره بالتأكيد، أنبأه حدسه أن شيئا سيئا للغاية على وشك الحدوث ، انتقل إلى المحطة التي طلبتها فوجد الحوار دائرا عن القضية والبرنامج يعرض عدة صور من داخل المصنع، فوقف يحدق في الشاشة بذهول حقيقي وقد ابيض وجهه وغارت عيناه، التفت إليها فقالت له بابتسامة واسعة أن المقدم وكان مديعا مشهورا يعادي خالد أصر أن ينشر المعلومات فورا لما عرف أنها تمتلكها وأنها تعرف أنها تقاتل جبهة قوية للغاية لذا عليها أن تقاتل بشراسة .

أدرك آدم في تلك اللحظة أن ريم تعرف حقا أكثر مما يجب ، وأنها تملك أسلحة أكثر مما اعتقد، شخص ما يقف خلفها، شخص وفر لها

الأدلة ومنحها ما تظنه وعدا بالحماية ولكنها لا تفهم أنها ربما تكون سلاحا استغله أحد أعداء خالد لا أكثر .

ازداد غضبه وسألها أن تتراجع ولكنها بعناد شديد رفضت، وارتفعت حدة الشجار بينهما في الأيام التالية، حتى سألته عن السبب الحقيقي لدفاعه المستميت عن خالد ؟ ولأنه شعر أن ريم كشفت كل الأستار التي يختبئ خلفها ولأنه رفض أن يصدق هذه الحقيقة الواضحة الجلية، لأنه رفض أن يفهم أنها أرادت منه أن يخبرها بدرجة تورطه في الموضوع، فقد قرر أن يقلب الطاولة عليها، دافع عن نفسه بصورة فضحته دون أن يدري، تشاجر معها لأنها تتهمه تماما كما كان ليفعل مجرمٌ حقيقي، ثار وغضب، وتأجج عنادها وقررت أن تغادر المنزل ولم يوقفها لأنه خاف أن ترى الحقيقة في عيونه فقرر أن ابتعادها ربما يكون الأفضل حتى يجدا حلا، ولم يجدا لأن القضية تحولت إلى مسألة رأي عام بفضل تدخل رامي سليم، رغم أنه كان يدافع عن خالد ويتهم ريم أنها مدسوسة من أحد أعداء خالد وأن الأدلة التي تدعي امتلاكها ليست دليلا حقيقيا على أي شيء، لكن كان مجرد حديث رامي عن الموضوع كافيا لأن يصبح موضوعا معروفا لدى العامة، وكان ذلك الخطأ الذي أبعده عن الانضمام

إلى المنظمة بعد أن كان قاب قوسين أو أدنى من أن يفعل، خطأ نتج عن نية حسنة ولرغبة خالصة في الدفاع عن خالد كلفه كل هذا، لذا كان آدم قادرا على تصور أي عقاب كان في انتظار زوجته، لكنه وللدهشة وجد أن القضية مستمرة، كان خالد قد قرر بما أن الضجة قد حدثت ولا مفر ولا طريقة لإثبات العكس فقد كان الحل هو تخفيف حدة المسألة بأقصى درجة وقد حدث، ساندته رجال المنظمة وتم الحكم على شريكه في قضية الحق المدني وخرج هو بريئا من الموضوع وأما قضية القتل فكان آدم قد أفسد الأدلة ولم يكن ممكنا الوصول لشيء فيها فسقط الاتهام عن خالد وشريكه لعدم كفاية الأدلة وانتهى كل شيء، وقتلت ريم بعد ذلك.

شحد ياسين همته من جديد وعاد يجر قدمه إلى داخل غرفة الأمن جلس على الكرسي وأعاد تشغيل الفيديو مرة أخرى ليرتب الأحداث بشكل سليم بل ليستوعب ما رآه من الأساس

" خالد عاد في الثانية عشر إلى منزله مخمورا وكانت زوجته سوزان بالقصر رغم أنها كما أخبرته فريدة في الفندق قد قالت أنها لم تره قبل

الحادثة .. وصل يوسف وآدم إلى القصر سويا مع الباشا .. دلف الجمع إلى الداخل حيث كان خالد .. ثم دار شجار ما .. انتهى بهروب سوزان وتبعها الباشا ثم غادرا .. وبعد مدة خرج آدم حاملا مسدسا مهتاجا باكيا ثم وصل ماهر واصطحبه إلى الداخل وخرج الثلاثة معا بعد مدة .. المرة التالية التي رأى فيها خالد كان محمولا كجثة على اللوح ووضعوه في سيارة الإسعاف التي للغرابة الشديدة استقلها آدم معه ثم غادر الجميع وتركوا القصر وحسب وكأنه ليس بمسرح جريمة على الإطلاق "

الشيء الأكثر غرابة أن الشرطة قد أخذت النسخة الأصلية وشخص ما ترك له هذه النسخة بل تركها له ولفريدة، أخرج ياسين الأسطوانة من الحاسوب وقرر أن يغادر، قاد سيارته مبتعدا عن المكان محمولا بأسئلة أكثر من التي أتى بها .. يشق عليه تصديق ما رآه فلا يستمرى الجوف فكرة أن يكون آدم قد ارتكب فعلة كذلك لكنه وإن لم يرتكبها فقد كان شاهدا بالتأكيد وقد حاول طمس الحقيقة أيضا إن هذا لا يجعله بأقل من المجرم الحقيقي .. إن لم يكن آدم هو المجرم الحقيقي بالفعل .

تأتي الحقيقة دوما في صورة مفاجئة وقد كانت صدمته اليوم أقوى حتى من قدرته على التعبير .. عقله يرفض ما رآه وكأن الصدمة ابتلعت في

جوفها كل أفكاره ومشاعره فلا هو يدري فيما يفكر ولا يعرف كيف يشعر !!

هل لسنوات الفراق التي قضاها بعيدا عن شقيقه كل هذا الأثر ؟ هل الصدع الذي خلفه الفراق لا يمكن رأبه حقا، وهل من وسيلة لرتق الجرح الغائر في قلوبهما ؟ هو يفهم آدم أم لا يفهمه ؟ لقد بات من العسير معرفة ذلك حقا .

لاحت في الأفق ذكرى بعيدة لليوم التالي للقاء ريم وآدم الثاني، جلس أمامها وهو يفكر نعم هي ريم هو وجهها وهي ابتسامتها ولكن شيئا في نظرتها تبدل .. ابتسم لما لاحظ تفحصها لملامحه بشكل غريب فسأل - ما الأمر ؟

أشاحت ببصرها في حرج وفركت جبهتها في تردد ثم قالت - هل أخبرك آدم أننا التقينا بالأمس ؟

امتقع لونه وأسند ظهره إلى الوراء مجيبا بصوت باهت - أجل

ابتسمت وهي تستند بكوعها على الطاولة بينهما

- أنتما تختلفان عن بعضكما تماما، هل تعرف هذا؟

- الشيء الوحيد المشترك بيننا هو الشكل .

قال مؤكدا ثم استطرده

- شخصية آدم صعبة ليس من السهل فهمه على الإطلاق

شردت ريم وارتسمت على شفيتها ابتسامة محبة طعنت ياسين في قلبه

طعنة نجلاء فابتأس واكفهر وجهه ..

- على العكس إن شقيقك أبسط كثيرا مما تتصور، خفيف الظل ويجيد

التحدث ، وله قلب طيب للغاية.

تتحدث بشغف كان يوما يحبه ولم يكره لحظتها أكثر منه، قالت ريم

يومها أشياء تهاوى لها صرح الأمل في أن تبادله الحب . خرجت

الكلمات من فمها قاتلة كئيبة كانت المقارنة لعينة و فاز فيها آدم عن

جدارة ذابحة .

هل كانت ريم غافلة إلى هذا الحد؟ أم أنه لا يعرف شقيقه حق المعرفة!

مذكرات خالد-قبل

خمس سنوات

الساعة تشير إلى الثالثة صباحا .. ساعتان وتنتهي مناويتي الليلة وأعود إلى المنزل أخيرا .. موسم الصيف في الإسكندرية هو موسم الذروة لسائقي التاكسي ولذلك فصاحب السيارة يصر على البقاء لوقت متأخر، أجوب الشوارع سعيا للحصول على الزبائن .. كنت قد أوصلت زبونا إلى أحد الأحياء المتطرفة لتوي وقدت السيارة في الأزقة المعتمة ألعن في رأسي الحياة وظروفي التي تضيق الخناق على عنقي كل يوم .. أعمل ثمانية عشرة ساعة يوميا ولا أوفر شيئا يذكر . متى علي أن أعيش لو قضيت حياتي رهينة لأصحاب العمل ؟ أنا لا أستسيغ هذه الحياة لا أحبها ولا أرتضيها لنفسي لماذا علي أن أتجرع المرر فيما هناك أشخاص في هذا العالم ينعمون برغد العيش بلا أي مجهود ؟

أوقفتُ السيارة جانبا وأخرجت صندوقا حديديا صغيرا يحوى التبغ وأوراق السجائر قمت بلف السيجارة بعد أن أضفت نفحة من الحشيش الذي اشتريته منذ أيام يجب علي أن أقتصد فالكمية المتبقية بالكاد تكفي يوما

آخر .. أسندت رأسي للوراء وأغمضت عيني تاركا خدر السيارة
المشتعلة بين شفتي ينتشر بين ضلوعي . ذلك الشيء هو متعتي الوحيدة
في الحياة .. يمكنه أن ينسيني أحيانا كثيرة أنني بائس وتعييس إلى هذا
الحد .

عكر صفو النشوة صوت طلقة نارية فجحظت مقلتي هلعا وفتحت
الباب، قفزت من السيارة باتجاه الصوت يدفعني الفضول، تناهى لسمعي
صوت الهرج الدائر قادما من شارع جانبي فانعطفت ورأيت مجموعة من
الرجال يلتفون حول الجثة الهامدة التي تلقت رصاصة أردتها أرضا .
بدا وكأن الرجال يتناقشون في ارتباك واضح .. تراجع قاصدا الفرار قبل
أن يدركوني بأنظارهم لكن صوتا جهوريا تجلى في العتمة
- أحضروه

لم أحاول حتى الالتفات ركضت وأنا أستحث ساقى على الإسراع ركبت
السيارة وقدها مبتعدا عن المكان وللحظة ظننت أنني أفلت منهم حتى
خرجت سيارتان في إثري .. ضغطت البنزين وتقدمت سيارتي القديمة

لثوان قبل أن تلحق بها إحدى السيارتين وتصطدم بها من الجانب دافعة سيارتي للحياد عن الطريق ثم الارتطام بعمود إنارة .

شعرت أن جسدي تحطم وقبل أن آتي برد فعل كانت يد تجتذني من مقعدي .. وضعوا عصابة على عيني وألقوني ف سيارة حسبما أدركت لاحقا من صوت المحرك .

انطلقنا وأنا لا أدري الوجهة كل ما فكرت فيه أن حياتي قد انتهت بلا رجعة .. زجوني في مكان لم أتبينه بعدما أوثقوا معصمي خلف ظهري واغلقوا الباب وتركوني ضحية للبرودة والخوف !!

ساعات ربما مرت قبل أن يفتح الباب مرة أخرى ويسحبني أحدهم إلى الخارج، أجلسوني على ركبتي سألني أحدهم بصوت أجش مميز عن اسمي فأجبته بنبرة مرتجفة .. أمر الرجال بنزع العصابة عن عيني وأخبرني أنني أبدو له شابا مسكينا فقيرا وهو لا يبحث عن المتاعب حاليا لذا ألقى رزمة من المال عند قدمي وسألني أن أذهب في طريقي .. سألت نفسي ساعتها وأنا أطلع المال عن كنه العمل الذي يسمح له برمي المال تحت قدمي بلامبالاة وخرج السؤال من بين شفتي في غير إدراك وأثار دهشة ماهر ما سمع في نبرتي من انبهار فأخبرني بهدوء أن أنصرف وكان

لنبرته الصارمة كلمة النهاية فسكت .. حملني الرجال إلى حيث أخذوني
معصوب العينين كما أتيت . تركوني بجوار السيارة المحطمة ومعني المال
يتعلق به بصري فتسري في جسدي غبطة وتنتابني أفكار عدة ولكن
واحدة كانت أعلى صوتا من سواها .. أيا كان العمل الذي يأتي بهذا
القدر من المال فسأبحث عن طريقة لأفعله.

قاطع قراءتها صوت طرق على الباب ونداء ياسين من الخارج يستأذن
بالدخول، أسرع بفتح الباب فدخل يحمل بعض الحقائب البلاستيكية
وضعها على الطاولة والتفت إلى فريدة قائلاً

- هل أنت بخير ؟

أجابت بإيماءة من رأسها فقال وهو يتحرك للجلوس على الأريكة

- أعتذر للطريقة التي غادرت بها أمس، كنت في حاجة للتحدث إلى
آدم .

- لا تهتم، ولكن هل وصلت لشيء ما ؟

- أجل، دعينا نتناول الطعام أولاً.

جلست فريدة فناولها الشطيرة التي اشتراها، فكر ألف مرة قبل وصوله إلى هنا إن كان يجدر به أن يشاركها ما اكتشفه وتوصل إلى قراره بعد عناء .. هو خاض الطريق معها ومن حقها أن تعرف بشأن كل شيء !! كما أنها قد تشكل عوناً في حل الألغاز التي لا تنفك تزداد تعقيداً.

هل يمكن إدمان الذنب ؟ لا يدري كيف يسقط مرة وراء أخرى وكيف انعجن الاثم بماء الروح لا ينفصم عنها، كإدمان المخدر تقلع عنه ثم تعود دون أن تدري لما عدت حقاً، إن كان ميزان الخطأ والصواب معتلاً في الأصل فكيف يقدر المرء على وزن أفعاله، إن ما يزرع في وعي المرء هو ما يبني ضميره هو ما يخلق الوخر الذي يخبره أنه على وشك اقتراف شيء لا يصح، نولد بهذا الوعي وفطرتنا النقية تستطيع التمييز لكننا نكبر وتتشوه الفطرة ثم يخلق الله ميزانا جديداً لنا نكتسبه مما يحيط بنا ومما نتعلمه .

عاد إلى منزله مرهقاً تتقلبه شتى أنواع الأفكار ولا يدري حقيقة أيها يقتله أكثر، فتح أحد أدراج مكتبه واستخرج صورة مؤطرة لوالديه .. هذان من أورثاه كل نواقصه وتركاه خلفهما تعيساً خاويلاً لا يرجو من الحياة أي شيء

. يسعى كما الآلة لتأمين حياته وكما تعلم منهما فوسيلة التأمين الوحيدة التي يعرفها هي المال .. كان المال هو ما أبقاهما بعيدين .. العوز هو ما جعلهما يتركان طفليهما في عراء الحياة وحيدين وكل منهما يتعلق بقشة لينقذ نفسه من الغرق .. ياسين عاش بعيدا وآدم عاش في كنفهما حتى التحق بالجامعة ولم يشكل لآدم فارقا حقيقيا أنه شارك طيفهما المنزل .. لم يراهما إلا لماما ولم يتحدث إليهما إلا قليلا .. لم تعانقه أمه ولا مرة ولم يربت والده على كتفه أبدا ولو عن طريق الخطأ، كان يعيش في ظل شجرتيها العارية ظنا أنها تحميه ولكن حرور الشمس أيقظه من غفلته، أشد العوز هو أن تحتاج ما بين يديك ولا تحصل عليه .

لم يقصد يوما أن يصبح إنسانا سيئا لكنه نشأ ضعيف الإرادة بطبعه .. شحيح العطاء بما غرسه فيه والداه ..

حين قرر والداه السفر أول الامر خططا أن يتركا التوأمين عند بيت الخالة والدة فرح، كانا في الثامنة آنذاك وحين عرف آدم بالأمر أرداه المرض لأسبوع كامل وكادت الحمى تفتك به فأثرا اصطحابه .. كان هو الطفل الضعيف بينما كان ياسين هو القوي ومن يستطيع الاعتماد على نفسه .. وسافروا وغاب النصف عن نصفه المشابه وزرعت التربة المتباينة فيهما

اختلافا فوق اختلافهما الفطري .. ياسين الذي أمسك زوج الخالة بقلبه
وغرس فيه مبادئه وأخلاقه ومنحه شيئا من اهتمام كان على صغره أكبر
كثيرا مما تلقاه آدم في كنف والديه .

تصور آدم دوما أن شقيقه عاش طفولة تعيسة حتى أنه استشعر الذنب
أحيانا لكنه كان كلما واجه ما واجهه مع والديه وقع في قرارة نفسه أن
الجحيم ذاته أهون كثيرا مما يعانيه هنا .

بكى ولم يجد البكاء وثار ولم تجد الثورة وتمرد تمردا يائسا آذاه ولم
يمسسهما بسوء .. انتظر تقريبا ولوما ولم ينل، كان والداه ببساطة لا
يأبهان كليا.

أعاد الصورة إلى موضعها وخرج إلى الشرفة فهب النسيم البارد يعانق
دموعا تشق سبيلها في وجنتيه .. أغمض عينيه واستشعرها لبرهة تضمه ..
شعر بريم كما لو أنها الهواء يربت على حزنه .. كانت تهمس في أذنه،
كوت وجنتيه الدموع .. لما كان عليه أن يفقدها؟ لما كان عليها أن
تذهب وتتركه لبؤسه .

صرخ وحشجة البكاء تخنق صوته

واذدادت برودة الهواء وسرعته وأحس كما لو أنها تشد على عضده وتحاول أن تهدأ من روعه ولكن أنى له أن يهدأ؟ كيف لمهجته الملتاعة أن ترتاح؟ ريم ليست وحسب زوجته بل هي الإنسانية الوحيدة التي شعرت به، الإنسانية الوحيدة التي استطاعت أن تراه ثم ها هو بعدها متروك مجهول يائس، حتى الساعة لم يفهم ولم يستوعب بشكل كامل أنها ماتت، يكون في مكتبه غارقا في عمله ثم تمر بخاطره ويذكر فجأة أنها ماتت، تصعقه الحقيقة كأنه يعرف هل لأول مرة، دائما يأتي الأمر مرا كأول مرة، يدرك للحظة معنى أنها لم تعد موجودة، يفتirse الندم على ما اقترفه يفتirse أكثر لكل ما لم يتمكن من فعله، يذكر كل الأشياء التي كان ليرغب في فعلها لو كانت معه، يحاول أن يتذكر شكلها فيدرك أنه صار يسقط بعض التفاصيل، فيكاد يجن، تنتابه رغبة جنونية في البكاء، أن يلتف حول نفسه ويصرخ ويستمر في الصراخ للأبد، ينظر حوله ويكره العالم كله، يبغض الأحياء جميعا، كل إنسان يستطيع السير والحديث وهي لا تستطيع، يكره نفسه أكثر من أي شخص آخر لأنها تورطت في كل هذا سعيا لإنقاذه، لأنه لم يفهم السبب الحقيقي لموتها حتى أرسلت

له رسالة قبل أيام، أنها قتلت لأنها زوجة آدم، لأنها أرادت حمايته، كانت ريم تحبه إلى درجة المقامرة بعمرها لأجله، ويالها من خسارة أن تخسر هي وتموت ويبقى هو على قيد الحياة غارقا من مفرق شعره حتى أخمص قدميه ولم يتحرر كما ظنت أن يحدث، كيف عليه أن يعيش مع هذه الحقيقة؟ أي ثمن غالٍ دفعته ريم مقابل حريته التي لم ينلها، ريم عقدت هدنة مع الشيطان، وضعت يدها في يد خالد لينتجا اتفاقا مجنونا كان نتيجته موتها .

وضع الجريدة والفيديو أمامها فنظرت في دهشة تناولت الجريدة وقرأت المقال وأمارات الغضب والاستنكار مرسومة على محياها حتى انتهت فألقت بالجريدة قائلة
- كذب.

- أعرف ذلك بالفعل.

فتحت المذكرات وناولته إياها قائلة

- يوسف وخالد تقابلا فعلا لكن دار بينهما شجار عنيف.

قرأ ياسين ما كتبه خالد، ثم قلب الصفحة ووقع بصره على المقطع حيث كان خالد يتحدث عن مرضه فأشار لفريدة بتساؤل .. قلبت هي عدة صفحات حتى توقفت على مقطع كُتب قبل ثمانية أشهر " فريدة على وشك أن تضع مولودها الأول .. وليدها الذي كادت تفقده سيبصر النور قريباً ولعني لهذا أشعر بالغيرة تكاد تفتك بي .. مازال الطبيب يردد جملة اليائسة " لا يوجد أمل أنا آسف " يخبرني بنبرة لا تحمل أية شفقة أنني عقيم ولا يمكن أن يُخلق من صلبى ولد .. يخبرني أنني كما بتر اليتيم جذوري سيبتر العقم فروعى الناشئة وسأبقى شجيرة وحيدة تمضي السنون حتى تذبل يوماً وتفنئ وحدها في العراء !! أتمنى أحيانا أنني لم أجر الفحوصات .. أتمنى لو ظل الجهل يغمرنى للأبد لم أشعر يوماً بالنقص أو الحاجة إلى ولد حتى اكتشفت أنني لن أنجب واحداً أبداً، مبلغ الشقاء هو نفسي التي ترغب في كل ما ينقصها "

قلب ياسين عدة صفحات ليقرأ اسم ريم وحديث خالد عنها، حدق في دهشة ولم يفهم عن أي اتفاق تحدث خالد، ولما قد تتفق ريم معه على أي شيء!

كانت فريدة تمسك بالاسطوانة فقال موضحا

- تسجيل المراقبة من قصر خالد

سرت ارتعاشة في أناملها واجتاح وجهها شحوب وإن حاولت أن تظهر التماسك فقال

- لا بد لك من رؤيته

تناوله ووضعه في حاسوب أحضره معه وقام بتشغيله .

بعد فضيحة القمح المسرطن .. والأجهزة الطبية الملوثة بفيروس الإيدز والتهاب الكبد الوبائي التي تم استيرادها بثمن بخس لأجل المشفى الذي افتتحه واحد من أولياء الدولة المقربين للحكومة تلتها فضيحة رجل الأعمال الذي اتهمته الشرطة الإيطالية بالتورط في أعمال غير مشروعة مع المافيا وجد رجال السلطة أنفسهم في وضع حرج فتخلوا عن كل رجالهم الذين طالهم يد الشبهة ووجد عدد من رجال الأعمال أنفسهم وحيدين بعدما تم نفيهم من ظل الغطاء القانوني الذي طالما وارى أفعالهم المشينة .. من هنا تولدت فكرة المنظمة في رأس الباشا وعرضها على مجموعة منهم فأعجبوا بها بشدة وقرروا تنفيذها من فورهم .. وكان الباشا

هو الوسيط بينهم وبين الشخص الذي سيتم اختياره لوضعه في الصورة ..
 الاسم الذي تردد بقوة آنذاك كان خالد .. كان شابا وسيما تحبه العيون
 ويقع من الأنف موقعا حسنا .. شاب مصري بملامح تشبه في طبيعتها
 ملامح الجميع وإن كانت في عيونه الحادة شرارة مرعبة .. كانت له
 خلفية كفاحية ستكسبه تعاطفا كبيرا .. كان مطيعا وذكيا وحسن الحديث
 ومغمورا لم تعرفه أجهزة المخابرات بعد ولا تورط في أعمال يمكنهم من
 خلالها الشك فيه .. أثبت جدارته في العمل تحت يد ماهر لعام كامل
 وكان ماهر حينها يؤدي لهم خدمات عدة .. الشئ الوحيد الذي جعلهم
 يترددون قليلا هو طبيعته المتمردة ..

وكانت قصته الشهيرة بتبعه لماهر وتوسله له لينضم للعمل تضمن ولاءه
 ورغبته في أن يكون جزءا مما يحدث في الجانب الخفي من الحدث،
 فكان خالد بعد أن حرره ماهر يتعمد أن يظهر في الأماكن التي عرف أنه
 يتواجد فيها، سأل أن يضمه لمجموعته لكن إلحاحه أثار شكوك ماهر
 فرفض في البداية ودفع رجاله لمهاجمته حتى كادوا يقتلونه لكن خالد
 عاد مصرا مرة أخرى، فقبله ماهر بعد أن اختبره عددا لا يحصى من

المرات في مهمات عدة أداها بشكل أذهله، فكان خالد ذكيا سريع التصرف، مطيعا رغم أن هذا يناقض طبيعته، مما جعله أهلا لثقتة بسرعة. تذكر سوزان حين أخبرها والدها بشأن المنظمة وكان واحدا ممن تواصل معهم الباشا آنذاك وبشأن خالد واقترابه من أن يصبح الوجه القادم للمرحلة .. كان والدها قلقا للغاية من وضع الأمور تحت سيطرة الباشا وخالد فمن السهل شراء ولاءهما .. حينها تفتق ذهنها عن فكرة تصفع نفسها الآن ألف مرة لأنها عرضتها على والدها .. فلتتزوج من خالد فليصبح جزءا من العائلة .. لم يكن الأمر فقط لضمان كونه في صف والدها ولكن أيضا لأن رجال المنظمة يخططون لتحويله لنجم مجتمع وهل أفضل من أن تكون الزوجة ابنة اللواء الثرية التي قبلت به زوجا أيام فقره ووقفت بجانبه حتى صار ثريا ومشهورا ..

أعدت عدتها وسافرت إلى الإسكندرية قضت عدة أيام تتردد على الملهى الليلي الذي يعمل فيه تراقبه دون أن يراها أرادت أن تدرس سلوكه أولا ولدهشتها فقد كان خالد يستحق حقا إثارة اهتمام الباشا ... حاولت لفت نظره مرات لكنه لم يعرها أي اهتمام كان ينظر لها نظرة خاوية يطالع

بها كل المترددات على الملهى وكلما تأخر الوقت كلما صارت نظرتة باهتة أكثر وبلا معنى ..

انتهزت فرصة خلو المكان قرابة بزوغ الفجر واتخذت مقعدا أمام " البار " حيث كانت مناوبته تلك الليلة .. ناولها مشروبها وبدأت هي تتحدث عن نفسها أولا وهو ينصت ولا ينصت كما اعتاد أن يفعل مع الزبائن الآخرين، وأوشكت أن تيأس منه، ظنت أنه لم يلاحظها حتى، لكن خالد لاحظ بالفعل نظراتها خلال الأيام الماضية ولأنها إرتدت ثيابا غالية وعدة مجوهرات أغرته كليا، سأل عنها وعرف هويتها وقرر أنها ستكون صيدا ثمينا، تجاهلها في البداية حتى أوصلها إلى أعتاب اليأس حيث كان بإمكانه أن يتلاعب بها تماما دون أن تقاوم، أرسل لها كأسا في نهاية الليلة مع ملاحظة للقائه في الخارج، تنفست الصعداء وظنت أنها نجحت في الحصول عليه لكن خالد من فعل في الحقيقة، كلاهما كان يظن أنه الوحيد الذي يحاول خداع الآخر وحتى حين تزوجا لم تثر موافقة اللواء السريعة شكوكه، رغم مستواه المادي الذي لا يمكن مقارنته بسوزان بالطبع، بعد عدة أسابيع من زواجهما كان التخطيط لمشروع المنظمة قد اكتمل وتم استدعاء خالد والتقاء الباشا وأخبره كل شيء، وأخبره أن

اللواء كان جزءا من المنظمة فعرف أنه خُدع لكنه لم يهتم، كانت خديعة مقابل أخرى، ولم يفكر خالد كثيرا كانت فرصة ذهبية عرف كيف يمكنه الاستفادة منها، وبموافقته انتهى به الأمر خلال خمس سنوات " خالد درويش " المعروف . صار خالد خلال وقت قليل كابوسا مرعبا للباشا .. الفتى كان أذكي مما ينبغي ولم يخطأ ولا خطأ واحدا استغل كل شيء منحوه إياه بحنكة وحرفية كبيرة فلمع نجمه أكثر مما خططوا له .. كانوا بالفعل يخططون لقتله قريبا حتى قبل حكاية توبته والتي لم تكن سوى ذريعة وحسب فقد كان خالد كالورم الخبيث ينمو بسرعة كبيرة ومنخيفة وكان من الضرورة استئصاله قبل أن يصيب جسد المنظمة بالعطب .. لم يعرف الباشا ولا رجاله أن خالد عرف وجوههم واحدا واحدا، لم يعرفوا أن محامية مغمورة هي زوجة أحد رجالهم تعرف عنهم أضعاف ما يمكن لهم أن يتصوروا .

لم يتغير خالد كثيرا في البداية ليس في تصرفاته الظاهرية على الأقل، هادئا رزينا متزنا، لا يمكن أن يعرف أي أحد ما يدور برأسه لكن التغيير أتى بهدوء وعلى مر السنين، كانت القوة التي امتلكها تسري في عروقه

تهبة إبليس

مسرى السموم كلما طال بها الأمد وكلما تخللت الأنسجة والخلايا كلما
تفاقم جنونه .

الشهور الأخيرة مع خالد كانت جحيما حقيقيا خاصة مع اكتشافه لعدم
قدرته على الإنجاب، بدا كأن شيطانا جديدا قد استيقظ في داخله،
كانت لديه رغبة عارمة في الانتقام من الناس والحياة كلها، انتقامه الذي
أحرق شقيقته وزوجها وطفلها والباشا وريم والمنظمة وحتى سوزان نفسها
وأخيرا خالد .. كان هو أكثر من احترق بنار غضبه، تلك الليلة في
قصرهما بالإسكندرية بلغ غضب الجميع ذروته .. المسدس اللعين الذي
تناقلته الأيدي والرصاصات التي أطلقت.... فلم يعد واضحا من منهم
حقا أطلق الرصاصة صوب صدر خالد ... هي أم يوسف أم آدم .

تسارع نبضها وزاغت الرؤيا وتنبه ياسين لها وأدرك أنها على وشك فقد
الوعي، سارع بهز كتفها ومناداتها لتستفيق ثم ناولها زجاجة عصير كانت
من ضمن المشتريات .. فتحت عينيها على مهل وهي تحديق باللاشيء
قبل أن تجهش في البكاء وهي تحاول قدر استطاعتها أن تسيطر على
انفعالها ولكن أنى لها أن تفعل وقد شج الحزن القلب؟

توبة إبليس

يوسف كان هناك تلك الليلة، رأى شقيقها يقتل ولم يحرك ساكناً أم تراه من اقترفها، سوزان وآدم والباشا أيضاً كانوا هناك، أفراد العصابة اللعينة اتفقوا على شقيقها وقتلوه.

تأملها ياسين في صمت عاجز ما كان له أن يواسيها وهو يحتاج المواصلة قدرها وربما أكثر.

الأشياء التي تجرحنا إلى حد نفقد فيه اتزاننا للأبد .. الأوجاع التي تذهب العقل وتهلك الروح وتلبسنا قشرة لا تشبهنا تحجب عنا النور فيموت الإيمان معطوباً وينمو اليأس كنبته خبيثة تنشر بذورها في حنايا القلب .. العاصفة التي تغير وجهة القلب وتسلبه كل شيء لتتركه وراءها كعصف مأكول كفتات لا روح فيه .. جذوة الغضب وحدها توقد في الصدر لوعة الخيبة وحدها تنبض منذ الساعة .. صرخة الفجيعة هي الصوت الوحيد الذي يتردد في خواء الضلوع .. ومطر الحزن الأزرق يساقط على القلب كالجمر المتقد !!

وقفت وهي تمسح دموعها بعد ساعة متصلة من البكاء المحموم الذي لم ينقطع حتى تورمت عيناها وشحب لونها وانطفأ كل شيء في داخلها تماماً.

توبة إبليس

- لنذهب للقاء شقيقك.

- لماذا؟

سأل في قلق فأجابت:

- لأنه الوحيد الذي بوسعنا أن نصل له .. إذا كنت تعرف مكان سوزان
أو يوسف فلنذهب.

نبرتها المستهجنة جعلته يقف مسرعا، قال لها:

- حسنا ولكن فيما تفكرين؟

أجابت بنبرة قاطعة:

- لقد توقفت عن التفكير.

وكان هذا هو أكثر ما يخشاه هو الآن برفقة شعلة غضب لن تخمد ..

هناك خطورة كبيرة في مواجهة الجنون في مقلتيها وهناك خطورة أكبر في

محاولة ردعه !!

أوقف ياسين السيارة أمام المبنى حيث يقطن مع شقيقه وقبل أن يترجل هو وفريدة من السيارة ألفيا آدم يغادر بسيارته فقالت له فريدة وهي تقبض على معصمه:

- لنتبعه.

قاد ياسين السيارة متتبعا آدم الذي أوقف السيارة أمام بناية تكاد تخلو من السكان وترجل نحو الدرج واختفى داخل المبنى .. همت فريدة بفتح الباب لتتبعه لكنه أشار لها

- انتظري هنا .

وغادر السيارة دون أن يضيف شيئا آخر .. غاب داخل المبنى عشر دقائق ثم خرج وجلس في السيارة فسألته

- ماذا حدث ؟

- لا شيء، يبدو أن عائلة زوجته الراحلة قد انتقلت إلى هنا.

طالعه في شك وقالت

- لنتظره إذن.

توبة إبليس

أدار السيارة وانطلق متجاهلا اعتراضها

- لنذهب إلى المنزل ولنفكر بهدوء.

تنهد وحك أنفه بسبابته في توتر، أشاحت بوجهها في صمت وقاد هو الطريق حتى المنزل .. عادا إلى الشقة وكانت مذكرات خالد كما هي على الطاولة كما تركاها حدجها بطرف خفي وسار نحو الشرفة حيث جلس على الكرسي ودخلت هي إلى المطبخ وعادت بعد مدة تحمل كوبين من العصير ناولته واحدا وجلست على الكرسي المقابل، كانت خيوط الفجر تشق سبيلها في عتمة الليل البهيم .. وقلبها المجبول على الحزن يتشبث بالمشهد ويسأل هل من فرج قريب .. هل من نور ينبثق في نهاية النفق أم أن غطاء العتمة سيحجب الشمس دهورا طويلا .

اهتزت رؤيته فتشبث بالكرسي لكن دواره اشتد فأطبق جفنيه، سأله في

قلق

- مالخطب ؟

- أعتقد أنني مرهق.

سحبت كأس العصير الفارغ من يده وأخبرته أن يستريح قليلا على الأريكة مادام مرهقا إلى هذا الحد .. فتح عينيه ووقف سائرا نحو الأريكة مضطرب الخطوة وقد ماتت الارض به وهي تطالعه حتى سقط على وجهه، وضعت كؤوس العصير أرضا وسارت نحوه، جلست إلى جواره ومدت يدها في جيبه واستخرجت سلسلة مفاتيحه ومسدسا "كان عليه أن يأتي بكذبة أفضل" فكرت وهي تتأمل وجهه، هذا الأحمق ظن أنه يستطيع أن يخدعها، لسوء حظه أنها وجدت علبة أقراص منومة في درج الكومود ليلة أمس .. لكن مفعولها سينتهي خلال ساعتين على الأكثر وعليها أن تتصرف قبل أن يفتح عينيه من جديد !

قبل ساعة

كان يصعد الدرج في طريقه إلى الشقة حيث اعتاد أن يلتقي يوسف، دق جرس هاتفه فأجاب قال له يوسف بصوت مضطرب

ياسين وفريدة أمام البناية، ياسين تبعك إلى

الداخل.

ازدرد لعابه بصعوبة وأنصت لما قاله يوسف ثم أغلق الهاتف وأكمل طريقه نحو الأعلى حتى وصل إلى الشقة، فتح الباب وتركه مفتوحا ودخل، وقف ياسين قريبا من الباب وحين وضع بالكاد إحدى قدميه داخل الشقة تلقى ضربة على رأسه أفقدته وعيه، هرع آدم من الداخل ليرى يوسف واقفا خارج الشقة يحمل الهراوة، قال له بنبرة جامدة

— بدل ثيابك سريعا .

هز رأسه تفهما وسحبا ياسين إلى الشقة حيث تبادل الثياب وخرج آدم في الهيئة التي دخل بها توأمه، وشد يوسف وثاق ياسين إلى أحد الكراسي .

فتح ياسين عينيه بصعوبة مغالبا ألما مبرحا في مؤخرة رأسه .. استقر بصره بعد دقيقة ليجد يوسف يجلس على الكرسي أمامه محدقا فيه وقد غرقت ملامحه في هم عظيم .. تبادلنا نظرة صامتة قبل أن يقول يوسف

— لماذا أتيتما ؟

- شاهدنا شريط المراقبة، رأيناك أنت وآدم تخرجان من منزل خالد بعدما
قُتل

عض يوسف على شفته ونكس رأسه المثقل بهوممه .. لقد وضع خطة
مثالية ولكنه ما عرف أن فريدة ستكتشف ما حدث قبلا .. كيف يواجهها
الآن؟ لا مقدرة لديه على شرح الأمر فكيف يرد عن نفسه الاتهام القاتل
الذي سيراه في عينيها !!

وضعت الصندوق عند عتبة الباب وغادرت غير منتبهة لكاميرا المراقبة
التي ثبتها آدم أمام باب الشقة بعد عودته من الخارج هذا الصباح،
فالتقطت صورة قريبة لوجهها .. صورة يسهل تمييزها حتى مع نظارة
الشمس والقلنسوة التي تغطي رأسها

٤

"ليس الملاك ملاكا بإرادته وليس الشيطان

شيطانا بإرادته لكن الإنسان أحدهما بإرادته"

تركي الحمد .

صباح اليوم السادس - منزل ياسين

جلست على الاريقة تتفحص آدم الذي شدت وثاقه إلى أحد كراسي
طاولة الطعام ، مرت ثلاث ساعات بالفعل قبل أن يفرق أهدابه ويستوعب
الموقف كلياً .. حاول أن يحرك جسده ليتخلص من قيده لكنه فطن إلى
المأزق الذي وقع فيه حين رمته بنظرة رأى فيها لمعة شر ولهب انتقام ..
بلل شفثيه بطرف لسانه وتنهد وسط الصمت المخيف الذي احتقن به جو
الغرفة .. مسدسه في يدها والجنون المرسوم على ملامحها يثير
الأعصاب .. لم يكن يخشى الموت بل يخشى أن يقضي نحبه قبل أن
ينهي ما بدأه .. لا يمكن أن يذهب للحياة الآخرة بانتقام مبتور .. شقت
فريدة الصمت أخيراً

- أخبرني بكل ما حدث يا آدم ..

رماها باندهاش

- كيف عرفت ؟

تذكرت ما حدث قبل يومين حين كانت تجلس في بهو الفندق مع ياسين في انتظار حضور يحيى المحامي .. أخرجت من جيبها خاتما اشترته قبل دقائق من محل الهدايا الموجود بالفندق وطلبت منه أن يرتديه حتى تستطيع أن تميزه به عن آدم إذا ما اضطرنا لذلك في أي وقت ، تناول الخاتم من يدها وتفحص تصميمه الرجولي ولونه الفضي ثم وضعه في بنصره الأيسر وقد استساغ الفكرة ، كان ياسين يرتديه حتما قبل أن يدخل إلى المبنى وعاد دونه وكانت ثيابه غير مهندمة وكأنه ارتداها على عجلة فأدركت خدعته سريعا ، ظن آدم أنه يقودها إلى الفخ لكنها كانت من اقتادته إلى الشقة وأحكمت الشرك حوله ، أسبل أجفانه كدرا لما انتهت من شرحها لحقيقة ما حدث لاعنا غباءه وتهوره ، كررت فريدة سؤالها عما جرى تلك الليلة وشعر أنه لا يملك خيارا سوى أن يقول لها ما تريد أن تسمعه .. ويفصح لها عن خبايا الليلة المشؤومة ، كانت ستعرف قريبا على أي حال ، فما الضير ؟

يوم مقتل خالد -

التاسعة مساء

الاسكندرية

دخل إلى الشقة المعتمة أوقد المصباح وأغلق الباب دونه ثم تقدم نحو الصالة التي كانت في فوضى عارمة تحوي ثلاث كراسي خشبية ومكتبا صغيرا مغطى بأكوام من الأوراق .. وعلى الجدار تم لصق أنواع مختلفة من الصور وقصاصات جرائد أغلبها عن خالد وبعضها عن المتهمين الآخرين في القضية التي كانت ريم مسؤولة عنها ، وفي ركن بعيد استقرت طاولة أفرد عليها مجموعة رسائل وصور له ولريم وياسين ووالديها ، قرأ الرسائل وفهم أنها رسائل تهديد إلى ريم ، كل واحدة مصحوبة بصورة لأحد أحبائها كوسيلة ضغط لكي تمنح صاحب الرسالة مبتغاه ..

جملة واحدة كانت تتكرر في الرسائل بالحاح

" الوقت يداهمك ، حياتك الثمينة مقابل ما أريده "

من هدها ؟ كان السؤال عصيا على الإجابة ، أعياه البحث منذ وفاتها عن طرف خيط يدل على القاتل لكنه لم يهتدِ لشيء ، كل ما قاله الشهود هي أشياء كان يعرفها بالفعل ، في النهار الذي ماتت فيه كانت سيارة

دفع رباعي سوداء تعكف أمام العمارة المطلة على الشارع الرئيسي وكان قد لاحظها هو الآخر في صبيحة ذلك اليوم في طريقه إلى العمل لكنه لم يعرها انتباها .

في السابعة مساء غادرت ريم المنزل وكانت تقطع الطريق حين اغتالها رصاصة أدت إلى الوفاة الفورية ، اتصل الجيران بآدم بعد اتصالهم بالإسعاف ليبلغوه بالواقعة لكن كليهما وصل بعد فوات الأوان .

اتجهت شكوك الجميع نحو خالد حتى الصحافة اهتمت اهتماما خاصا بالموضوع خاصة بعد مهاجمة آدم لخالد واتهامه علنا أنه المسؤول، لكن خالد التقى بآدم بعد الحادثة بأسابيع وأغلظ له الأيمان أنه لم يفعلها وأنه يملك دليلا يبرئه لكنه لا يجسر على مشاركته إياه قبل الوقت المناسب، توسل عطف آدم ليصدق مؤكدا له أن صداقتهما الوطيدة تحول بينه وبين ارتكاب شيء بهذه الفظاعة خاصة أنه التزم بعهد السابق بعدم التعرض لها بعد رفعها للقضية وعدم الكشف عن حقيقة اشتراك آدم بنصيب لا بأس به في الاتهامات التي توجهها له ، كما كان من غير المنطقي أن يقدم على تلك الفعلة وريم خسرت القضية على كل حال .. ما الجدوى ؟

وكان حديث خالد منطقيا على نحو ما وإن لم يصدقه آدم كليا ، اليوم تحديدا وبعد تحقيق مضني وصلته رسالة بعنوان هذه الشقة ومعها المفتاح وملحوظة تخبره أن ريم قضت أواخر أيامها تتردد لسبب ما على هذا المكان فسارع بالمجيء وهو الآن لا يدري لما تم اقتياده إلى هنا ، لابد أن من أرسل الرسالة أراد أن يخبره بشئ ما ..

وجد وسط رسائل التهديد صورة للباشا ، وضع على ظهرها علامات استفهام ، رجف قلبه رعبا والتفت إلى المكتب ونسق الأوراق الموجودة فوقه حتى وجد ملفا يدين الباشا بجرائم كفيفة بسجنه مدى الحياة ، صور قتلى وعناوين شهود وحسابات بنكية وأوراق مزورة ، هل لهذا هددها الباشا ، سمع رنين هاتف قريب نظر حوله وتتبع الصوت ، حتى وجد هاتف المنزل فأجاب ، أتاه صوت خشن يقول

— ماذا تفعل هنا ؟

— من تكون

— لا يهم ، كيف وصلت إلى هذا المكان ؟

أجاب آدم في حلق

— سأسألك للمرة الأخيرة من تكون ؟ وما علاقتك
بريم وبما يحدث ؟

— لست في موقع يمكنك من طرح الأسئلة حضرة
الضابط ، لقد حضرت متأخرا للغاية ، لن تتمكن من إيجاد القاتل لأنه
أمام عينيك وأنت من يتعمد ادعاء العمى

— اسكت ..

— ماذا ؟ هل أنا مخطيء ؟ واصل البحث في الشقة
إذن وأذهلني باستنتاجك

أغلق المتصل الخط ، ووقف آدم مستثار الأعصاب ، ترتجف يده
الممسكة بالسماعة ، من المتصل ؟ وهل يعني ما فهمه آدم ؟ لو جمع
كل شيء يعرفه مع بعضه وبما وجدته فإن الأدلة تتجه جميعا إلى الباشا ،
كانت تتجه له من البداية ، جمع آدم كل ماظن فيه الأهمية وغادر الشقة
على حافة فقد العقل كليا ، كان القاتل نصب عينيه طوال الوقت لكنه
كان يفتش في المكان الخطأ ، لم يكن يعرف أن زوجته الحمقاء تعرف
شيئا عن الباشا ، كان يظن أن عداؤها الوحيد مع خالد لكن كما خمن

سابقا كانت ريم تعرف الكثير ، تندفع بشجاعة ورعونة نحو الخطر دون أدنى قدر من الحذر فلا يعينها سوى أنت تبلغ مسعاها ولو كلفها الأمر حياتها وقد كان ، كان الألم يملؤ جنانه ويخنق أنفاسه واستشعر لوهلة أن جمجمته ستنفجر بفعل غليان الدم فيها ، فتح نافذة السيارة فدف الهواء بارد يلفح وجهه المحتقن ، صورتها ربضت أمام حدقتيه ودمها الأحمر القاني زحف على زجاج السيارة كالسيل فصار مرمى بصره مصبوغا بالدماء ضغط البنزين وتمنى لو أنه يصطدم بشيء ما فيودي بحياته من فوره دون ألم أو عذاب ، ولتزحف عتمة النهاية ويسدل الستار ويتبدد هو في الهواء ويصير عدما .

في مكتب الباشا حاول الحراس منعه من الدخول بعدما تراءت لهم حالته الثائرة لكنه مرق عبرهم ودخل إلى المكتب فتبعوه إلى الداخل وكبلوه بأذرعهم القوية فلم يستطع أن يخلص نفسه منهم .. انتابت الباشا الدهشة لبرهة وتبادل نظرة ريب مع يوسف الجالس أمام المكتب قبل أن يأمر الحراس بترك آدم الذي انتهز الفرصة ووثب سريعا صوب المكتب ليمسك الباشا من تلايبه وينهال عليه بعدة لكلمات غاضبة قبل أن يكبله الحراس من جديد ويعدونه عنه ثم يحاصرونه بأجسادهم الضخمة

ويكيلون له اللكمات والركلات فيسقط صريعا تحت أقدامهم التي تعهدته بالضرب حتى نرف من فمه وأنفه وصوت يوسف يتردد بعيدا يأمرهم بالتوقف يتبعه الباشا بعد عدة دقائق حين ظن أن ما ناله آدم كاف لتقويض غضبه .. أجلسه الرجال أرضا وامسكوا بذراعيه ووجه له الباشا السؤال عما جرى فأخبره آدم بنبرة غضبي ما اكتشفه واتهمه اتهاما صريحا بقتل زوجته .. قال الباشا

- لم أقتلها ، عليك أن تعرف جيدا أنني لا أورط نفسي واسمي في قضية كهذه

أجاب آدم مهتاجا

- ورسائل التهديد ؟

- لم أكن الوحيد الذي أرسل لها رسائل تهديد ، جميع رجال المنظمة فعلوا حين رفعت القضية ، كان الهدف إخافتها وحسب

ثم أضاف الباشا بعد لحظة صمت

- شخص واحد كان جادا كفاية في تهديده ، لأنها

مست سمعته على الملأ

خالد

قال آدم كمن يدرك حقيقة غائبة عن ذهنه فقال الباشا

ولدي الدليل

أشار لماهر الذي فتح الخزانة المجاورة للمكتب واستخرج منها جهاز تسجيل ومجموعة من الصور وضعها أمام آدم لخالد وريم وهما يدلان إلى المبني السكني الذي زاره سابقا الليلة ، شرح له ماهر أن خالد حاول تهديدها مرات عدة والتقى بها كثيرا محاولا أن يشيها عن القضية لكنها أبت وشغل له تسجيل صوتي المكالمة هاتفية بين ريم وخالد ، كانت ريم قامت بتسجيلها وأخذها رجال الباشا حين قاموا بالبحث في أغراضها .

خالد : تدركين أن قضيتك خاسرة بالفعل فلماذا لا تتراجعين ؟..

ريم : ليست قضية خاسرة أنت أكثر من يعرف ذلك

خالد : لا تتفاخري كثيرا بالأدلة التي تملكينها ، إن الأمر في النهاية بين

يدي وأنا قادر على إثبات كذبك ولو قدمت ألف دليل

ريم : لو كان الأمر كذلك لما كنت تتحدث معي الآن ، أنت خائف مما

أعرفه وما أملكه

خالد بغضب : برأبي لا تكوني واثقة إلى هذا الحد ، رصاصة واحدة في قلبك كفيلة بإنهاء كل شيء

أغلق ماهر التسجيل الذي أوضح أنه تم تسجيله قبل وفاة ريم بساعات ، وقال الباشا

– لقد نفذ تهديده حرفيا كما ترى

تمتم آدم كأنه يهذي

– أخبرني أنه لم يفعل

فتدخل يوسف قائلاً

– كأنها المرة الأولى التي يقتل فيها شخصا بريئاً يا آدم

وقال ماهر

– لو واجهته بالأدلة لن ينكر

وعاد يوسف يقول

– أظنه في قصره الآن إن أردت أن تراه

وأجاب ماهر

- لا يوجد حراس حول القصر الليلة ، صرفهم جميعا في الأسبوع الماضي لثلا يلفتوا الأنظار ، وحتى لا يعرف أحد أنه يختبئ في الأسكندرية ، لا يوجد سواه هو وسوزان

جلس الباشا خلف مقعده يراقب المشهد ينتقل بصره بين ماهر ويوسف وآدم وهو يفكر .. يوسف لم يغفر لخالد بعد ما فعله بزوجه وطفله وآدم الآن في ذروة غضبه سوزان أيضا لم يمضِ وقت طويل منذ وشايتها بخالد وقصة توبته .. هل هذه هي اللحظة المثالية لجمع هؤلاء جميعا في مكان واحد ، أليس معقولا أن يستغل كل هذا الغضب للتنكيل بخالد وتعليمه درسا قاسيا وكبح تمرده الخارج عن السيطرة ؟

كان ماهر ويوسف ينتظران الاجابة من آدم لكن الرد أتى من الباشا - لماذا لا نذهب إذا لتحدث إليه ولتواجهه يا آدم بكل ما قلناه لك ، لتعرف من منا قتلها حقا ؟ .

دارت العيون تحديق به في مفاجأة ودهشة .. قبل أن يقول آدم بصوت جريح

- لنذهب

أصر يوسف على اصطحاب آدم فما كان ليتركه وحده مع الباشا وهو يدري كيف يمكنه استغلال غضبه لمآربه الخاصة ، ارتدى آدم قلنسوة معطفه واسند مؤخرة رأسه إلى الكرسي ، أغمض عينيه التي خانتها الدموع ، زلزلت نبضاته المحمومة فؤاده و اسود وجهه وغارت عيناه ، ساعة مضت وكأن ملامحه كبرت عاما كاملا بالفعل ، تارة يستشعر جسده ثقيلًا كجبل وتنقبض أنفاسه ثم في لحظة يشعر كذرة غبار عالقة في عاصفة هوجاء ، كل شيء كان جنونيا للغاية والحزن والفجيعة كانا ينغرسان في لحمه كألف سكين يمزقه !!

قصر خالد درويش - بعد

منتصف الليل

كان شعرها مشعثا وخيوط الدمع المختلطة بالكحل ترسم خطين أسودين على خديها ، وأصابع خالد قد تركت أثرها على وجنتها المتورمة وشفثها النازفة ، أشلاء زجاجة المشروب التي حطمها خالد بعد أن فرغ منها ملقاة على الأرض ، استقر على الطاولة مسدس محشو بالرصاص وإلى جواره خمس رصاصات أخر خلفها وراءه قبل أن يصعد إلى غرفته يجر جسدا أنهكه الخمر وعقلا يقظا لا يمكن لشيء أن يذهب بإترانه ..

دق الجرس فوقفت تدهس حطام الزجاج بقدميها تاركة أثر دماء وراءها
 فتحت الباب فظهر الرجال الثلاثة من وراءه ، تغير تعبيرهم الباهت إلى
 الصدمة حين ظهر وجهها في هيئته المرعبة قبل أن يختل اتزانها وتكاد
 تسقط أرضا لولا أن التقطتها يد يوسف وسحبها إلى الداخل يتبعه آدم
 والباشا يطالعان الفوضى في دهشة ، وقع بصر آدم على المسدس بينما
 ساعد يوسف سوزان لتستفيق وسألها في قلق عما جرى فشرعت في
 البكاء ولما سألها عن مكان خالد أشارت للطابق العلوي .. باغتهم آدم
 بحركة مفاجئة التقط فيها المسدس عن الطاولة وهرع نحو الدرج فتبعوه
 جميعا إلى الأعلى حتى سوزان التي كانت تسحب قدمها النازفة .
 فتح آدم الباب فرأى خالد انعكاسه الغاضب في المرآة التي وقف أمامها
 لم يكذب يلتفت حتى دفعه آدم بركلة فارتطم جسده بالمرآة لتتحطم
 ويسقط هو أرضا يئن ، رفع رأسه فترأت له أشباح الثلاثة الواقفين عن
 الباب ، انهال آدم على وجه خالد باللكمات دون أن يتسنى له أن يفهم
 أو أن يلتقط أنفاسه ، كانت ثورة الغضب التي اجتاحت رفيقه تعمى عينيه
 ولولا أن سارع يوسف بإنقاذه من بين يديه لقتله حتما ، وقف آدم لاهثا
 ينظر للوجه المضرج بالدماء و صوب المسدس نحو رأسه صارخا

توبة إبليس

- لماذا قتلتها ؟

سعل خالد دما واستند على ذراعيه ليجلس محاولا أن يفتح عينيه

المتورمتين وقال من بين شفثيه المخضبتيين بالنزيف

- لم أفعل..

صرخ آدم وهو يدفعه بقدمه

- لا تكذب ، عرفتُ كل شيء

أعد مسدسه وهتف

- ماذا كنت تريد منها ؟ ماهذا الغرض اللعين الذي

كان ثمنه حياتها ؟

أعمل خالد نظره في الباشا فرأى على شفثيه ابتسامة متشفية ثم ارتد

ببصره إلى آدم مؤكدا من جديد

- ثق بي يا صديقي لم أقتلها

بلغ غضب آدم أشده والتحم إصبعه بالزناد ثم سدد رصاصة إلى الجدار

وعاد يوجه فوهة المسدس الى وجه خالد الذي ابيض من الرعب

توبة إبليس

- اعترف ..

وقف خالد على قدميه قائلاً

- لم أفعل وليس لدي ما أعترف به

- خالد .. !

قالها آدم وهو يضغط على الزناد فتطلق الرصاصة عبر الفوهة بعد لحظة

واحدة من دفع يوسف ليد آدم لتحيد الرصاصة عن طريقها وتستقر

بالجدار ، جثا خالد على ركبتيه بعدما كاد قلبه يتوقف وatakأ آدم على

الخرانة لاهثا يعلو نسيجه ، شطر منه يبكي وشرط يموت ، تقدم الباشا

ووقف أمام خالد فرفع الأخير رأسه ينظر له بغضب حقيقي ، جلس الباشا

القرفصاء أمامه وقال وهو يثبت نظره في عيني خالد

- تريد أن تتوب ؟ تظن الأمر بهذه السهولة ؟ أتظن أن ما فعلته سيدفن

ولن يأتي ليلاحقك ، هل سينسى آدم أنك قتلت زوجته ؟ أم ينسى

يوسف أنك قتلت ابنه ؟

نكس خالد رأسه ضيقاً وهما فاستطرد الباشا وهو يخرج من جيبه ورقة

- لا مفرياخالد ، والآن حان الوقت الذي تتجرد فيه من كل شيء

اتجهت له أنظار كل من في الغرفة ، فض الورقة واخرج من جيبه قلما

- وقع هنا

هز خالد رأسه نفيًا كأنه يعرف محتوى الورقة بالفعل

- لن أتنازل عن أي شيء ، أنا على قيد الحياة حتى اليوم لأنك تخشى

مصير أملاك المنظمة المسجلة باسمي ، تراني مجنونًا حتى أوقع لك

وأهديك الدرع الذي يحمي روحي

غرس الباشا أصابعه في شعر خالد وجذب رأسه للوراء فارتسم الألم على

ملامحه

- لست في موقف يسمح لك بالعناد

بصق خالد على وجهه وابتسم ابتسامة خبيثة فصفعه الباشا صفقة عنيفة

غضبي ثم وقف وضغط على صدغه بقدمه ونظر إلى آدم ومد يده

- ناولني المسدس

ففعل بلا تردد وصب الباشا المسدس نحو رأس خالد

- انت هنا وحدك .. لو قتلتك الآن لن يدافع أي واحد منهم عنك

أدار خالد بصره في الوجوه فأشاح يوسف بوجهه وطالعه سوزان بحنق
بينما لم يرفع آدم وجهه وبدا كأنه تحجر على هيئته تلك ، اغرورقت
عيناه بالدموع وضحك ثم بكى ثم ضحك ، زاد الباشا من ضغط حذائه
فقال خالد بمنتهى الخيبة

- سأوقع

رفع الباشا قدمه فوقف خالد مستندا على يديه مد الباشا يده بالعقد
فباغته خالد بدفعة وانتزع المسدس من يده ، أطبق يوسف عليه بضربة
على رأسه فالتفت في هلع ليرى غدرا في عينيه كواه ، شعر بيد تنتزع
المسدس من يده فنظر أمامه ليجد آدم يلحظه بغضب وصوت الباشا
يتردد ضاحكا ساخرا منه ، وجد خالد نفسه محاصرا فركض نحو الباب
دافعا سوزان لتسقط أرضا انحنى يوسف ليساعدها بينما لاحق آدم خالد
نحو الأسفل ولحقه الثلاثة الآخرون ليجدوا خالد يجثم أرضا لاهث
الأنفاس بعد عرقلة عنيفة من آدم جعلته ينكفأ على وجهه ، نفذ صبر
الباشا فصرخ في خالد وقد تعاظم جسده واحمر وجهه

- وقع الآن

تناول خالد العقد ووقع مجبرا ، وأعادته للباشا مكرها وفوهة المسدس التي تقبض عليها يد آدم موجهة لصدره

- لا تقتله ، ليس هنا وليس بهذه الطريقة ، إنه لا يستحق هذه الرحمة ، إن انتقامك الحقيقي هو في بقاءه على قيد الحياة وتجريده من كل شيء

قال يوسف ثم استطرد

- فلنذهب يا آدم

لم يقتنع آدم فكان وجه ريم يلاحقه ، وقال يوسف حين لاحظ حيرته

- تذكر أن ريم لم تكن تريد لك أن تقتله .

قبض آدم على المسدس قبل أن يلقيه تحت قدميه بعنف وابتعد ، اقتربت

سوزان منه وقد امتلأت عينها بالكراهية والشماتة

- قلت لك كما كانت البداية بيدي فإن النهاية ستكون بيدي

انتفض واقفا

- أحسنت ، ها قد خنتني وسلمتي نحري لهم فماذا استفدت أيتها

الحمقاء

- كفاني أن أراك هكذا ضعيفا منزوع السلطة والقوة

صفعها صفعه عنيقة أسقطتها أرضا ، فالتفت يوسف نحوهما وكان متجها

نحو باب الفيلا للمغادرة مع الباشا وآدم الذين التفتا بدورهما وكان

الشجار قد احتدم ، تقدم خالد بجسده الغاضب نحوها وهي تصرخ

- أنت السبب في كل شيء ، أنت من دمر حياة الجميع

لكن النظرة في وجهه كانت مرعبة إلى حد جعلها تمسك المسدس

الملقى أرضا إلى جوارها وتصرخ فيه

- ابتعد عني ياخالد

لكنه اقترب منها هائلا فضغطت الزناد دون وعي ولفرط رعبها لتخترق

الرصاصه صدره وسط ذهول الواقفين قرب الباب .. جحظت سوزان

عينيها لترى خالد يتهاوى أرضا على وجهه سابحا في بحر من الدماء ..

تركت المسدس ووقفت راكضة خارج القصر ولحق بها الباشا مخافة أن

تسبب في فضيحة ، اقتادها إلى سيارته وغادرا المكان سريعا

الحاضر

افترشت فريدة الأرض وهي تنصت لآدم

- حتى آخر لحظة لم يرد أن يرحم أحدا

أجابت فريدة بنبرة باهتة وهي تحديق بالفراغ

- قال أنه أراد التوبة

- كذبة ، لا تصدقي

رفعت عيونها وقالت بكراهية

- كأنك تختلف عنه في شيء ، كنت حاضرا ورأيت القاتل بعينيك

وأخفيت الأدلة

- لم نملك خيارا ، هددني الباشا بحياة شقيقي وهدد يوسف بحياتك

أغمضت عينيها لتسقط دموعها مدرارا ، ثم وقفت لتفك وثاق آدم الذي

قال لها

- ليت بوسعي القول أنني آسف ، لكنه استحق هذه النهاية

تجاهلت فريدة كلماته القاسية قائلة

- ما يهمني الآن حقا أن أعرف أين ياسين ؟

تنحج في حرج

- في الشقة مع يوسف ، أعتذر حقا لكن لم يكن من المفترض أن

تكتشفا شيئا عما كنا نفعله ، اقتربتما كثيرا من منطقة الخطر ، وصرتما

هدفا أساسيا للباشا وظننا أن تفريقكما سيكون حلا أفضل

تساءلت

- لماذا ؟

- أفضل أن يخبرك يوسف حين نصل إليه

- حسنا

يقطع الرواق جيئة وذهابا وعينا ياسين تتبعانه في حلق وتوتر ، دق جرس

الهاتف فأخرجهما من تشنجهما ليحجب يوسف ، أخبره آدم بكل ماجرى

وأنه سيصل مع فريدة خلال دقائق ، أنهى يوسف الاتصال وارتدى على

أحد الكراسي لاهت الأنفاس ، عليه أن يشرح لفريدة حين تصل لما يفعل ما يفعله ؟ أليس هذا شيء يدعو للسعادة ؟ لكن قلقه من الفشل بث في قلبه رعبا وهما

ظل على هيئته حتى سمع طرقا على الباب فسارع بفتحه لتظهر من وراءه فريدة ترمقه بتعبير باهت ، تجاوزته إلى الداخل تبحث عيونها عن ياسين حتى اهتدت إليه فاقتربت منه تسأل

- أنت بخير ؟

اوماً بالايجاب فابتسمت في ارتياح وهمت بفك وثاقه لولا أن سبقتها يد يوسف لذلك ، حرر ياسين يديه وجلست فريدة على الأريكة بجواره وهي تقول ليوسف

- كنت تريد فرصة لأسمعك وها أنا ذا ...

رنا إليها متعبا وشرع يحكي ما قاله آدم بالتفصيل ووجه ياسين ينقبض ويعتليه غم وخيبة ، لقد تفهم بالفعل منذ زمن طويل معنى الغضب لأجل موت شخص يحبه ولم يكن ليلوم شقيقه ولو قتله حقا ولكنه لم يفعل ولم

يقف شاهدا ولم يخبيى المجرم لأنه أراد ذلك بل لأنه كان الثمن لحماية شقيقه ، هل ساءه أن يعرف أن آدم فعل شيئا صائبا أخيرا !

– أنا وآدم نعمل معا ضد الباشا والمنظمة .. الطريقة الوحيدة لتركونا وشأننا هي أن ننهي وجودهم تماما وقريبا سنتخلص منهم جميعا لم نرد لكما أن تعرفا ذلك حتى لا تتعرضا للخطر لكن هكذا صارت الأمور .. تبادل ياسين وفريدة نظرة طويلة صامتة ، وهمست له بصوت لم يسمعه سواه

– تصدقهما ؟

هز رأسه بالإيجاب ، نعم كان يصدق .. عيون آدم تقول الحقيقة وإن لم تكن كل الحقيقة فلكل حكاية ذيول لكنه كان يدري أنه على الأقل لا يكذب ...

كان ياسين يحاول أن يتلع صدمته فاستأذن بالانصراف ومعه آدم واستأذنتهما فريدة أن يصطحباها إلى المنزل .

كانا صامتين طوال الطريق كل غارق في أفكاره ، ياسين يتقلب بين جنبين جزء منه يصدق بل يشعر بندم حقيقي على شكه في آدم فيما هو لم يفعل شيئا إلا حمايته وهو الآن يسعى ليخلص البلاد من شرذمة الشر تلك .. لكن شيئا في داخله ظل يدق كناقوس الخطر واستشعر كأنما هناك حلقة مفقودة .. وأسئلة لم تجب بعد ..

وصلا معا إلى الشقة وكان الصندوق الأزرق المستطيل في انتظارهما انحنى آدم والتقطه وتبادل نظرة مع ياسين مألها التساؤل والفضول ، فتح آدم الباب ودخلا إلى الشقة ، استقر الصندوق على الطاولة التي يحدها كرسيان جلس كل منهما على واحد يرمق الصندوق في ترقب وقلق ، أراد آدم أن ينفرد بمحتواه لكنه عرف أن هذا مستحيل فدار بعينه في المكان هربا من تحديد توأمه حتى رضخ أخيرا وفتح الصندوق فوجد به ملفا ورقيا رمادي اللون مكتوب عليه بخط أسود سميك " منصور الوهبي "

كان منصور واحدا من رواد سوق الأغذية في مصر بداية من اللحوم والدواجن المجمدة إلى الخضروات والفاكهة والعصائر والمشروبات وقد

تحصل على توكيل منذ شهر لإحدى مطاعم الأكلات السريعة الشهيرة
وبدأت المطاعم في إخراج المنتج للجماهير منذ أربعة أشهر ..

تفحص التوأمان الملف وكان يحوي عددا من الكوارث مثيرا للغيثان
والقرف ، استخدام أطنان من اللحوم الفاسدة ، إعادة تعديل التواريخ عن
المنتجات المنتهية الصلاحية والتي تتم إعادتها للمصنع ووضع تواريخ
جديدة وإعادة ضخها في الأسواق ، خضر وفاكهة تم إثبات إصابتها
بالفيروسات نتيجة زراعتها في بيئة غير صالحة ، صور تثبت استخدام
فواكه متعفنة في إنتاج العصائر المحفوظة ، كما أن سلسلة المطاعم
المشكوك في أمرها كان قد بدأ التحقيق بشأنها بعد إصابة عدد من
الأفراد بالتسمم وتم التكتف على الأمر وإنهاء البلاغات بتعويضات مالية
للضحايا مقابل الصمت ، كان الملف يحوي صورا من المحاضر وتقارير
طبية وشهادات المصابين قبل تعديلها ..

أغلق آدم الملف قائلا بتهكم مرير

- يبدو أنني سأتوقف عن الأكل لزمّن طويل

ابتسم ياسين وسط قلقه ثم التقط رسالة كانت في الصندوق وقرأ بصوت يسمعه شقيقه

- آدم سلم الملف للصحفية نادين حجازي هذا رقم هاتفها

هي تعرف ماذا ستفعل ..

رفع ياسين بصره في دهشة

- نادين حجازي .. الصحفية التي نشرت مقال يوسف ؟

اوماً آدم بالموافقة فسأل ياسين من جديد

- من تظنه يرسل هذه الرسائل ؟

تذكر آدم كاميرا المراقبة فلاح في وجهه بشر سيطر عليه سريعا وقال بلامبالاة

- لا أدري !

ثم أخرج هاتفه واتصل بالرقم قاطعا الحديث متفاديا مزيدا من الأسئلة ، وقف وسار نحو غرفته وتحدث إلى الصحفية ليخبرها بما ورد له للتو واستغل ياسين انشغاله لينزع مفتاح شقة يوسف من ميدالية مفاتيحه ..

تأكد أن ياسين غط في النوم وعاد إلى غرفته ضغط زر تشغيل شريط المراقبة ، تسمر أمام الشاشة وهو يرمق اقتراب الظل من الباب ، انحنت تضع الصندوق فرفع ظهره متحفزا ، رفعت ظهرها رويدا وهو يقرض أظافره قلقا وأخيرا لاح وجهها على الشاشة كصفعة جعلته ينتفض عن كرسیه لاهت الأنفاس يمسك برأسه وقد تلاعب بها دوار شديد ، أعاد تشغيل الفيديو وعيونه تكاد تقفز من محاجرها ونظر بتعبير غاضب وهتف بشراسة وهو يحدق في الوجه الموجود على الشاشة

— أي لعبة تلعبين معي يا فرح

وكان وجه فرح يحتل الشاشة وقد ارتسمت على شفيتها ابتسامة واثقة ..

كان ينشد توبة ليس إلا وكانت النتيجة طريقا طويلا غير ممهد من العقبات كان عليه أن يتخطاه وكان ليفعل لولا أن صانع العقبات كان رفيق شبابه وخازن أسراره من يعرف كيف يتلاعب على أوتار نفسه ومن يدري مواطن الضعف في قلبه فلم يشق عليه أن يتلاعب به كما لم يشق

توبة إبليس

عليه أن يجتذبه إلى هذا العالم في المقام الأول .. كان يوسف مؤمنا بمبادئه إيمانا لا يهزه شك و ظن في نفسه القوة والثبات عند مواضع الاختبار وعرف معرفة الإنسان بحقيقة الشيء إلا شيء سيغيره ليحيد عن الطريق السليم حتى أنه سخر من ضعف خالد ولا إنسانيته ليضعه خالد في اختبار حقيقي جعله يدرك هشاشة مبادئه وضحالة إيمانه .. يوما كان يوسف مع فريدة في زيارة له في القاهرة وبعد عودتهما للاسكندرية بأيام جاء خالد لزيارتهما وانفرد به أمام المنزل في طريقه للمغادرة .. كانت الساعة قد تخطت منتصف الليل وخلا الشارع من المارة ، طلب خالد منه أن يفتح صندوق سيارته ففعل وأخرج خالد منها لفافة دسها في ركن غير مرئي ، تطلع يوسف في دهشة سائلا عن كنه هذا الشيء فأخبره أنها لفافة مخدرات وقد ساعد هو في تهريبها من القاهرة إلى الاسكندرية وثار تائرة يوسف وقبض على ثيابه وهتف به غاضبا يلومه لوضعه في موقف كهذا خاصة وأن فريدة كانت بصحبته فكيف استطاع وضعها في موقف سيء كهذا ؟ لكن خالد أكد له أن مامن خطر كان في طريقهما تلك الليلة .. وأنه أمن طريقهما حتى وصلا إلى المنزل لكن هذا لم يخفف من غضب يوسف وطلب منه أن ينصرف وألا يعود أبدا لكنه قبل

انصرافه ترك له مبلغا ضخما من المال وأخبره أن هذا نصيبه من العملية وتركه يتخبط في لجى الأفكار .. كان المبلغ كافيا ليحقق جزءا لا بأس به من أحلام يوسف ولكنه نهر نفسه وترك المال في السيارة حتى لا تراه فريدة وقرر أن يعيده لخالد في الصباح ..

كان هذا ما أراده خالد تماما ، أن يأتي يوسف ليزوره وحيدا في وكره حيث يمكن له أن يغويه بأسهل الطرق .. إن خالد بنفسه غواية كافية .. منذ اللحظة الأولى التي خطا فيها يوسف داخل الشركة ورأى بعينه احترام الجميع لخالد ومكانته الجديدة وقد تعكر معين الإيمان في داخله بل لعله فعل منذ رأى المال ليلة أمس ..

قادته السكرتيرة لمكتب خالد الذي كان مؤثنا بأفخر أنواع الأثاث وخالد يجلس على كرسيه خلف المكتب وقد منحه الكرسي مهابة .. حاول يوسف أن يرد عن نفسه وساوسه التي رجس صوتها وازداد تضخما في جوفه .. أعاد لخالد المال وسأله أن يكف عن التلاعب بأفكاره لكن خالد قد مس في صوته ميلا واضطرابا أكدا له أنه على الطريق الصحيح .. فمد له بطاقة بها عنوان المشفى الذي تقيم فيه والدته وقد كان يوسف يبحث عنها منذ غادر الملجأ وعرف بشأن سجن والده لكنه لم يهتد إلى

مكانها إطلاقا .. شرح له صديقه يومها بابتسامه أن هذه هي قيمة امتلاك السلطة في وطن لا يحترم إلا أصحاب السلطة .. تجاهل يوسف كل هذا وتناول البطاقة وانصرف لزيارة أمه في مشفى للأمراض النفسية والعصبية في الاسكندرية .. كانت صدمته الكبرى أنها لم تتعرف عليه ، وشرح له الطبيب أن والدته مصابة بحالة ذهان في مرحلة متأخرة وهي لا تعرف شيئا مما يدور حولها ، هي في كون آخر نسجت خيوطه كيفما شاءت هي ، عالم تحررت فيه من قيود الدنيا لقيود صنعتها يداها .. أخبره الطبيب أنه يظن أن والدته قد نسجت لنفسها سجنا وعاشت فيه لأنها تعتقد أنها اقترفت إثما يجب أن تعاقب عليه .. هي لا تتحدث إلى أحد تقريبا لكنها تهذي بحكايات عن رفقاء السجن الذين تراهم ويوحون لها بمآسيهم كل يوم ..

سأل الطبيب يوسف عن التاريخ المرضي للعائلة وتذكر يوسف خالا له كان يعاني من مرض نفسي هو الآخر وجدا هو والد جده لأمه حكوا عن إصابته بمرض عقلي بعد وفاة زوجته بأشهر .. وشرح له الطبيب أن هناك احتمالية كبيرة أن ينتقل الامر بالوراثة في العائلة ولكنه ليس شيئا حتميا بالضرورة ..

اكتفى يوسف بمراقبة والدته وحركاتها العصبية دون أن يقترب منها .. رأى في وجهها مستقبلا قاتما في انتظاره ، ربما يفقد هو الآخر عقله ذات يوم ، أخبره الطبيب أن الميل الجيني وحده ليس شرطا فهناك الكثيرون ممن أصيب ذويهم بهذه الأمراض ولم يصب بها غيرهم في العائلة وحتى مع حدوث كارثة تحفز الأمر فهذا ليس كافيا أيضا للإصابة بمرض نفسي أو عقلي .. مع حظه السيء هذا توقع أن يستيقظ ذات يوم فاقدا لذاكرته وعقله ، ستتكاثر الجينات مع الكوارث التي تحيط بحياته وتقوده إلى الجنون .. حررت رؤيا والدته ذكريات ومشاعر هرب منها طويلا وارتدت سماؤه بغيم التعاسة واستحال كل شئ في حياته وجعا لا يحتمل ، نظن أحيانا أننا نتخطى الأشياء لكننا لا نفعل كل معركة تترك فينا آثارا وجراحا قد لا تشفى يوما .

صوت خالد وزياراته لم تنقطع لشهرين ، وسوساته استمرت تعبت بحزن يوسف كل يوم ، وعده بمجد لم يحلم به ، بحياة لا سلطان لأحد فيها على أموره حتى المرض ، زين الطريق في عينيه وأخبره أنه سيكون صاحب شركة مثله ولن يتورط في أي شئ سيء ، مع أم فاقدة للعقل ووالد مجرم بدا ليوسف أن نهايته محتومة في أي من الطريقين وحسب ، أليس كل

شئ مقدرنا لنا مسبقا ؟ مامدى حريتنا حقا ومامدى قدرتنا على الاختيار ؟
وهل تشكل اختياراتنا فارقا حقيقيا ؟

متى نتغير حقا وكيف ننقلب من حال إلى أخرى وكأننا لم نكن نؤمن
بعكس ما نؤمن به الان .. ننظر إلى أنفسنا القديمة فتتراءى لنا كصورة
مهزوزة لا ملامح فيها ، تحتوي شيئا من ضعفنا القديم وهشاشتنا الآنية
ولكنها تختلف عنا كذلك .. نحن لا ندرك أنفسنا ونحن نتغير لا
نكتشف التغيير حقا إلا أمام المواقف التي تتباين فيها ردود أفعالنا تباينا
يدهشنا حتى أكثر من الآخرين

انقاد يوسف بغير هدى بعد أن غسل خالد دماغه وزرع فيها مبادئ وأفكارا
جديدة بعد أن صارت مبادئ يوسف زبدا يدفعه الموج ، مرت سنوات
وتحول يوسف لآلة تنفذ ما يملى عليها لم يرهق نفسه بالتفكير في الطريق
الذي يسير فيه لم يلتفت للوراء.

كان يخشى السقوط لو فعل ، حتى فريدة صار بينهما ألف جدار وهي
تمسك يده كل ليلة وتسأله عيناها أين أنت ؟ ماذا أصابك ؟ فيغض طرفه
ويهرب من الأسئلة ..

كانت تهرب مثله ولهذا لم يتجاوز السؤال عينيها يوما !

من هو المسؤول الحقيقي عما حدث لاطالما تساءل وأنكر كونه المذنب الأول .. لكنه يقر الحقائق الآن ويبصر الواقع على وجهه السافر لأول مرة . من هو مكن الشر إبليس أم الإنسان ؟ وهل من شأن إبليس أن يزرع في صدر المرء بذرة خبيثة ليست فيه ؟ ألا يناقض هذا معنى الإرادة الحرة ؟ ولماذا إذا يحاسب المرء لو أن الشيطان هو المحرك و الإنسان هو الأداة ؟

لا يمكن لإبليس أن يخلق دافعا ليس في النفس أصلا .. هو يحرك ماهو موجود وحسب ، يوسوس في خلد المرء ويثير رغبة كامنة في صدره ، يجعل الريح مواتية للإقلاع وأما دفعة القيادة وشؤون القرار والسير فهي للإنسان نفسه يتخذها إن شاء ويتركها إن شاء ..

وساوس خالد لم تكن هي الباعث وراء أفعال يوسف يقر أخيرا بل هي الوساس التي خرجت من بين ضلوعه ، هو صوت نفسه التي آنتت في كلمات خالد شيئا تشتهييه ومسعى تريد أن تطرقه فتشبتت بالكلمات التي قالها تشبتت الملهوف بقبور الأولياء والدرأويش.

إننا لا نعرف حقيقة أنفسنا ولا صلابة مبادئنا إلا أمام المغريات فساعتها يسقط قناع الزيف الذي نرتديه ليبدو أي شخص هو نحن حقا .. لا يمكن الاحتكام ولا الإقرار أننا نعرف في أنفسنا القوة وندري فيها الميل عن الشرور والآثام مادمننا لم نوضع حقا أمام مغريات تزعزع جذورنا وتختبر صلابتها وقتها وحسب يمكن القول أننا عرفنا قدر أنفسنا .. يسوؤه أنه اكتشف ساعة الاختبار أنه ضعيف النفس في تكوينه سهل الانقياد وراء رغباته وأن مبادئه الرنانة ليست من نفسه في شيء وأن شجاعته كانت سترا لعورة الضعف فيه ليس أكثر ..

لم يكن الجرم جرم خالد بل جرم الأذن التي أصغت والنفس التي حادت عن الصراط واليد التي لم تتورع عن اقتراف الفظائع التي ادعت يوما كراهيتها ..

كان يوسف وفي خضم لجى العاصفة يسأل الله أن ينقي روحه وينزع من نفسه حبا لشهوة وسلطة أرضخته عبدا ذليلا لها .. كان يدعو من أجل أن يغرس الله في قلبه قوة ليحارب ميل نفسه وضعفها ، حتى في أحلك لحظة لم يسكت ضميره أبدا ولعله لهذا أبصر طريقا إلى النور من جديد ، لعله ضعيف ولعل مبادئه هشة ولعل نفسه لا لجام لها لكنه امتلك ضميرا

يتعذب بالحياد عن الفطرة التي جبل عليها ، بالسلوك وفقا لتعاليم الخبث والوضاعة وتقرير مصائر الناس ، الإنسان يبقى نقياً بطبيعته ولو زرعت الحياة فيه بذرة شر ولو سبغت روحه بألوان الحقد ولو تعكر صفو نفسه بأطماعها وتظل النفس تبحث عن الله ولو استحال الهوى إليها يعبد ويطاع ..

وكان الله شاء امتحانه من جديد ، بعث له فرصة ثانية تمثلت في طفل يبصر الحياة فيبصر معه سبيل نجاة ، زرع الله في صدر يوسف أملاً جديداً وأعاد الأمل له روحه شيئاً فشيئاً ، كان غير راض عن كل أفعاله لكنه أسكت ضميره حتى أرسل الله له الإشارة ليتحرر ، كان اختباراً حقيقياً لنقاء سيرته وأربع سنوات منذ انحدر بنفسه في قاع الأخطاء غيرته كلياً ، وبدلاً من تحطيمه وتلوينه وقد فعلت في البداية فقد صقلت معدنه وأدبت نفسه وجعلته يدرك مواطن ضعفه وقوته ، كره حياة يقودها الشياطين وجوا ملبداً بأنفاس الكراهية والبغض ، أناس نصبوا أنفسهم منصب المسيطرين على الدنيا ينهبون ماشاء لهم أن ينهبوا يقتلون ويقترفون كل المحرمات التي تشمئز منها النفس ، وعافت نفسه تلك الأوضاع وصار كل مكسب يأتيه من وراء تلك الأعمال كالنار الكاوية

تحرقه ووجد نفسه في النهاية غريبا ففساده وآثامه تصنفه معهم وهو ليس منهم في شئ ولو اقترف أفعالهم وسار على خطاهم وضميره اليقظ بين جنبيه يضعه مع هؤلاء الذين يتلمسون طريق الصلاح في الحياة وتظل أفعاله وتوبته العالقة حاجزا بينه وبينهم .. أسبغ عليه بنعمة كانت أكبر من أن يحمدها بلسانه وحسب وقرر أنه توقف وانتهى عن السير في هذا الطريق ولو خطوة واحدة مهما كلفه ذلك ولكن شيطانا كان يحكم العقدة حوله ولم يترك غلامه المطيع يغادر الجحيم بسهولة .

كان رفض خالد لتوبة يوسف رفضا محموما غاضبا وكشف عن وجه أقبح مما يمكن تصوره ، مس الجنون عقله ورهن نفسه لشيء واحد وحسب هو أن يحمده به عن تلك الفكرة ويمحوها من رأسه تماما ، بذل طاقته في إفشال مساعي يوسف وفرق عنه كل حلفائه ومؤيديه فصار وحيدا في وجه المنظمة التي باتت في حالة غضب وسعار شديد وارتأى يوسف أن يهدأ ويصنع خطة تعيده إلى الصراط دون هلاك ، أعاد وصل علاقاته المقطوعة بعد عناء وعاد لتسلم زمام شركته وحاول أن يصل لاتفاق يرضي الجميع لكن رضاهم الوحيد كان في أن يبقى عبدا لديهم يعلق أحذيتهم بنفس راضية ، ولما أيقن ألا جدوى من المماطلة ولا أمل يرجى من

الدبلوماسية كان عليه أن يتخذ قرارا أن يختار بين حياة في لظى القيود أو موت في أفق الحرية ، كان لابد أن يساق إلى تلك النقطة ليعبر حاجزا أخيرا ويثبت صدق توبته ، وساعة اختار الحرية كان قد شعر أن روحه قد تحررت بالفعل وأنه أخف ألف مرة ، انقطعت كل الأسباب التي تكبل مسعاه وكل الحجج التي ترددها النفس .

كانت شجاعته في مواجهة خالد شجاعة حقيقية ومبادؤه التي ارتكن إليها سدا حاميا من رصاص وحديد وإرادة وإيمان قوي لا ينحطم ، يحدث أحيانا أن تسلمنا النقائص للنقائص وكأن الشر المطلق سبيلا للنقاء المطلق ، وارتعد خالد وأدرك خطورة الوضع أمام العيون التي التمعت بإيمان جديد والنبرة التي اكتست بالقوة فلجأ من فوره لمكائد الخبثاء ووقائع الشر التي لم يعد يبصر حلا سواها ، دبر له مكيدة مع امرأة بعد أن خدره والتقط له صورا وهدده بها فلم يتراجع ، ووقعت الصور في يد سوزان التي أرسلتها بدورها للباشا فوضعها في مظروف ومعها رسالة تحذيرية صغيرة لفريدة من خيانة زوجها وسقطت فريدة صريعة المرض حال رؤيتها وارتحلت معه إلى لندن لتلقي العلاج حيث أقنعها أنها مكيدة دبرها أحد أعدائه ، الشهور التي قضاها في لندن بحجة الاهتمام بزوجته

وفرت له وقتا ليفكر في حل للخروج من الأزمة لكنهم كانوا يسبقونه بخطوة ، هددوه بطفله الذي لم يولد فارتحل بزوجته إلى مشفى آخر في سرية تامة حتى وضعت طفلهما وظن أن الخطر قد انقضى فما كانوا يستطيعون الاهتداء إليه ، لكنهم فعلوا وفُقد الطفل بعد ساعات من مولده رغم الرقابة الأمنية المشددة وبعد البحث المضني كان الشيء الذي عثرت عليه الشرطة هي ثيابه التي وصلت إلى المشفى تعلن عن موته، لم يتمكن من إخبار فريدة أن حمزة مات بسببه ، كذب وأقام الكذب جدارا آخر بينهما ، وحين اكتشفت فريدة السبب الحقيقي لما حدث كان قد خسرها .

استسلم وعاد يخوض في شغاف الظلمة بغير وعي وكأنه ينتقم من نفسه كان يعرف أنهم قتلوا الطفل انتقاما منه وكان قنوطه عظيما وحزنه أعظم وهو يراقب فريدة تدبل يوما وراء الآخر وهو موقن أنه سبب شقائها الوحيد .. لماذا تفتح لنا سبل الخطأ بسهولة بينما يجب علينا أن نشق سبل النجاة بآخر ما نملك من قوة ثم تغلق الأبواب في وجوهنا مرات ومرات ..؟ وأدرك الاجابة يوم مقتل خالد " أراد الله أن ينقي قلبه وأن ينزع منه كل شر وكل ميل " ، ومع ذلك فلازال خائفا ، الخطة تسير

بطريقة رائعة وهذا شيء جيد لكن الأسئلة والمخاوف تطارده ماذا لو

فشل مسعاه ؟

تمر من خلاله ثورة عنيفة ليس بوسعه كبها يشبك أصابعه الباردة ويغمض عينيه ويتنفس بعمق فيزداد اضطرابه والصور تزداد قتامة ووحشية بطريقة درامية مثيرة للربح ، ماذا على المرء أن يفعل وهو يخوض حربا يخسر فيها كل شيء أو يربح كل شيء . المخاطرة أعظم مما يتخيل ، في وسط الطريق توخزنا الشكوك كالإبر وتتوه عنا الأشياء التي دفعتنا إلى الطريق، نتلفت فلا نرى أية إشارة ترشدنا ، لا نحن نبصر البداية فنعود ولا نبصر النهاية فنصبر ، في لحظة كتلك دفعة شجاعة هي كل ما يحتاجه المرء... !

كان الظرف الأصفر مفتوحا وموضوعا على الطاولة أمامه ، حدق فيه بعينين تملؤهما الدموع ، بإمكان المعجزات أن تحدث أحيانا ، حين أخبره خالد على الشاطئ بالأمر ، لم يصدقه وكيف يصدق أن أتعب شيء أصابه في عمره كله يمكن أن يزول في لحظة ، التقط المظروف ومفتاح سيارته وخرج مسرعا ، لابد أن تعرف فريدة كل شيء ، كان الجو عاصفا والمطر الغزير يغسل الطرقات ، وحين وصل إلى منزل ياسين ،

طرق الباب لكنها لم تجبه ، جلس على الدرج في انتظارها ، والمظروف في يده يحدق فيه كأنه يظن أن ما خطوه فيه سيختفي لو أشاح ببصره عنه ، حضرت فريدة أخيرا ، كانت ترتدي معطفها والمطر يبلل شعرها تماما ، سألتها في قلق

-أين كنت ؟

طالعه في دهشة وارتابك

-ماذا تفعل هنا ؟

-جئت لأخبرك بشيء ما ، لكن أجيبيني أولا أين ذهبت في وسط

العاصفة ؟

أشاحت بوجهها وقالت بجمود

- ليس شيئا عليك أن تعرفه ..

- فريدة ..

هتف بها ، فنظرت نحوه واجمة

- إن لم يكن لديك شيء لتقوله .. غادر أرجوك ..

- هل تكرهيني إلى هذا الحد ؟ كنت تتهميني أنني

إنسان فاسد ولا جدوى من محاولة إصلاحى ، وها أنا ذا أحاول أن أصلح كل ما اقترفته ، أضع حياتي على المحك لأنني لم أعد أريد أن أكون جزءا من هذه القذارة ، فلماذا لا تمدين يدك إلي .. لما لا تساعديني على النجاة ..

نكست رأسها

- أحاول بالفعل ، أحاول لكنني لا أستطيع أن أنسى

حمزة ، لقد مات طفلي بسببك أنت وخالد

- لم يمت ..

قال يوسف وهو يمد نحوها المظروف

- حمزة ما يزال على قيد الحياة ، كان خالد يخفيه

طوال الأشهر الماضية .

التقطت فريدة المظروف ، حدقت في النتائج ويوسف يشرح لها كل

ماحدث معه منذ اليوم الأول حتى لقاءه بخالد

– التقيت خالد قبل وفاته بأسبوع في الاسكندرية ،
وقال لي أن رجال الباشا عرفوا أننا غيرنا المشفى ، كان يعرف أنهم لن
يتركونا وشأننا لذا أخذ حمزة وأوهمنا بموته حتى يحميه ..

ارتجفت يدها ، رفعت عينيها تحديق فيه

– مالذي تقوله ؟ حمزة على قيد الحياة ؟ هل تقول
الحقيقة ؟ أم أنها كذبة أخرى ؟

أمسك يدها

– لا مزيد من الكذبات ، حمزة حي صدقيني

أجهشت فريدة في البكاء ولم تحملها قدماها فكادت تسقط لولا أن
أمسك بها ، هل من المعقول أن تنقشع الغيوم أخيرا ؟ هل تشرق الشمس
بعد هذا الليل الطويل ؟ الآن فقط تشعر أن قلبها ينبض من جديد ،
تسقط عنه القشرة الشخينة التي أحاطته ، وتندفع الحياة في طرقاته
المهجورة ، كان فقد حمزة موتا حقيقيا ، نهاية لكل شيء جيد في الحياة
، وبداية لرحلة طويلة من الألم الممض والشكوى ، أما الآن فقد تفتت

طعم المرارة التي ملأت فمها شهورا ، وأحست كما لو أن قبس الإيمان
يضيء في أعماقها من جديد

— متى يمكنني أن أراه ؟

— حالما ينتهي كل ما يحدث ..

قطبت ما بين حاجبيها وقالت

— وهل لهذا الجحيم نهاية ؟

فقال يوسف وقد ارتسمت على شفثيه ابتسامة

— سينتهي ، أعدك بهذا .

هزت رأسها والدموع تغطي وجهها ، فمد ذراعيه وعانقها ، وأرخت رأسها
على كتفه وبكت ، الآن ينجبر القلب المسكور ، وبين ذراعيه يمكن
لكل الأشياء المرعبة التي تنتظرهما أن تزول ، لقد كان الأمر هكذا دائما
، حالما يعانقها لا يعود أي شيء في العالم مهما ، هذا هو مكانها
الصحيح ، معه وبين يديه ، عرفت هذه الحقيقة منذ اليوم الأول للقائه .

لندن

شعرت بارتجاف في يدها وجفاف في حلقها فأخرجت من حقيبتها علبة الدواء وتناولت حبة مهدئة لها مفعول السحر على توترها المتصاعد في الآونة الأخيرة منذ صوبت تلك الرصاصة إلى زوجها ووجهه يطاردها في كل الزوايا والوجوه ، تحديق بها عيناه فتخلقان فيها رعبا يكاد يقتلها ..

ماذا كان عليها أن تفعل وكانت تلك الطريقة الوحيدة لحماية والدها الذي فقد ثروته قبل عام ونصف ، وصار عبدا للباشا ينفذ أوامره مثله مثل يوسف وخالد ودوره في المنظمة يقتصر على كونه يعمل في المباحث في المديرية في الاسكندرية قريبا من وكر الباشا يحمي له أعماله ويسهلها عليه .. كانت الطريقة الوحيدة لكسب حظوة عند الباشا هي بزرع الشكوك في صدره نحو رجاله الآخرين وبدأت سوزان مسلسل الوشاية الذي لم يتوقف كانت ترسل للباشا كل ما تظن أنه سيفيدها وتخفي عنه ما كان سيضرها ويشكك زوجها بها وكان غريبا كون خالد لم يكتشف الأمر لكنها أدركت منذ مدة ليست بالبعيدة أن خالد كان يضع أمامها

المعلومات التي يستطيع من خلالها التلاعب بالباشا وتوجيه أفكاره إلى حيث يشاء .. بالطبع هذا الشيطان لا يترك شيئا للصدفة ، لما غادرت مع الباشا تلك الليلة اتفقا على ألا يفضحا ما حدث وكانت تدري رغم ذعرها أنها أدت له مهمة عظيمة ، المقابل الوحيد كان مغادرتها للبلاد وعدم إخبار والدها بأي شيء

- سيدتي ..

التفت نحو الصوت وكانت هناك امرأة أربعينية إنجليزية الأصل ، دائرية الوجه قصيرة بعض الشيء وعيونها توهي بطيبة ووداعة ، تحمل طفلا صغيرا بين ذراعيها وقفت سوزان تستقبلها بابتسامة وتناولت منها الطفل وداعبت وجنته بإصبعها قائلة

- كيف حالك أيها الصغير ؟

فابتسم لها الطفل كأنه يفهم فقالت

- هل أنت مستعد للعودة لوالدتك ؟

كانت ملامح الطفل البريئة تشير فيها سعادة غريبة ، شكرت السيدة وغادرت مع الطفل ، عليها أن تؤدي مهمة أخيرة قبل الاعتزال .. على هذا الطفل المسكين أن يعود إلى ذراعي أمه ..

تأكدت من وصول المبلغ إلى حسابها البنكي قبل أن تجري اتصالا بالاسكندرية كان المجيب عليه هو الصقر بنبرة صوته المميزة

- حمزة معي الآن

قالت بنبرة آلية خالية من أي انفعال فأجابها مهددا

- لا تفكري في اقتراف أية ألعاب أخرى

- لا تقلق

أجابت بثقة قبل أن تنهي الاتصال ، هو يدري أنها لن تجرؤ على ارتكاب حماقة أخرى ، لقد كان صعبا كفاية أن تستعيد ثقته بعد وشايتها بآدم وفريدة وعذرها الوحيد كان الشبه المربك بين التوأمين ، حمدا لله أن الصقر منحها فرصة أخرى وإلا خسرت كل شيء ضحت لأجله ، اليوم حول لها قسما آخر من المبلغ المالي الذي اتفقا عليه مقابل الصمت ونسيان ما حدث في القصر تلك الليلة وأيضا لتؤدي مهمة أخيرة بأن تعيد

حمزة إلى مصر ، الشرط الوحيد كان ألا تخبر والدها بشيء فهو رغم
 إفلاسه لازال فردا في المنظمة ومن الممكن أن يفضح كل شيء ، وأيضا
 لأن الصقر أراد أن يحتفظ به رهينة لو فكرت سوزان بخداعه وهل لها أن
 تفعل والأموال التي يرسلها لها هي ما ستساعد به والدها لاستعادة ثروته
 التي تبذرت ، أهلكها هذا الأب منذ فجر عمرها وهي تلملم أخطائه
 وتعيده إلى الطريق كلما تعثر بطريقة ما ولم يسأل هو أبدا عما تكبدته
 ابنته لحمايته ؟ لعله كان يدري فيما تفرط سوزان ولكنه كان عاجزا عن
 قول شيء أو رفض المساعدة التي تمده بها لذا اختار أن يفض الطرف
 وحسب .

بعد أن أغلق آدم الفيديو ، التقط مفاتيح سيارته واتجه إلى المكتب الذي
 افتتحته مع ياسين ، انتظرها حتى غادرت العمل وتبعها بدأب حتى أرخى
 الليل ستره على المدينة وانتصبت الأسئلة كعمدان الإضاءة تحدد طريقا
 طويلا متعرجا لا نهاية له ، لم تفعل فرح شيئا مشيرا للريبة حتى كاد
 يستسلم ويواجهها دون الانتظار أكثر لكنه أراد أن يعرف قليلا عما
 تحاول الوصول له ، لم يشأ أن يشير حذرهما فتخفي عنه الأشياء قبل أن

يبدأ في استجوابها حتى ولكنها لم تسمح له باكتشاف أيما شيء .. لا يدري هل كان تصرفا حذرا أم أنها حقا لا تملك ما يشير الشك تتبعها إلى منزلها حيث تراجلت من سيارتها واستندت بظهرها عليها عدة دقائق تنظر أسفل قدمها كأنها تفكر في شيء ما ، ظهر من بعيد ضوء سيارة ، وأدهش آدم أن يرى لونها الرمادي ، كانت نفس السيارة التي اصطدمت بماهر .

اعتدلت فرح في وقفها وكأنها كانت تنتظرها ألقى قائدها نحوها شيئا ما دون أن يقف فالتقطته في لهفة وأدرك آدم أنها اللحظة المنتظرة فخرج من سيارته وركض نحوها وسحب ما في يدها فانتبهت له وقد لاح في وجهها فرع

بعد أن غفا لعدة ساعات ، نهض ياسين ، وأخذ المفتاح الذي سرقه من ميدالية آدم وربض أمام منزل يوسف حتى غادر الشقة في المساء أخيرا فسارع ياسين بالصعود للأعلى ، كانت الشقة حديثة الطراز وبدت مهجورة على نحو ما ، يمينا بعد الباب الرئيسي كان هناك رواق يؤدي

إلى غرفتين متقابلتين أولاهما كانت فارغة من أي دليل فتركها ياسين واتجه للأخرى فتح بابها ليجد لوحة جدارية مخيفة في انتظاره ، تقدم نحو الجدار فوجده مقسما لعدة مستطيلات كل واحد تابع لاسم أحد المتورطين في الجنون الدائر في الوقت الراهن ، صور وأسهم تنتقل من هنا إلى هنا ، أكثر مالفت انتباهه كان المستطيل الخاص بريم والذي يحوي صورا لها أمام قاعة المحكمة وهي في طريقها لأحد البنوك وواحدة وقفت فيها مع ياسين ، ومع الصور عدة ملاحظات

انتقل ببصره صوب المستطيل الخاص بفريدة وكان يحوي صورتها مع يوسف ، انفتح باب الغرفة فجأة فالتفت ياسين يرمق الواقف إزاءه في خوف تحول لاندھاش وفزع ، تماالك ياسين نفسه وهتف

- كان علي أن أعرف أنه أنت .. كان علي أن أفهم
خطتكم ... اللعنة ...

- كان عليك ألا تأتي إلى هنا ..

قال الصقر فأجابه ياسين في غضب

- بل كان علي أن آتي ، كان علي أن أعرف كيف
تلاعبتم بالجميع .

" شكرا على كل شيء يا فرح ... تنتهي مهمتك هنا "

كانت تلك السطور هي ما خطته ريم في الرسالة التي أرسلها قائد السيارة ،
نظر آدم نحوها في حيرة ، تنهد قائلاً
- من هذا الشخص ؟

بدا ذلك أكثر سؤال منطقي يمكنه أن يسأله في اللحظة الراهنة

- لا أعرفه ، ليس لدي معلومات إلا أنه من يسلمني رسائل ريم وفي كل
مرة يكتب لي متى علي انتظاره في المرة القادمة
- هل تقولين الحقيقة ؟

- صدقني ، كل ما أخبرني به ريم قبل أن تموت هو أن أتسلم الرسائل
من صاحب السيارة الرمادية و أسلمها لك وحسب
- إذن فالرسالة الأخيرة ستأتي إليك ؟

- تعني الأوراق والتسجيلات ؟ لا أعتقد ذلك ، دوري في الخطة ليس كبيرا إلى هذا الحد ؟ حاولت ريم ألا تورطني كثيرا حتى لا أتعرض للخطر

ثم شردت برهنة وقالت وكأنها تحادث نفسها

- لو لم يكن ياسين مسافرا حينها لقلت أنه من يساعدها طالعها آدم في حيرة ، هو يعرف أن فرح تحب ياسين وتعرف أن ياسين يحب ريم فهل تفترض تورطه الآن بدافع الغيرة ، أم أنها تعتقد حقا أنه متورط في كل ما يحدث ؟ إن هذا الشك يفسر على الأقل لماذا تدخل ياسين في مسألة فريدة، ولماذا كان يجري كل التحقيقات التي أجراها ، لكنه كان خارج البلاد في وقت القضية ، ثم شردت برهنة متسائلا ، هل غادر شقيقه البلد حقا ؟

الآن هذا الشك الذي انغرس في صدره قديما ينبش قبره ويخرج منه ، هناك احتمال لا بأس به أن يكون شقيقه متورطا في خطة ريم ، لن تجد من تثق به أكثر منه ، ولكن يالها من فكرة مخيفة.

لم يكن اللقاء مع فرح مثمرا بقدر ما اعتقد ، لقد خلقت ريم سلسلة من الحلقات لا يعرف أفرادها هوية بعض ، فهاهو يصل إلى فرح ويجد نفسه واقفا عند نفس النقطة ، محتارا بسبب نفس السؤال ، من يرسل الرسائل ؟ ويظن أنه لو وصل لسائق السيارة الرمادية فسيجد شخصا آخر وراءه ، ربما يكون أرسله لمساعدتهم في الفندق و حين طاردتهم سيارات الباشا ، لكن من يكون هذا الشخص ؟

جلس ياسين في سيارته أمام المبنى السكني حيث شقة يوسف ترتعش أطرافه في رعب وذهول ، أسند ظهره وأرخى رأسه في تعب ، ريم أي عقل كانت تملك ؟ أي جنون اقترفت ؟ لماذا خاضت هذه المغامرة الملعونة وانتهى الأمر بها قتيلة ؟

إن ما عرفه للتو يكاد يذهب عقله أي لعبة مجنونة يقودها هؤلاء الرجال وإلما ستفضي خطتهم الحمقاء تلك ؟

لقد أتى إلى هنا لأن شكا في قلبه ظل ينبض ليس في آدم بل على الأكثر في يوسف ، كان يخشى أن يقود شقيقه إلى هلاكه أو أنه ينتوي

فعل شيء سيئ لكنه حتما لم يتخيل ما رآه .. لم يتخيل أن تتشابك
خيوط اللعبة هكذا ، إن الأمر خطير خطأ واحد وسيلتف الحبل حول
أعناق الجميع ..

كانت فريدة تجلس أمامه تطالعه بحب ، نظرة تآقت روحه لها توقا كاد
يهلكها ، أمسك يدها وابتسم ، كان خائفا ، تجلب السعادة معها
الخوف دوما ، وحدهم التعساء جدا لا يخافون ، كان يحدق فيها بشغف
وقلق وقال لها أخيرا بنبرة مرتجفة مسكونة بالتردد
- كنت خائفا ألا تصدقيني ، لم تكوني تصدقين أي شيء أقوله في
الآونة الأخيرة

قالت في اعتذار

- لا يمكنك أن تلومني ، حين يختلط الكذب
بالحقيقة ، لا يعود المرء قادرا على تمييزهما

أقر قائلا

- أجل لقد اقترفت الكثير وحطمت الثقة التي كانت بيننا . جزء مني تمنى ألا تعرفي الحقيقة أبدا ، أن تكهيني للأبد فلا أحب لك ان تكوني مع رجل شوهته أفعاله مثلي .. أدفحك بيد وأشدك إلى عناقي بيد .. أتوسلك لتعودي ولكنني أصرخ في ذات اللحظة لا تفعلي .. لا تعودي لوكر الأوجاع والدنس .. ولكن ماذا أفعل بهذا القلب المعتل ؟ .

اختنق صوته

- قولي لي ماذا يجدر بي أن أفعل ؟ كيف علي حمايتك مما يحدث ، هل يجب علي البقاء معك أم المغادرة ؟ أنا خائف لدرجة الموت ، خائف مما سيحدث غدا وخائف من أن تصابي بمكروه ، وخائف من أن أتركك بل أنا لا أستطيع أن أفعل ، لقد أهدرنا زمنا طويلا ونحن بعيدان وأشعر أنه لم يعد بوسعي أن أهدر المزيد .

- يوسف ... توقف أرجوك ..

قالت وهي تجهش في البكاء ، فجذبها من يدها لتجلس إلى جواره على الأريكة ، ضمها واستطرد حديثه

– لقد مضى زمن كنا نحدق في وجه بعضنا دون أن نرى بعضنا حقا ، كنا معا ولم نكن معا ، والآن تبقت ساعات قليلة وأنا خائف أن أموت وأتركك تواجهينهم وحدك .

لا أحد يعرف بعد الطريقة التي سترسل بها ريم الأوراق لا أحد يعرف حجم الخطر ولما يلاحق الجميع المستندات بهذا الدأب ، هو لم يرها رؤي العين ولا يعرف ما تحتويه ولا مدى تأثيرها ، هو لا يهاب الموت بل يهاب الحياة دون طفله وامراته ويخشى تركهما وراءه للذئاب التي تتربص بهما ، لو مات فإن كل شيء سيتهوى وسيخسر ليس حياته فقط بل أمان عائلته .

– لو حدث أي شيء غدا يافريدة ، اهربي ، ولا تعودى هنا أبدا ، رجالي في لندن سيتسلمون حمزة اليوم ، وأنا حجزت لنا تذكري سفر إلى هناك بعد غد ، لو لم أنجو غادري دوني ، سيقابلونك هناك ، خذي حمزة واهربي ..

ابتعدت عنه فريدة و حدقت فيه بذهول ، هل تستعيده الآن لتفقدده غدا ؟
هل خاضت كل هذا لتودعه في النهاية ؟

– توقف أرجوك

هتفت به فقال وهو يمسد شعرها بيد ويمسك يدها بيده الأخرى

– أنا لا أقول أن هذا سيحدث ، لكن علينا أن نكون

مستعدين لكل شيء .

أحاطت عنقه بذراعيها

– لا أريد أن أستعد لأي شيء ، لا تحادثني عن

الموت والفقء ، شبعنا موتا وحرنا يا يوسف ، كفانا ، حان الوقت

لنجرب شيئا غيرهما .

ضمها يوسف وكنم بكاءه بين ذراعيها ، أنصت لها وهي تقول

– فكر فقط أننا بعد غد سنسافر لحمزة ، سنكون

معا كعائلة واحدة أخيرا ، دعنا لا نفكر في أي شيء سيء .

– حسنا ، لن نفكر في أي شيء سيء ، ولن

نتحدث عن الموت ..

ابعدا عنها ، وضع يده على وجنتها وقال مبتسما

– سنتحدث فقط عن أنني أحبك ، وأني اشتقت
إليك حد الجنون ، أن الشهور الماضية كانت عقابا حقيقيا لي ، وأني لن
أتركك أبدا بعد الآن ..

ابتسمت فريدة ، ومسحت دموعه بيدها وقالت
– أجل لتحدث عن هذا ..

ظهر اليوم

السابع

القاهرة –

مكتب الباشا

جلس رامي على الأريكة المقابلة لمكتب الباشا ، كان في الخامسة
الثلاثين ، حسن المظهر ، اشتهر سريعا بفضل علاقاته المتعددة وبفضل
تبنيه وجهة النظر الملائمة للنظام بالطبع ، حدق به الباشا زمنا كأنه يفكر
، ورامي يفرك يديه ، وينظر في كل اتجاه حوله هربا من عيني الباشا ،
حتى قال أخيرا

— هل لديك فكرة لما استدعيتك اليوم؟

هز رأسه نفيا ، فقال الباشا

— أنت تعرف أنني أثق بك ، ولولا الخطأ الذي

اقترفته لكنت ذراعي الأيمن بالفعل ، ولكنني أحترمك كثيرا يا رامي وإلا

لتلقيت عقابا أقسى من مجرد عدم دخولك المنظمة ...

تنحى رامي وقال بابتسامة

— أعرف ذلك بالفعل ، وأنا شاكر لك حقا ، وأظن

أنني طوال الفترة الماضية قد عوضتُ عن خطأي بأقصى ما أمكنني ..

صدق الباشا على قوله

— لقد فعلت .. ولهذا استدعيتك .. أنت الوحيد

الذي يمكنني الثقة به فلديك مهارات تحقيق ممتازة وأريدك أن تساعدني

في معرفة أي رجال المنظمة يساعد يوسف

— هل تشك في شخص بعينه .. ؟

قال الباشا ساخرا

كلهم في الحقيقة ، ولكن

أضف بنبرة جادة

هناك عدة أسماء كانت مقربة من خالد يمكنك

أن تبدأ بها ..

أخبره الباشا الأسماء التي يشك بها ولما لم يسمع الاسم الذي توقعه

أكثر قال

—وكامل عز الدين ؟

—لا أعتقد ذلك ، لقد كانا عدوين لدودين ، أنت تعرف أنني أملكته

الكلام الذي قاله في برنامجك بعد موت خالد

أخفى رامي ابتسامته بصعوبة ، هل من المعقول أن يكون الباشا غافلا إلى

هذا الحد حقا .

—هل تشك فيه ؟

سأل الباشا ، فأجاب رامي

—ليس حقا .. إنه مجرد حدس ..

- حسنا .. أنا أمنحك كل السلطة، ورجالي سيتبعون أوامرك جد لي هذا

الخائن ، ولا تستثني أحدا من تحقيقك

- لا تقلق ، أنا أعرف بالفعل أن رجلا في مكانك سيحيط به الكثير من

الخونة والمتملقين لذا لن أستثني أحدا

قال وهو يحدق في ماهر الواقف عند الباب ، أجفل ماهر من نظراته

المتفحصة وأحس لبرهة أن رامى يعرف شيئا ما ، يعرف ماهر أن رامى

كان مقربا من خالد للغاية ، لذا على الأرجح هو يعرف الكثير من الأشياء

لكن إلى أي حد .. ؟

أشاح رامى ببصره وهو يفكر كم أن الباشا غافل فعلا ، لم يكن ذلك

مدهشا بالنسبة له ، كان يعرف بالفعل منذ زمن أن الباشا لم يكن شخصا

مخيفا ، بل كان شخصا أصبح مخيفا لأنه يملك سلطة ، وأما هو فرجل

عادي جدا ، لا يتمتع بذلك من نوع خاص ، لذا فقد كان خالد كابوسا

حقيقيا بالنسبة له ، إن سبب خوف أي شخص من الباشا ومن المنظمة لا

علاقة له بالباشا بل بقدرته وقدرة أقل فرد في المنظمة على محو تاريخ

المرء بأقل مجهود ، لذا حين يكون هناك اختيار بين أن يواجههم وأن

يكون واحدا منهم فقد اختار دائما أن يكون واحدا من المجموعة ،

عليك أن تكون شيطانا حتى لا ترهبك الشياطين ، هكذا قال خالد دوما ،
لكن خالد لم يعرف أن الشياطين لا تقتلها إلا الشياطين ، لا بد أنه
عرف ذلك لكن بعد أن اخترق الرصاص جسده .

لم يكن حضور رامي الاجتماع أمرا مقبولا للغاية ، وقد لحظه الجميع
بغضب مكتوم ، لكنه تجاهل الأمر ، عيناه ركزت على شخص واحد ،
كامل عز الدين .

حول طاولة الاجتماعات البيضاوية التف عشرة من رجال الاعمال وعلى
رأس الطاولة كان الباشا واللواء سالم ووقف ماهر في ركن من الغرفة يضم
ذراعيه أمام صدره يراقب بابتسامة شامتة الهرج الدائر والاتهامات التي
يتقاذفونها بينهم ، ما كان أسهل اشتعال الشك في قلوبهم بمجرد أن
أخبرهم الباشا عن شكه في أن أحدا من داخل المنظمة يسعى للنيل منهم
، ضرب الباشا بعنف على الطاولة قائلا

- دعونا لا نتشاجر ، أريد فقط أن أوضح أن يوسف لن يستطيع أن يفعل
ما يفعله لو لم يساعده شخص من داخل المنظمة ، شخص يعرف وجوهنا
جميعا ، ويعرف أسرارنا

تبادلوا نظرة شك مشوب بالصمت حتى قال هو

– الحل الوحيد حاليا أن نهدأ ونبحث عن يوسف ونوقف كل أنشطتنا .

ثم أضاف

– كما تخلصنا من المحامية ومن خالد سنتخلص

من كل شى يقف في طريقنا

وافقوا جميعا على كلامه فقد كان من الخطورة بمكان العمل خارج إطار

الشركتين فكيف وقد تم فضح ثلاثة منهم ... وهم لا يدرون من التالي في

سلسلة الانتقام الطويلة هذه .. ارتسمت على وجوههم ابتسامة ارتياح

وكانت إحداها فقط تحمل معنى آخر ، على طرف الطاولة في بذة سوداء

غالية الثمن ورابطة عنق زرقاء كلون عينيه جلس كامل عز الدين ذو

السبعة والثلاثين عاما يقلب وجهه في أوجه الحاضرين بابتسامة مرتبكة

لا يترجم أي منهم ما خفي وراءها من كراهية ونفور .

انفض الاجتماع وخرج كامل نحو الجراج كان رامى يتكأ على سيارة

كامل الحمراء ، رمقه كامل في دهشة ، وقف أمامه قائلا

– مبارك .. لقد عدت إلى المنظمة أكثر قوة

توبة إبليس

ابتسم رامي وقال

-دعك من هذا ، هل انتبهت للأوراق التي أرسلها يوسف للنيابة ؟

زاغ كامل ببصره

-مابها ؟

-ألم تتعرف عليها حقا .. ؟

حملق كامل في عيني رامي ، ماذا يعرف هذا الشاب ؟ وجوده هنا
وتحدثه مع كامل بهذا الشكل يعني أن خالد أخبره شيئا ما هز رامي
رأسه

-أجل ما تفكر فيه صحيح ، أنا أعرف كل شيء ، كان خالد صديقي لا
تنسى ، وأخبرني القليل عن الأوراق ، والقليل أيضا عن اتفاقكما ،
يؤسفني أنه مات قبل أن يتمه بالطبع ، ولكن كما ترى يبدو أن الأدلة
بحوزة يوسف ، جزء منها على الأقل .

ازدرد كامل لعابه في توتر ، لم يغمض له جفن منذ ظهور المقال ، بالكاد
نجح هو ورجال الباشا في سحب الملفات من النيابة دون أن يتمكنوا من
التخلص من التسجيلات لأن يوسف تحدث عنها في الصحافة

-رامي ، ماذا تريد ، لتحدث بوضوح .. ؟

-لا أريد شيئا بالتحديد ، أريد أن أساعدك .. الباشا يريد أن يعرف من

يساعد يوسف

-ولكنني لم أساعده ..

قال كامل مدافعا فأجاب رامي

-أعرف ذلك بالفعل ، لكن كيف وصلت الملفات إلى خالد ومنه إلى

يوسف ياترى .. ؟

رمقه كامل في صمت فقال رامي

-لن أقول له شيئا .. تذكر أنني ساعدتك هذه المرة ...

ثم سار نحو سيارته المصفوفة قريبا ولوح لكامل بابتسامة أثارت أعصابه .

وقفت في الشرفة تحديق في السماء الغائمة ، أنهكها التفكير منذ غادر

يوسف بالأمس حتى حسمت قرارها ، فبعد كل ما قاله يوسف ، لا

يمكنها إلا أن تخبره بالحقيقة ، عليه أن يعرف ما يحدث حوله ، هما

الآن في مركب واحد وعدم البوح يُعد نوعا من الخيانة ، أخرجت هاتفها
من جيبها واتصلت برقم مسجل على الهاتف أتاها الصوت قائلا

– ماذا هناك ؟

– سأخبر يوسف كل شيء ..

قال لها بهدوء

– لا تدعي انفعالك يجعلك تقترفين حماقات ، قد يكون كل مقاله لك
كذب ، قد لا يكون حمزة على قيد الحياة ، قد يكون الأمر برمته خدعة

قالت مدافعة

– بالتأكيد لا، لن يكذب يوسف بشأن حمزة أبدا ، جميعنا نطارد نفس
الهدف لذا من الصواب إخباره ، على أية حال لم تعد تفصلنا إلا عدة
ساعات قبل أن نعرف الحقيقة ولا أريد أن يكتشف الأمر حينها .

هتف

– فريدة نحن في هذا معا لا يمكنك أن تعرضي

كلينا للخطر

— ولأننا في هذا معا ، ها أنا أخبرك أنني سأقول له
كل شيء .

— لا يمكنك ...

تنهدت قائلة

— إذا كنت خائفا فأنا لم أكن أنوي أن أخبره أي
شيء عنك ..

قال في غيظ

— هل جنتِ ، هل تعتقدين بعد كل ما عايشناه أنني

خائف على حياتي ؟ حقا يافريدة ، افعلي ما تريدين ، لن أوقفك ..

أغلق الهاتف في حنق ، ولم يكن ذلك ليمنعها من تنفيذ قرارها ارتدت

ثيابها وذهبت إلى منزل يوسف طرقت الباب مرات عدة ولكنها لم تتلق

إجابة ، وحين يَأست قررت المغادرة ، تطلب الأمر منها شجاعة كبيرة

لتحضر الآن وتخبره بالحقيقة المخفية عنه ، الحقيقة التي يطاردها الباشا

بسببها والتي قُتل خالد بسببها أيضا .

في طريقها للأسفل ، وجدت رجال الباشا ينتظرونها أمام البناية ، كان الهرب بلا جدوى ، كانت مسدساتهم في كل مكان حولها ، نظرت حولها في فزع ، بدا ألا منفذ للهروب أمامها ، لم يمهلوها لتفكر ، فأتى واحدٌ من خلفها وضربها ضربة عنيفة على مؤخرة رأسها ففقدت الوعي فوراً .

تلقى الباشا اتصالاً يؤكد فيه رجاله أنهم قبضوا على فريدة من أمام شقة يوسف وأنهم يحتفظون بها في أحد المخازن فوعد بالحضور في الحال ، منذ وكل رجاله بالبحث في أمر الشحنة التي تم استبدالها واكتشف أن شحنة وصلت إلى الميناء في نفس الليلة باسم آدم عرف أن خطة تحاك من وراء ظهره ، لذا دأب على مراقبة آدم ، حتى أوصله إلى شقة يوسف فعرف أنه هو من يساعده ، وأجل الباشا أمر القبض على يوسف كان ينتظر وهو متأكد أن فريدة ستظهر عاجلاً أم آجلاً ، فحتى وإن كان وجد يوسف وصار قاب قوسين من إيجاد موقع الشحنة فقد كان الشيء الأهم فريدة .

فتح أحد الأدرج وأخرج صورة لفريدة وبصحتها شخصٌ آخر وابتسم في ارتياح ، حان الوقت لتبوح تلك المرأة بالحقيقة ، حماها خالد منه طوال حياته ولكن لم يعد هناك من يحميها منه الآن .

فتحت عينيها تحديق في العتمة المخيفة التي تحاصرها كان ذراعيها وقدميها مقيدتين وقد تم إلقاؤها على أرضية باردة صرخت لكن أحدا لم ينجبها ، لا يعقل أن يكونوا رجال الباشا حدثت نفسها وهالتها فكرة أن يكونوا سرقوا القلادة لكنها كانت تشعر ببرودة المعدن حول عنقها فتنفست الصعداء ، لا تدري كم مر من الوقت منذ وصولها إلى هنا لكن شخصا ما دخل بعد مدة وأشعل مصباحا فرأت عددا من الرجال يحاصرونها دون أن يقتربوا منها ، صدرت لهم الأوامر بمراقبتها عن كثب مخافة هربها مرة أخرى

تردد صوت ضوضاء قوية في الخارج فأسرع اثنان منهما لتفقد الأمر وتبقى أربعة من حولها ، انفتح الباب بعد دقيقة ودخل منه رجل مثلم فارع الطول متناسق الجسد ، تقدم نحوه الرجال فيما تحرك واحد منهما للوقوف أمامها مباشرة ، هاجم الملثم الرجال بسلسلة حديدية في يده ،

اندلع شجار حامي الوطيس وكان المثلث يقاتل بكل قوته ، خنق أحد الرجال بالسلسلة وتركه وراءه هاجمه الاثنان الآخران فحمل لوحا خشبيا عن الأرض وقتلهم به، خلال الدقائق كان الرجال الثلاثة يفتشون الأرض وهو يتقدم نحو من وقف أمامها اشتبكا في العراك وتلاقت عيناها بعيني المثلث لجزء من الثانية فارتعد جسدها في رعب ، لا يعقل أن يكون من تخيله ، حمل الرجل وألقاه على طاولة كانت في منتصف المخزن وبحركة مدربة بعضده حطم رقبتة فصدرت عن فريدة صرخة فزعة ، تقدم نحوهما وهي توقن مع كل خطوة أنه هو حتما .. رأت من وراءه رجلا يسرع حاملا هراوة فصرخت باسمه في خوف

- خالد .. !

وقبل أن تهوي العصا على ظهره ، ظهر مثلث آخر ، هاجم الرجل الذي حاول مهاجمة خالد ، واحتدم الشجار مرة أخرى ، تبادل المثلثان نظرة متفحصة ، كانت فريدة قد عرفت بالفعل أن واحدا منهما كان خالد ، والآخر لم يكن شخصا غريبا تماما بالنسبة لها أيضا ، هاجمها رجال الباشا ، وكان عددهم كثيفا هذه المرة ، استرعى صوتا في الخارج انتباه الجميع التفت أحد الرجال وأعد مسدسه تقدم باتجاه الباب نصف

المفتوح ، تنبتهت فريدة لقدمي شخص ما تعبران كوة في الجدار بصعوبة
ثم هبط الجسد كله فرأت يوسف يتقدم بخطوة حذرة من خلف أحد
الحراس الذي استشعر حركته تلك اللحظة فالتفت موجهها فوهة المسدس
نحوه تراجع يوسف خطوة ليؤمن وضعيته ، انقض ياسين الذي عبر الباب
لتوه على الحارس يحيط عنقه بساعده القوي فيما سارع يوسف ينزع
المسدس من يده ، فقد الحارس وعيه بعد أن انقطعت أنفاسه نتيجة
ضغط ياسين على قصبته الهوائية ، وهرع يوسف ناحية فريدة يفك وثاقها
وهي تصارع نوبة بكاء شديد ما إن حرر يديها حتى أحاطت عنقه بذراعيها
باكية مرتجفة ضمها إليه وهو يتمتم في أذنها أن تهدأ ، نظر يوسف وراءه
ليرى المثلثين وياسين قد انتصرا على آخر رجال الباشا ، نزع خالد قناعه
ونظر نحو المثلث الآخر قائلاً

— من تكون ؟

لكن الآخر تراجع نحو الباب ، وقبل أن يركض هاربا ، نظر نظرة طويلة
إلى فريدة ثم خرج راكضا من المكان ، هم خالد أن يلحق به لكن ياسين
أمسك بذراعه وقال

— لنشغل بما جئنا لأجله

نفذ خالد ذراعه في غضب ، رفع بصره صوب شقيقته التي كان في
تعبيرها شيء من الدهشة والخوف والفرح في آن واحد سارت نحوه بدا
لها وجهه أنحف كثيرا وقد استطالت لحيته وشحب لونه ، وقفت أمامه
فمد ذراعيه نحوها ، ضمته باكية وهي تردد

- حمدا لله ، هل أنت بخير ..

أجابها في تعب

- أنا بخير لا تقلقي .

لم تكن لتخيل شيئا كهذا أبدا ، كانت خسارته مفرعة إلى حد حطم كل
أمل ومنطق والآن هاهو يعود حيا يمنحها أملا جديدا في العيش
والاستمرار .

هم الجمع بمغادرة المخزن قبل وصول الباشا حتى لا يكشف أمرهم لكن
صوتا تردد من المخزن كان على هيئة صرخة مكتومة فالتفتوا جميعا
صوب الصوت ، تقدم خالد الصف نحو الغرفة الصغيرة التي تردد منها
الصوت فتح الباب فوجد آدم مكبلا وملقى أرضا وكان وجهه متورما وكأنه
تعرض لضرب مبرح ، كانت عيناه تتجهان صوب شيء ما في ركن معتم

من الغرفة ، دفع ياسين خالد وهرع نحو شقيقه يفك وثاقه وينزع اللاصقة
عن فمه ، قال آدم بصوت خشن مخنوق

- ماهر ..

وكان يشير إلى الركن المعتم فسار خالد ويوسف ليجدا ماهر مكبلا
ويلتقط أنفاسه بجهد بالغ ، ردد خالد في أعماقه في رعب وخوف "
اللعنة لقد كشفوا أمرنا "

حمل يوسف وخالد جسد ماهر بعد أن حلا وثاقه إلى السيارة التي
تنتظرهم في الخارج ، وساعد ياسين شقيقه ليستقلا سيارته .

انطلقت السيارتين تخرقان العتمة سأل يوسف في اضطراب

- إلى أين سنذهب ؟

أجاب خالد بعد صمت طويل

- لا بد أن نبقى في الاسكندرية ، من المفترض أن يرسل الشخص الذي

يساعد ريم الملفات غدا

قاطعه فريدة

- لنذهب إلى شقة ياسين لابد أنهم لا يعرفون مكانها وإلا لكانوا أخذوني من هناك ولم ينتظروا حضوري إلى شقة يوسف فالتفتا إليها في اهتمام كانت محقة .

فتحت فريدة الباب ودخلت يتبعها الرجال الخمسة ياسين يساعد آدم ويوسف وخالد يحملان ماهر والذي كانت حالته سيئة للغاية ولديه جرح بالغ في خاصرته ، أجرى خالد اتصالا بطبيب يعرفه حضر سريعا وقام بمعالجة ماهر وانصرف دون أن يبدي أي نوع من الدهشة لمراى خالد حيا ففهمت فريدة أن هذا الرجل كان يعرف بالفعل ..

تركوا ماهر يستريح في غرفة صغيرة مؤثثة بسريرين وخزانة وخرجوا إلى الصالة

قالت فريدة وهي تنقل بصرها بين التوأمين وزوجها وشقيقها

- هلا حاول أحدكم أن يشرح لي ما يحدث ؟

كانت المفاجأة قد تلاشت ، وتملك منها شعورٌ عارم بالغضب ، التفتت

نحو يوسف

— ظننتك قلت لا مزيد من الكذبات

وقبل أن يرد التفتت نحو ياسين

— حتى أنت لماذا لا تبدو مندهشا للغاية أن خالد

على قيد الحياة ؟

— لأنني التقيته ليلة أمس ..

نظر آدم وفريدة ويوسف نحوه في دهشة فقال ياسين

— لقد حدث أن قمت بزيارة قصيرة ووجدته هنا..

كان عليك أن تغلق بابك جيدا إن لم ترد لأحد أن يعرف ماذا تخفي في

منزلك ...

قال الجملة الأخيرة موجهها حديثه إلى يوسف فقال آدم

— وماالذي أتى بك إلى هنا في المقام الأول ؟ وكيف

دخلت .. ؟

زاغ ياسين ببصره فقال خالد

— أتى لأنه لم يصدق ماقلته أنت ويوسف صباح

الامس ، ودخل بالمفتاح الذي سرقه منك

رمقه آدم بكراهية شديدة ، فقال ياسين

— لا تجرؤ حتى على لومي ، كنت أعرف أن هناك

شيئا خطأ وقد صدق حدسي ، لكنني لم أتخيل أن أجد خالد نفسه ، هل

تعرف كم كنت متفاجئا ؟ أنت تعرف أن هذا الرجل متورط بشكل أو

بآخر في قتل ريم ..

قاطعته خالد

— توقف .. أنت تضع افتراضات لا أساس لها من

الصحة ، أنا وريم كانا لدينا اتفاق ولم يكن لي أي مصلحة في قتلها ..

— تعني الاتفاق الذي ذكرته في مذكراتك ؟

قالت فريدة فهز رأسه بالإيجاب ، سأخبرك كل شيء من البداية .

قبل سبعة أشهر - مكتب

يحيى المحامي

جمعت ريم القضايا التي انتهت من دراستها وانطلقت نحو مكتب يحيى لإعادتها له شاكرة بابتسامة لطيفة تزين محياها منذ اليوم الأول لها في العمل قبل خمسة أشهر ، سريعا ما أسرت الجميع بلباقتها وجمالها، كان أكثر من تأثر بها هو يحيى المحامي نفسه فقد أثبتت جدارتها يوما وراء الآخر ، كان الرجل الستيني حذقا وذكيا وأميناً ولديه شبكة اتصالات وعلاقات قوية مما جعل خالد يوكل إليه كل أعماله تقريبا وحتى التحقيقات التي كان خالد يجريها في الآونة الأخيرة كان يعتمد فيها عليه إعتقادا كبيرا فكان الرجل رغم هيئته التي توحي بنوع من البلاهة والضعف فطنا وذا كفاءة عالية .

كان يحيى هو من ساوم عائلة العامل المقتول وأجبر والده على التنازل عن القضية ، وأثار الأمر ريم بشكل كبير وقررت أن تفعل شيئا ، لكن قبل أن تغادر المكتب بشكل نهائي ، قررت أن تلج إلى حاسوب المحامي لعلها تجد شيئا يفيدها فيه ، اختطفت سلسلة مفاتيحه أثناء إنشغاله في أحد الأيام ، وصنعت نسخة لنفسها ، الليلة التالية تركت

المفتاح أمام باب الشقة وغادرت وحضر متخصص قرصنة الحواسيب الذي اتفقت معه بعد أن تأكدت أن الجميع قد غادر المكتب وكانت هي آخرهم ، أرشدته عبر الهاتف إلى مكان الحاسوب وخلال ثمانية ساعات حين أشرق الصباح كان قد غادر حاملا نسخة غير مشفرة من الملفات عكفت على تصنيفها لأسبوع ، كانت الخيوط مفككة بعض الشيء وهناك صور وتقارير عن عدد كبير من رجال الأعمال مكتوب أمام بعضها " ليس عضوا" وأخرى " عضو" واكتشفت أن خالد كان يبحث عن الرجال الذين يحيطون بالباشا ويساعدونه لكنها لم تفهم عن أي عضوية يتحدث .

لم يكن من السهل إيجاد شيء ، ولم تعثر على ملف واحد يبرز شكوكها أو ينفيها ، حتى وجدت ملفا باسم " رجال الباشا "

فتحت الملف وقلبت فيه قليلا وكانت هناك مجموعات من الصور لاشخاص يعملون في مختلف المجالات والهيئات الحكومية والغير حكومية ، حتى وقع بصرها على صورة لآدم كان مكتوبا أسفلها

آدم رشدي- ٢٧ عاما- المهمة : تأمين المخازن وتسهيل عمليات دخول الشحنات وخروجها من الإسكندرية

داهمها دوار شديد فأغلقت الملف ، ثلاث سنوات مضت على زواجهما ، ترى وجهه كل صباح ، تحديق في عينيه عدد مرات لا يحصى ، يحتضنها ، تنام آمنة بين ذراعيه . ذات الذراعين اللتين تقتلان وتساعدان في تلك العمليات القذرة ؟ أجفلت ، انتابها هلع شديد واشمئزاز أصابها بالغثيان ، بكت ، وظلت ترتجف في ذعر لبقية الليلة ، أي قناع محكم وضع آدم على وجهه ؟ هناك ألف نوع من الخيانة لكن أن يكتشف المرء أن سكنه وأمانه وقلبه بين يدي وحش ؟ أن يكتشف أنه عاش مع شخص لا يعرفه ؟ أن وجهه وعيناه ويداه ملوثتان خائنتان ؟ انهارت ريم زمنا طويلا لم تعرف ما يجب أن تفعل ، احتوى التقرير معلومات عن المهام التي تولاها آدم ، كانت تقرأ وتبكي تتمنى لو أنها في كابوس مزعج لكن أي كابوس يكون مؤلما إلى هذا الحد ؟ هذا الوجع لا نخبره إلا في الحياة الحقيقية ..

كيف استطاع أن يخفي سرا بهذا الحجم عنها ؟ وكيف أغفلت ذلك هي التي لا يفوتها شيء أبدا ؟ لعنة الله على الحب يجعلنا نفقد ميزان تقدير الامور كليا.

أخبرت ريم خالد عن انهيارها لفترة لا بأس بها قبل أن تحسم قرارها وتعرف ما يجب عليها أن تفعل ، وحسنت أمرها حين سمعت مكالمة هاتفية بين خالد والمحامي وعرفت أن خالد بحوزته أدلة ستقلب الطاولة على الجميع وأنه سينقلها غدا إلى قصره في القاهرة ، وبفضل مساعدة خادمة خالد التي اختفت في الصباح التالي للحادثة تمكنت من سرقة خزانة منزله والتي احتوت على الملفات والأدلة وكان خالد قد نقلها من موقعها السري إلى الخزانة بغرض تسليمها في اليوم التالي لشخص لم تعرف هويته.

استعملت ريم الأوراق لترفع القضية وفي الجلسة الأولى حدد القاضي جلسة أخرى بعد ثلاثة أشهر وكانت ريم تتوقع شيئا كهذا ولم تتفاجأ حين خسرت ، عرفت أن آدم تلاعب بالأدلة ، وعرف خالد عبر ملف محدد قدمته في الجلسة وكان الوحيد الذي امتلك نسخة منه أن الأوراق التي سرقت من منزله كانت بحوزتها ، لذا التقاها بعد انتهاء القضية ، طلب منها أن يجلسا في مكان للتحدث وكان المكان الوحيد الذي كان من الممكن ألا تلاحقهما فيه الصحافة هو شاطئ مهجور ، لم تكن ريم تخشى أن يقتلها لأنها استطاعت تأمين نفسها بذلك ، أخبرته أن الأوراق

مخبأة في مكان أمين وأن نسخة إلكترونية منها كانت مجهزة للإرسال خلال ساعات من اختفائها أو موتها ولم يكن خالد يعرف أن فرح وشخص آخر بقيت هويته مجهولة بالنسبة له حتى الساعة يؤديان كل المهام الخارجية بالنيابة عن ريم ، حسبما فهم فإن فرح تولت جزء الاستلام والتوصيل ، أما من أسس الخطة وأعدّها لاحقاً وقام بكل الخطوات كان شخصا لا يعرفه .

جلسا في داخل السيارة أمام الشاطئ وسأل خالد دون مراوغة

- مالذي تريدنيه بالضبط ؟

- أن أخلص العالم من أمثالك

- هل تظنين أن بإمكانك تعديل ميزان الكون

- لا لكنني أحاول بأقصى قدرة أملكها

- محاولة لن تغير أي شيء

واستطرد بنبرة مكسورة كأنه يكره الاعتراف بشيء كهذا

- الأقوياء وحدهم ينجون في هذه الحياة والضعفاء يدفعون الثمن ، لا يهم إن كان على البعض أن يموتوا كي تنجو البقية .
- لن تفرضوا قوانين الغابة على البشر أبدا ، هناك حقوق وحرقات لا بد من احترامها ، العالم ليس لكم وحدكم ولا حق لأي منكم في تقرير مصير العامة
- أجاب بتهمكم
- العامة اختاروا أن يقرر مصيرهم سواهم
- اخترتم عنهم
- فاقد الأهلية لا يختار ، يحتاج دوما لوصي ينوب عنه
- إنفعلت
- وصي ؟ منذ متى أصبح إبليس وصيا على الناس .
- إن كنا نتحدث عن الظلم ؟ عن القتل ، عن تقبل العامة لمصيرهم فقد كان الوضع هكذا من البداية ، تاريخ الإنسانية يشهد ..
- هتفت

— كانوا يثورون دوما في النهاية ..

قال بسخرية

— متأخرين .. وثوراتهم كلها تأتي كالحريق ثم تحبو

، ثم يعودون لتقبل مصائبهم مرة أخرى ، تتغير الأوجه ويتوهمون أنهم

كسروا القيود لكنهم يعرفون في قرارة أنفسهم أن العصا انتقلت من

إبليس لآخر ..

ثم أردف

— لا بد أن تفهمي أنك لن تصلي لشيء ..

فنظرت نحوه في تحدي فاستطرد

— أعني وحدك .. دعيني أساعدك

حدجته في عدم تصديق فقال

— أعرف أنك لن تصدقي لو قلت أنني أريد أن أنهي المنظمة أكثر منك

بدليل أنني أجمع أدلة ضدهم منذ سنوات حتى يمكنني المغادرة دون أن

يحاولوا أذيتي .. أعرف ياريم نوع الظلم الذي نمارسه ، كنت واحدا من

توبة إبليس

الناس يوماً قبل أن أدخل عرين الأسد ، لكنهم منحوني قوة جعلتني أظن أنني لا أهزم ..

امتقع وجهه وتهجدت أنفاسه وهو يقول

- حتى أرسل لي الله رسالة ليخبرني أنني مهما بلغت

قوتي فأنا لا شيء ، لقد اكتشفت مؤخراً أنني لا أنجب ، ولا يوجد علاج

مهما كان ثمنه سيعالجني ، عرفت أنني عاجز وأدركت حجمي الحقيقي

لم تعرف ريم هل تصدقه أو لا لكنه أكمل

- حتى زوجتي ، تنقل أخباري للباشا ، هل تظنين أن هناك ما هو أسوأ

- هل تريدني أن أصدق أنك تريد التوبة ؟

- أأست إنسانا يخطيء ويصيب

- أنت إبليس ، وإبليس لا توبة له

- لست إبليس .. لست سيئاً إلى هذا الحد ..

صمت هنيهة ثم أردف

- ليس عليك أن تصدقني ، فلتصدقني فقط أي أريد تدمير المنظمة أيا
كان هدفي من ذلك ..

- وكيف ستساعدني ؟

كان الاتفاق أن يحصل خالد على الأوراق في وقت قريب من انتخابات
مجلس الشعب القادمة ، ليقوم بنشرها وقلب الرأي العام ، كان التوقيت
الأمثل ، وقد تكونت التكتلات ، وصار كل شخص لا يهتمه إلا نفسه
وتكتله وسيفعل ويدفع أي ثمن لفضح الطرف الآخر كان سيتركهم
يضربون بعضهم بأيدي بعض ..

كل ما عليها أن تفعله هو أن ترسل له الأوراق في الوقت المحدد الذي
اتفقا عليه وأكدت له أن هذا ما سيحدث حتى لو أنها قُتلت فإن شخصا
تعرفه سيكمل المهمة عنها ، لم تكن ريم واثقة به ثقة تامة وحتى اللحظة
الأخيرة خاصة أنه كان متأرجحا مترددا وحتى لو كان ينوي التوبة فهذا
ليس شيئا يعول عليه حقا .

ماتت ريم صريعة أمام منزلها وكاد خالد يفقد إيمانه بالخطة التي وضعها
معا ، وقبل موته المزيف بأسبوع وصله تسجيل فيديو ومعه رسالة " امض
فيما اتفقنا عليه كل شيء سيكون عندك في وقته "

تعرض خالد في الآونة الأخيرة لمحاولات قتل عدة، لذا قرر أن يزيف
موته كي يتمكن من التصرف بحرية ، وتنفيذ الخطة دون عوائق ، التقى
خالد يوسف في الأسكندرية وأخبره بكل شيء عن توبته ، عن ريم ، وعن
كل شيء ، لكن يوسف لم يصدق ولم يكن إقناعه سهلا كسوزان التي
اشترى ولاءها ببضع ملايين من الدولارات وحسب وبدأت تتصرف وفقا
لما يأمر به ، أخذت مذكراته وأعطتها ليوسف أخبرته أن عليه أن يساعد
خالد وأنه قد فقد عقله ، وكان بوح خالد النازف على الأوراق كفيلا
بإقناعه .

كان لابد في الخطوة التالية من ضم آدم إليهم ، فكر خالد في البداية
أن يخبره بكل شيء ولكنه اهتدى لاحقا للتمثيلية التي شاركه فيها ماهر
ويوسف ، أرسل لآدم عنوان الشقة الخاصة بريم ووضع له دليلا كافيا
لإشعال غضبه ، تمركز البيادق في مكانها ، الباشا في زيارة للأسكندرية
وخالد وسوزان في القصر دون حماية ، وماهر ويوسف مع الباشا في

انتظار اكتشاف آدم الحقيقة ليوجها موج غضبه ، أتى رد فعل آدم مواتيا
لما توقعه خالد ، ونجح ماهر ويوسف في إقناعه أن يذهب إلى خالد
غاضبا .

اقتضت الخطة الأصلية أن يصطحبه الرجلان إلى قصر خالد وهناك كانوا
سيخبرونه بكل شيء ثم يبلغوا الباشا أن آدم قتل خالد بسبب غضبه
وكان اختفاء خالد حينها سيكون مبررا وسيتخلص من ملاحقة أعدائه ،
لكن للأسف الباشا قرر أن يتوجه إلى القصر بنفسه وكان لابد من خطة
بديلة في الحال ، بضع رصاصات زائفة ، كأس خمر واقى رصاص وكيس
يحتوي دما زائفا، لم تكن علامات الضرب على جسد سوزان جزءا من
الخطة ، لكن شجارا حاميا دب بينهما حين عرفت بحضور الباشا وأرادت
التراجع فنالت ما نالت من خالد .

حضر الباشا وحدث كل شيء وفقا لمأرادته خالد ، أيا كان من سيطلق
الرصاصة فهو مستعد لها ولما كاد يغادر الاثنان دون فعل شيء ، أشار
لسوزان فهرعت لتنفيذ الخطة البديلة بأن تصوب نحوه بنفسها .

وقف آدم مضطربا يتطلع بالجثة التي خلفتها سوزان وراءها ، كانت سيارة
الباشا قد غادرت لتوها حين توجه يوسف بالحديث إلى الجثة الملقاة
على الأرض قائلا

- ذهبوا يا خالد .. انهض

سعل خالد وانقلب على ظهره لاهث الأنفاس ، أشار إلى يوسف فهرع
إليه وفك أزرار قميصه ليبدو تحتها وافي الرصاص الذي استقرت فيه
الرصاصية وبقية كيس بلاستيكي شفاف يقطر منه الدم ..

كاد آدم يفقد عقله حين رأى خالد ينهض بعد رحيل الباشا وثار تائرتة
وقال هاتفا بهما

- هل تتلاعبون بي !

اعتدل خالد جالسا في انهاك

- آسف لم تكن هناك وسيلة أخرى

- آسف ؟

هتف آدم بحنق فقص عليه خالد كل شيء من البداية وكدليل دامغ شغل له فيديو سجلته ريم

" هذه الرسالة الأولى .. أنا على الأرجح الآن ميتة ، لكن هناك من يكمل المهمة نيابة عني ، ولا تقلق ياخالد فهو شخص لن يشي بك ما دمت ملتزما باتفاقنا ، كان بوسعي أن أقلب الطاولة على رأس الجميع من البداية ، ولكنني آثرت الثقة بك ، صدقت أنك تريد التوبة حقا لذا ها أنا ذا أنفذ اتفاقنا المسبق ، تأكد من أن تنفذ كل خطوة حسب اتفاقنا وإلا فإن الرسالة التالية لن تصلك ، هذا إن كنت لا تزال حيا أنت الآخر حينها ، كما أخبرتك مسبقا ستصل الرسائل لآدم لأضمن أنك أشركته في الخطة ، لأتأكد أنه سيجد طريقه للنجاة كما ستجده أنت .. "

شعر آدم في تلك اللحظة أنه حقا فقدها ، شعور الذنب لا يطاق وكاد يفقد عقله وهو يفكر أنه وبطريقة ما قادها لحتفها التقط المسدس عن الأرض وصوبه نحو خالد

– أنت ورطتها في كل هذا ... كان يجدر بك إخباري بالاتفاق اللعين بينكما

- وعدتها ألا أفعل ، أنت أكثر من يعرف كم أن زوجتك عنيدة ، طلبت منها الأوراق وعدتها أن أنفذ كل شيء نيابة عنها لكنها لم تثق بي .

وكأنه كان يحتاج لمعرفة ذلك ، هي زوجته لا تتحرك إلا وفقاً لقناعتها وطبقاً لإرادتها الحرة ولو حاول خالد أن يهددها بالقتل حتى فلن تفعل إلا ما تريده ، شجاعة أم حماقة لا يدري ..

خرج من القصر صارخاً كان ألمه لا يحتمل ، لو أنه السبب في موتها أي حياة يمكنه أن يعيش بعد الآن ، يكره نفسه يريد أن يمزق ضلوعه ويخرج قلبه ويدهسه ألف مرة ، ليته لم يقربها يوماً ليتها لم تحبه ليته تركها لتوأمه على الأقل كانت لتبقى على قيد الحياة

لعنة الله على خالد كان من مهد له سبيل الفجور وكان من ورطها في كل هذه المعركة ، جلس القرفصاء منتحباً تهلكه الأفكار .

حضر ماهر في تلك اللحظة وحاول أن يهدئ من ثورته وجذبه إلى الداخل بعد عناء شديد .

جلس الثلاثة على الأريكة فيما شرح لهم خالد أركان الخطة ، بدأ بتأمين فريدة وياسين نقطتي الضعف الوحيدة ليوسف وخالد وآدم ، ووعد يوسف خالد أن يساعده في استعادة طفله .

أعطى خالد كل منهم هاتفًا قابلاً للتتبع حتى يسهل الوصول لأحدهم إذا وقع في مأزق ، وطلب منهم تسجيل رقم هاتفه باسم الصقر .

أعطى الطبيب الذي أتى لفحص ماهر سابقاً وأعطى خالد مخدراً قوياً أبقاه ساكناً هادئاً الأنفاس فاقداً للوعي ، حين وصل رجال الشرطة إلى المكان لم يسمح آدم لأي شخص بالاقتراب من الجثة أكثر من متر حتى المصور الذي التقط لها الصور ، حُملت الجثة إلى سيارة الإسعاف التي كان يقودها يوسف بنفسه ولم يسمح آدم بأن يصحب خالد شخص سواه ، وفي منطقة مهجورة وقفت سيارة الإسعاف وهبط منها آدم متوجهاً لأخرى كانت في انتظاره في نفس البقعة تحمل جسداً آخر غير جسد خالد ، وانطلقت نحو المشفى حيث كانت فريدة .

بسبب تدخل فريدة وياسين تشابكت الخيوط وأضفت وشاية سوزان مزيداً من الارتباك ، لحقها فيديو المراقبة الذي وقع في يد ياسين .

هذا الصباح حين حضرت فريدة استيقظ خالد على صوت طرقاتها المتتالية وحين رآها عبر ثقب الباب لم يكن بوسعه أن يفتح لها ، كان من الخطر إشراكها في سر كبير كهذا ، وقف يراقبها من خلف زجاج الشرفة العاكس حين رآهم ينقضون عليها ويختطفونها ، هبط الدرج مسرعا واستقل سيارته المصفوفة أمام البناية . اتصل بآدم فلم يجبه ثم يوسف وأبلغه بما حدث وطلب منه اللحاق به بتتبع إشارة هاتفه ، ثم حاول الاتصال بماهر الذي كانت قد انقطعت أخباره منذ ليلة الامس وحين لم يتلق إجابة اضطر للجوء إلى ياسين ، كان هذا هو الحل الأخير .

صف سيارته أمام المخزن حيث انتظر وصول يوسف وياسين ، كان يقف أمام الباب حوالي عشرة حراس والله وحده يعلم كم العدد من في الداخل ، حين وصل رفيقيه ، اندفعوا لمهاجمة الحراس وتسلسل خالد إلى الداخل تاركا رفيقيه يتوليان مهمة الحراس في الخارج.

٥

الشيء الوحيد الذي يجعل الشر ينتصر أن

يظل الخير ساكنا لا يفعل شيئا.

ادومند بيرك

جلس داخل سيارته الرمادية أمام منزل ياسين يستمع عبر جهاز التنصت للمحادثة الدائرة في الأعلى تمتلك منه الدهشة، خالد لا يعرف حقا الرواية الحقيقية للأحداث، وقام ببراعة شديدة بتحريف الجزء الذي يعرفه، أما البقية فمجموعة من المعلومات المشوهة المنقوصة التي لا يعرف كيف صدقها خالد من البداية، فعلت ريم الكثير لحماية هويته حتى أنها أخبرت خالد حكاية تنقصها التفاصيل، كانت تعرف حساسية موقفه وأن الطريقة الوحيدة ليتمكن من مساعدتها أن يبقى مخفيا عن الأنظار.

فتح نافذة السيارة وأغلق الجهاز، نزع القلنسوة عن رأسه، وهدق بالسماء، كان الجو ملبدا بالغيوم ويُنذر باقتراب عاصفة، لكنه عرف أن العاصفة التي يعدها ستكون أعتى بلا شك، فتح درج السيارة واستخرج USB سوداء اللون بحجم الإصبع، كانت ملطخة ببقعة دم رفض أن يمحوها منذ اللحظة التي انتزعها فيها من يد ريم، أراد أن يُبقيا هكذا أمام عينيه، ليتذكر كلما وهن أي ثمن دفعته ريم لتكتمل خطتهما.

ران الصمت لبرهة، حدقت فريدة في وجه خالد، كذبة وراء كذبة، خدعة تغلف أخرى، كلما انتزعت حجابا وجدت وراءه دربا طويلا من الخداع والزيغ، يالها من حكاية مدهشة! لكن ما ذنب المرأة التي دفعت حياتها ثمنا لتنفيذ خطته؟ وهل يثق حقا أن تنتهي الأمور كما أراد لها أن تفعل؟ -خالد هل تعي خطورة ما تفعله؟ هل أنتم مدركون تماما لما قد يحدث؟

قالت فريدة في خوف، فتبادلوا النظرات في صمت ثم قال خالد -ومالذي ليس خطيرا في عالم المنظمة يا فريدة؟ البقاء فيها والخروج منها كلها طرق تؤدي للهلاك في النهاية، لقد اخترنا الحل الوحيد الذي يمكنه أن ينقذنا وهو أن ننهي المنظمة كليا.

فقلت

-هذا صعب جدا، كيف تنوي أن تفعل هذا بحفنة من الأوراق؟

-ليست حفنة من الأوراق!

قال خالد، فأجابه يوسف

-ماذا تكون إذا ياخالد؟ لقد خضنا معك الطريق ونحن لا ندري إن كان الدليل الذي حدثنا عنه قويا كفاية لإنقاذنا.

-بل أقوى مما تعتقد، الأوراق مجرد جزء مما نملكه، الشيء الأهم هو ال USB وهو ما يفتش عنه الباشا ويريده.

-وعلا ما تحتوي؟

سأل ياسين فأجابه

-تسجيلات لاتفاقات مشبوهة وصور وأرقام الحسابات البنكية المشبوهة.

-فقط؟

سأله آدم في شك، فهز رأسه مؤكدا، ولم يكن هذا فقط ما تحويه بالتأكيد.

-إذن، فريم فعلت كل هذا لحماية آدم؟

سأل ياسين، لم يكن قد تفهم كليا ما قاله آدم بشأن الرسائل التي أرسلتها له، لم يستوعب تماما أن ريم اتفقت مع خالد لأجل إنقاذ آدم، قال خالد وهو يبذل النظر بين التوأمين

-ليس تماما، لم يكن آدم السبب الوحيد، لكنها اتخذت منحى أكثر خطورة بسببه ربما.

ارتسمت ابتسامة مغتظة على شفتي ياسين وهو يضغط على أسنانه، وحقق فيه آدم حانقا، ألن يكف؟ حقا لن يتوقف عما يفعله؟ إن الغضب من حق آدم وليس العكس، لماذا سرق مفتاح شقة ياسين ولما أتى يفتش ورائه كاللصوص؟ لماذا لم يواجهه بشأن اكتشافه لحقيقة أن خالد كان حيا، لماذا يستكثر عليه ما فعلته ريم؟ هل تعمييه الكراهية إلى هذا الحد!

قالت فريدة وكأنها تذكرت للتو

-ولكن لماذا اختطف الباشا آدم وماهر!

-هذا هو السؤال المهم حقا ..

قال خالد شاردا، لو كان تخمينه صحيحا فالباشا يعرف أن آدم تسلم الشحنة الحقيقية من الميناء ولا بد أنه تتبعه وراقبه واكتشف اتصالاته بماهر.

نهضت فريدة قائلة

—أنا متعبة سأخذ للنوم قليلا

دخلت إلى غرفتها وبعد دقائق كان يوسف قد تبعها التفتت نحوه وقالت في سخرية

—لا مزيد من الأكاذيب، أليس كذلك؟

قال مدافعا وهو يتقدم نحوها

—لم تكن كذبة، خالد طلب منا ألا نخبر أحدا ولم نكن نعرف ما قد يحدث، كان يجب أن تتوقفي عن التورط في الموضوع أكثر مما فعلت.

—أنت تصر على وضع الحواجز بيننا يا يوسف ...

قالت في خيبة متذكرة ما كانت قد أتت لتخبره به هذا الصباح، لقد أخفت شيئا ما هي أيضا، لا حق لها في لومه وقد فعلت ما فعله تماما،

ألم يعودا يثقان ببعضهما أبدا؟ هي تكذب وهو يكذب، تعرف أن الدافع الحقيقي هو رغبة كل منهما في حماية الآخر ولكن لما يبدو لها أنهما يقاتلان على جهتين مختلفتين تماما، لقد حسمت قرارها بالفعل أنها لن تخبره بأي شيء، لم تعد تعرف شيئا حدسها ينبؤها أن هناك شيء ما لا يزال مخفيا، كما أن خالد لم يقل الحقيقة الكاملة، هي تعرف شقيقها حين يكذب.

أمسك يوسف بيدها

-دعينا لا نفعل هذا، نحن في مرحلة خطيرة للغاية ويجدر بنا التكاثر معا.

هزت رأسها موافقة

-أنت محق.

-ولكن لما كنت آتية إلى هنا في الصباح؟

زاغت ببصرها قائلة

-لا شيء شعرت بالخوف والقلق من البقاء وحدي لذا أتيت إليك، ولم

يكن معي رقم هاتفك الجديد فلم أتمكن من الاتصال بك.

توبة إبليس

أمسك يدها مبتسما

-لتمضي الساعات القادمة بخير ولن نخاف ولن نقلق أبدا بعد الآن.
هزت رأسها بابتسامة مغتصبة وشردت بعيدا، هي حقيقة أن كل شيء
مرهون بالساعات القادمة.

وصل الباشا إلى المخزن ليجد رجاله في حالة سيئة والمخزن خاوٍ دون
أي من الرهائن التي كان من المفترض أن يجدها فيه.
هربت فريدة ومعها المفتاح مرة أخرى، اللعنة، لقد خرج كل شيء عن
سيطرته، رامي كان محقا، جميع من حوله خونة ومتملقين حتى ماهر
مساعدته وذراعه اليمنى، حالما اختطف رجاله آدم وجدوا رسائل
ومكالمات هاتفية بينه وبين ماهر تؤكد أنه كان يساعده، لذا أمر رجاله
بالتحفظ على ماهر والذي كان أرسله إلى الاسكندرية ليباشر مهمة
البحث عن يوسف، فاكتشف أنه هو بنفسه من يساعده على الإختباء.

اليوم الثامن - بعد

منتصف الليل

دق جرس هاتف فريدة فخرجت من الغرفة إلى الشرفة لتجيب، أتاها

الصوت مضطربا

-حان الوقت ...

-أنا قادمة ...

قالت فأجابها

-تعالى وحدك يا فريدة، اكتشفت بالفعل أننا لا نستطيع الثقة بهم.

ردت في اضطراب

-كنت محقا.

-حسنا، تعرفين أين علينا أن نلتقي!

-أراك قريبا.

قالت ثم أغلقت الهاتف، كانت يدها ترتجف في توتر، لولا أن رجال

الباشا اختطفوها ربما لم تكن لتعرف أبدا أن خالد على قيد الحياة، هذه

الحقيقة المفرحة مرعبة، أمسكت المفتاح الذي يحيط جيدها، لقد حان الوقت.

التقطت معطفها وغادرت المنزل، وكان خالد الذي وقف يراقبها منذ غادرت الغرفة يقف مختبئاً في العتمة، التقط مفاتيح سيارته وأسرع ورائها، أغلق الباب بحذر، وتبعها إلى الخارج، استقلت سيارة أجرة، فأدار محرك سيارته وانطلق خلفها، كان يعرف أن هذا سيحدث، لهذا كان حريصاً على ألا يصل لها الباشا أبداً قبله، كان حريصاً على ألا يعرف يوسف أو آدم السبب الحقيقي وراء حمايته لفريدة ولا وراء مطاردة الباشا، كان هذا الجزء الناقص من الحكاية الذي رفض أن يبوح به، الجزء الذي لا يعرفه إلا خالد وريم وماهر والباشا.

استيقظ مثقلاً بهمومه التي لم تتركه يغفو إلا لعدة دقائق بالكاد ليلة أمس، الحقائق التي انكشفت أمامه مثيرة للحزن، لقد ظل يشك في نوايا شقيقه ويتهمه بأشياء شتى فيما لو أنصف فقد كان هو من خان وهو من استباح مالا يحق له، أليست خيانة أن يكن المشاعر لزوجته شقيقه؟ أليست خيانه

ألا تغادر تفكيره ولو لثانية؟ أن يستريح حزن آدم ويشاركه فيه؟ أن يضع نفسه في مكانة ليست له؟

قبل عام أو أكثر كان صديقه قد أخبره بشأن فرصة للسفر للعمل في قضايا تابعة للمحكمة الدولية واستشعر ياسين عظمة الفرصة ولكنه كره السفر والاعتراب فعرج على شقيقه في مكتبه وتحادثا طويلا في الامر، كاد آدم يتوسله البقاء ذلك اليوم وقطع حديثهما وصول أوراق قضية هامة فطلب منه آدم أن يسبقه إلى المنزل ليرتاح قليلا وليكملا حديثهما وطمأنه أن ريم مسافرة إلى القاهرة ولن تعود قبل يومين.

وصل إلى الشقة وكانت معتمة فسار إلى الشرفة وفتحها حين شعر بذراعيها تتطوقان خصره فالتفت مسرعا ليجدها ترتدي منامتها القصيرة، عانقته بمرح وهي تقول

-إشتقت إليك

تخدر جسده كليا وخفق قلبه كما في صدر جواد جامح في خضم سباق يدها تسلقت ظهره وأنفاسها حفرت صدره فتهاوت قوته ومقاومته هتف به صوت "ادفعها، أخبرها أنك ياسين، أنها زوجة شقيقك"، لكنه وهن وظل

مدهوشا مغمورا بنشواه المذنبه، تتردد الصرخات في صدره وشعر أن
إيمانه وضميره يتلاشيان حتى انحبس صوتهما تماما وروحه تن وجعا تارة
وتطرب فرحا تارة، رفع ذراعيه وضمها وكاد يستكين لذلك الشعور، لكنه
أحس كما لو أنه يضم الجحيم إلى صدره، أغمض عينيه وشحذ همته
واستدعى بقية إنسانيته، ردد ألف دعاء ثم أمسك بذراعيها ودفعها غطى
وجهه بكفيه وقال بصوت متهدج محطم

– أنا ياسين

ارتطمت بها الكلمة فهرعت إلى الداخل هلعا وظل هو مكانه مستطار
الفكر متهيبا، اتكأ على باب الشرفة لما أهلكه الدوار، شعر بضعف
غريب وكأنه وضع كل قوته الجسدية والنفسية في اللحظة التي استدعى
فيها ضميره من غفلته، بح صوته وتلاشت أنفاسه وشعر كما لو أنه ينازع
الموت وقد كان ينازع موت شيء في روحه حقا.

دفع بريم التي لم يحلم بشئ إلا قربها منه، تلك اللحظة ستخلد في
ذاكرته للأبد وعرف انه مهما استبسل فلن يقدر على غض بصره عنها منذ
اليوم، لن يراها إلا ويتخيلها في منامتها القصيرة تطلق شعرها، عاد إلى
شقيقته وارتمى على أريكته محموما يردد اسمها في هذيان حتى غفا وحين

فتح عيونه من جديد كانت قد مضت ستة عشرة ساعة بالفعل، وكان قد قرر الهرب إلى الأبد والابتعاد عنها قدر المستطاع .. كانت الفاكهة المحرمة التي اشتهاها والآن بعد أن ذاقها فلن يرغب سوى في المزيد. والمزيد نهايته الهلاك، فكان الحل هو الهرب.

أمام

شقة فريدة

افترشت فريدة إحدى درجات السلم تنظر بين لحظة وأخرى في ساعتها، حمداً لله أنها نجحت في التسلسل من المنزل دون أن يشعر بها أحد، كان الإسبوع الماضي جحيماً حقيقياً وهي تنتظر منذ وفاة خالد المزيفة اللحظة التي تحصل فيها على موقع الخزنة أخيراً، عرفت متى وكيف ستنتهي الخطة ولم يمنعها ذلك من الشعور بالخوف، تدري أن خروج الأوراق سيكشف الوجه الحقيقي للجميع وتعرف أن ما ستكتشفه حينها مرعب.

وقفت السيارة الرمادية أمام المنزل ترجل منها حاملا باقة زهور وسار نحوها وضع السلة إلى جوارها، كان يرتدي معطفا ويغطي رأسه بقبعة، نظر نحوها وقال

—أنا أعتمد عليك يا فريدة.

فقالت بابتسامة وهي تحديق في وجه رامي الذي نحل، بدا متوترا أكثر من عادته، هل تتوقع شيئا غير هذا وهو يضع جهد السنوات وحق دم ريم المهدر بين يديها.

—لا تقلق يا رامي، كل شيء سيمضي كما خططنا.

هز رأسه وانصرف وسارعت هي بالبحث عن البطاقة المرفقة وجدت مطروفا صغيرا يحتوي على رسالة ومفتاح ولم تكد تجدها حتى وجدت يدا تشدها من يدها التفتت فإذا به خالد، هبت واقفة فمد يده الأخرى وسحب القلادة المعلقة بعنقها في حركة عنيفة فصرخت متأوهة وقال هو بابتسامة

—شكرا يا فريدة، انتهت مهمتك.

ليلة عاصفة أخرى تضرب المدينة وموج البحر هائج يضرب الشيطان كأن به شكوى ييئها وحرنا يبكيه، المطر يساقط مدرارا ويجري على طرقات المدينة الظمأى فتلقاه بذراعين مفتوحين، كانت الرؤية صعبة للغاية والإشارة التي يتلقاها يوسف من هاتف خالد تضعف وتضعف لحسن الحظ أنها ثابتة في موقع ما منذ عشر دقائق تقريبا، ويفصله عن هذا الموقع قرابة ربع الساعة يتمنى أن يصل قبل أن يحدث خطأ ما، كان الموقع عند شقتهم القديمة وكان هذا شيئا غريبا للغاية، قلبه يحدثه بكارثة وشيكة، عرف ذلك منذ استيقظ ولم يجد خالد وفريدة في المنزل، لماذا غادرا في هذا الجو العاصف؟

وصل يوسف إلى البقعة التي توقفت فيها الإشارة أوقف السيارة على مسافة من سيارة خالد وكان لا يزال يجلس فيها كأنه في انتظار شيء ما، ركز يوسف بصره فلمح فريدة تجلس على درج السلم في مدخل البناية المقابلة، أثر عدم التدخل حتى يفهم حقيقة ما يجري أولا.

بعد قرابة نصف الساعة توقفت سيارة رمادية أمام البناية وتذكر يوسف كلام آدم عن السيارة فدهش من تواجدها هنا، ترجل منها رجل يحمل

باقة زهور وضعها إلى جوار فريدة وانصرف بسيارته، فتح خالد باب
سيارته وركض صوب فريدة فتبعه يوسف من فوره.

وقفت فريدة ذاهلة تحديق بشقيقها الذي انتزع الرسالة من يدها ليقول
بنبرة مخيفة

- شكرا يافريدة مهمتك انتهت.

وقف يوسف مختبأ ينصت للحديث الدائر بين الشقيقين، شحب وجه
فريدة ولهت وهي ترمق خالد بذعر حقيقي. لم يكن ما يخيفها أنه تتبعها
إلى هنا ولا أنه أخذ رسالة ريم ولكن لأن النظرة في عينيه ذكرتها بما ظنت
أنه انتهى، كان ذلك وجه خالد الذي تكرهه عيونه التي تقدح شرا وخبثا
كريهين.

- شكرا لحمايتك للمفتاح حتى الآن.

قالت بارتجاف دون أن تحرك نظرتها المثبتة في عينيه

- ماذا ستفعل به؟

- لن تروقك الإجابة.

أجاب بنبرة قاطعة فاندفعت لسحب الرسالة من يده لكنه تفادى حركتها
بحركة للخلف وقد اعتلت ملامحه ابتسامة لزجة اشعلت في جسدها
الحريق.

– إياك أن تفعل.

جائحة العينين تحرق بشقيقتها ويبادلها هو نظرة باهتة

– كنت أعرف أن دورك في اللعبة أكثر من مجرد ساعي بريد يحمل
المفتاح لي وحسب كما ادعت ريم.

هتفت

– أرجوك، لا تجعلني أندم على ثقتي بتوبتك.

أجابها ببرود

– كنت أعرف أن هناك سبب جعل ريم تصدقني رغم أنها لم تثق بي
أبدا، كنت أنت من أقنعها إذا، شكرا.

صرخت فيه

– شكرا؟ خالد هل تمازحني؟ ألا تنوي حقا أن تلتزم بالخطة؟

ارتسمت على شفثيه ابتسامة جانبية ولاح في عينيه غدر مرعب ففهمت فريدة الاجابة دون أن يقولها حتى، انقضت عليه تحاول نزع الرسالة وهي تصرخ

- لن أسمح لك، هل تظن أنني وحدي في هذا؟ هل تظن أن يوسف و آدم سيتركانك وشأنك؟

دفعها بيده دفعة عنيفة فسقطت أرضا وهي تنظر له في خيبة يعرف أنه خذلها ولم يكن يهتم أو على الأرجح لم يكن هذا أكثر ما يعنيه في هذه اللحظة، لقد نال مبتغاه أخيرا وعليه أن يفكر في خطواته التالية حان وقت التخلص من النصل الحاد الموضوع على رقبته

شعر بجسم دائري بارد يلمس مؤخرة رأسه مصحوبا بصوت يوسف يقول - لا تتحرك .

جفل خالد لبرهة ونظر إلى وجه شقيقته الممتقع وجسدها الذي يرتجف في ارتباك وخوفه.

- هل أنت بخير ؟

سأل يوسف فأجابت بهزة من رأسها أن نعم وهي تنهض بصعوبة، قال يوسف في توتر حاول أن يخفيه

- ماذا يحدث ؟

- ضع مسدسك أولاً !

قال خالد بصرامة فهزت فريدة رأسها نفيًا ليوسف توصلته عينها ألا يثق بشقيقها، كان يوسف يحاول أن يسيطر على موج الأفكار الذي يقتلع قلبه، كلمات خالد كانت تشي بالحقيقة التي كان يخشاها من البداية، ردد يوسف في داخله في خيبة كبيرة وإن لم يكن قد فهم حقيقة الامر " لقد خُدعنا " كان هذا على الأقل واضحًا جليًا ولا يقبل الشك.

بلل يوسف شفثيه بلسانه والتقط أنفاسه، حاول أن يفكر أن يتخذ قرارا ما لكن الخدعة التي شعر أنه تعرض لها أذهبت كل اتزانه وقدرته على التفكير، قالت فريدة

- اعطني المفتاح والرسالة.

ضحك خالد

- هل تظنين أنني أخشى أيا منكما

توبة إبليس

فأجابته بقسوة

- خالد، صدقني، أنا على استعداد كلي أن أسدد ألف رصاصة إلى
دماغك الآن.

ورأى ذلك في عينيها فعلا فمد يده بالرسالة والمفتاح لفريدة فتحركت
باتجاه يوسف ووقفت إلى جواره، التفت خالد نحوهما قائلاً
- لنعد إلى المنزل ونتحدث.

ترددت فريدة لكن يوسف أشار له بالتحرك دون أن يُنزل سلاحه، سار
الجميع نحو سيارة يوسف، ناول يوسف المفتاح لخالد فقاد السيارة
ومسدس يوسف الجالس في الكرسي المجاور موجه إلى رأسه، أرادت
فريدة أن تفتح الرسالة لكن خالد احتج قائلاً

- سنفتحها حين نصل!

فانصاعت فريدة، على أية حال ربما كان وجود آدم ضروريا حين تقرأ
الرسالة.

خرج من الغرفة فوجد شقيقه جالس على الارىكة، حاول أن يتجنبه وسار

نحو الطاولة التي توسطت الصلاة وانشغل بصب القليل من الماء من

الزجاجة الموضوعه عليها في كوب زجاجي لكن ياسين قال

- إذن كان شكى في محله وكنت أنت السبب في موتها.

لم يجب آدم ومضى في سبيله فالتفت له ياسين هاتفا بعصبية

- لم أتركها لك لتقتلها في النهاية يا آدم، لو كنت أدري.

قاطع آدم في سخرية

-لم تكن لك يوما لتتركها لي.

قالها آدم وهو يتناول كوب الماء عن الطاولة ليشرب بينما قال ياسين

- كنت أستحقها أكثر منك!

التفت آدم بغضب نحو شقيقه الذي وقف لتوه في مواجهته، ألقى بكوب

الماء نحو الجدار فتهشم لم يحرك ياسين ساكنا وقال

- هذه هي الحقيقة، كنت أستحق كل الأشياء التي أخذتها مني أكثر

منك .

ارتطمت قبضة آدم بوجه ياسين بعنف بالغ فتراجع مصدوما لبرهة ثم تقدم نحوه ليشتبكا في عراكٍ دامٍ.

كيف يمكن أن تمر السنين والمرء يبني داخل وجدانه جدارا يمتد حتى الشمس من الكره والخيبة؟ متى تسنى لهما أن يكتما كل هذا الغضب؟ وكيف لم يحدث أن تفجر يوما؟ تلك الليلة وبينما العاصفة كانت تنتفض في شوارع المدينة وصوت الرعد يزلزل القلوب كان زأير الغضب الأسود يشعل جحيما في صالة الشقة المهجورة منذ شهور، لأول مرة منذ دهر طويل كانت الغلبة لآدم في العراك الدامي الذي احتدم بين التوأمن بدا أن ياسين كسر بكلماته بابا وحرر وحشا غاضبا من قلب شقيقه، صرخ آدم وسبه بأفزع الالفاظ، طرحه أرضا وانهاه عليه لكما وركلا ولم يستطع ياسين أن يواجه كل هذا الغضب العارم فاستلقى يتلقاه كله متأوها تارة وكاتما أنينه تارة أخرى، ابتعد آدم لاهث الأنفاس يمسح دما تدفق من شفثيه بفعل لكمة ياسين الوحيدة التي نجحت في الوصول إليه، افترش الأرض بجوار جسد شقيقه المطروح أرضا، يتصبب عرقا وتقف الدموع بين أجفانه تنتظر الإذن بالهطول.

قال ياسين وسط سعال شديد مصحوب بالدم

- إذا كنت تحبها إلى هذا الحد كان يجدر بك حمايتها.

صرخ آدم باكيا

- اصمت، من أعطاك الحق في محاسبتني؟

أجابه وهو يعتدل جالسا

- ريم ماتت بسببك، هل تدرك ما فعلته؟ أرسلها الله لك لترى النور من

جديد، كان لابد لك أن تعود عما تفعله، لقد ظننتُ أن وجودها معك

سيحميك من نفسك، تخليت عن حبي لها لأنني أعتقدت أنها فرصتك

الوحيدة للنجاة من الشر الذي سكنك، لكنك لم تتغير، بل دفعتها إلى

الهلاك، وجعلتها تدفع ثمن أخطائك.

قال آدم وهو يشير إلى صدره

- ريم كانت لي من البداية أنت لم تملكها أبدا لتتركها، كنت أمامها

لأربعة سنوات ولم يخفق قلبها لك مرة واحدة، بل أحبتني أنا.

بهت ياسين

توبة إبليس

- لا يجدر بك التباهي يا آدم، ليس بعد ما فعلته بها، أنت إنسان فاسد،
لم تكن ريم الشيء الأول الذي تأخذه مني وتهمله، لا تجعلني أبداً
بالحديث عن والدينا حتى.

أجاب آدم بصوت يصحبه النشيج

- لا تجرؤ على التحدث عنهما، أنت لا تعرف شيئاً عن الجحيم الذي
عشته معهما، لم تحاول يوماً أن تسأل، ولا تدعي أنك لم تعرف أي نوع
من البشر هما، لقد أتيت وعشت معنا عدة أشهر ثم لم تحتمل البقاء
ورحلت، تركتني وحدي، تنصت مني كما يتنصل المرء من عار يلاحقه،
كنت تعد حقيبة سفرك عائداً إلى القاهرة وأردت أن أتوسل لك لتبقى
لكنك كنت غاضبا، قلت لي أنك تريد الهرب لكي تصبح إنساناً طبيعياً،
أنا نعيش حياة لا تلائمك، كنت تهرب مني أيضاً، رأيت ذلك في
عينيك، ودعتني وداعاً جافاً ورحلت، تركتني للجحيم مرة أخرى وكنت
أظن أنني قد تحررت بمجيئك، ظننت أنني وجدتك لتؤنس وحدتي،
لتخفف من الحزن والغضب والوحشة لكنك لم تر إلا نفسك ولم تفكر
إلا في الهرب.

نهض ياسين وقال مدافعا

-هل تلومني؟ ماذا كنت تريدني أن أفعل وقد وجدت نفسي محاصرا بك في كل مكان؟ والدينا عاجزان عن التمييز بيننا، الجيران والأساتذة يتجنبونني ويعاقبونني بسبب أفعالك أنت، هؤلاء هم أصدقاء آدم، هذه أغراض آدم، المدينة بأسرها كانت عالمك أنت وكنت أنا دخيلا، اختنقت ولم أملك إلا أن أهرب، حتى لا أكرهك أكثر مما كنت أفعل.

قال آدم في وجع

- ها أنت تُقر أخيرا بما رأيته في عينيك طوال الوقت، لكنني لم أفهم ما سر الكراهية الشديدة؟ وأنا لم أحب إنسانا أكثر منك حتى ريم، ولو أنني عرفت أنك كنت تحبها لتتحيت جانبا من البداية، لكنني اكتشفت الأمر لاحقا، بينما كانت زوجتي وبين ذراعي

قال ياسين في دهشة

- ألا تعرف حقا؟ ألا تفهم أنك أخذت كل شيء، والدينا وحياتنا، وأخيرا المرأة الوحيدة التي أحبت، والكارثة أنك كنت ما أنت عليه، إنسان فاسد اعتدت أن أقف في المحكمة أواجه أمثاله كل يوم، لكن كان علي

ألا أحاكمك لأنك شقيقي، كان علي أن أقف وأشهد ما فعله دون أن أستطيع قول أي شيء.

وقف آدم ليواجهه

- إن كان الأمر يزعجك إلى هذا الحد لما لم تتدخل لما لم تحاول ولو مرة واحدة أن تمسك يدي وتشدني من هذا العالم؟ هل فكرت يوما أنني فعلت كل ما فعلته رغبة في نيل اعترافك بي، لإجبارك على ملاحظتي، أنا لم أرغب في أي شيء إلا أن تقف معي، أن تمد يدك إلي، لكنك لم تفكر إلا في نفسك.

مصفر الوجه مضطرب الفكر كان ياسين ينظر في وجه شقيقه الممتقع ويتلقى كلماته العاصفة فيصيبه الدوار ويكاد قلبه ينخلع من بين أضلعه، كان آدم يتحدث كأنه ماعاد يستطيع كبح الفيضان الذي تفجر لتوه.

- كان بقائي إنسانا فاسدا كريها خطائا هو وسيلتك الوحيدة للشعور بالرضى عن نفسك أنت العظيم النزيه الذي لا يخطيء ولكي تثبت قداستك تدعي أنك ضحيت بالفتاة التي تحب لأجلي، أذكر جيدا أنك حاولت تغييرى كثيرا في فترة خطبتنا لأنك اعتقدت أنها تستحق رجلا

أفضل مني، حتى محاولتك الوحيدة كانت لأجلها، لقد دفعتني كراهيتك للغرق أكثر مما دفعتني للنجاة.

تنهد ياسين وهو يضرب قبضته في الأرض ويحدق بشقيقه الذي نكس رأسه أرضاً

- هذا ما أخبرت به نفسك طوال عمرك يا آدم؟ كراهيتي لك كانت الدافع الذي أبقاك غارقاً في الخطايا؟ أنت مخطيء لا تريد أن تعترف أنك السبب الوحيد فيما أنت فيه، لأنك اخترت طريقاً سهلاً، لأنك ضعيف وليس لأنك تحاول التمرد علي وعلى والدينا.

- كفى

هتف آدم فقال ياسين بنبرة متحدية

- كفاك أنت أيها الممثل العظيم، لا تحاول أن تعيش في دور الضحية فلو قمنا بالحساب يجدر بي أنا أن أنحرف فقد عشتُ بعيداً عن عائلتي طوال حياتي تقريباً والمرأة التي أحبها أخذها شقيقي، أما أنت فما هي حجتك؟ هل ما فعله والدانا يبرر لك مساعدة القتلة والمجرمين؟ إذا لماذا لم تتغير حين أتت ريم ومنحتك الحب والاهتمام؟ أنا لست قديسا

ولا منزها عن الخطايا، لكنني أقاتل نفسي كل يوم، تهزمني تارة وأهزمها تارة.

نهض ياسين وقال بنبرة قاطعة ، كقاض يصدر حكمه النهائي في المحكمة

- الإنسان النقي لا يتخلى عن مبدأه حتى لو كان السكين فوق نحره
لكنك لم تنتبه لأفعالك حتى تسببت في موت ريم.

صرخ آدم

- كفى يا ياسين أرجوك

- تؤلمك الحقيقة ؟ اكرهني اكثر يا آدم، وبرر لنفسك أفعالك ألقى باللوم علي في كل شيء حتى لا تكره نفسك ولا تحاسبها.

نهض آدم ليواجه شقيقه وقال بنبرة مكسورة

- لعلك تكون محقا، لكنني لا أدعي ولا أمثل، أنا أعرف يا ياسين أنني لم أحتج شيئا في الحياة إلا وجودك معي ودعمك لي، كنت سأشعر لو أنك في صفي أنني قادر على هزيمة الدنيا ومواجهة شرورها، هل تذكر حين كنا طفلين وكان الأطفال يتعرضون لي وكنت تحميني، كنت أنتظر

منك أن تحميني، لأنني أكثر ضعفا وهشاشة، لو تقربت مني وحاولت مرة واحدة لأنصت لك، أنا ضعيف ها أنا أقر وأعترف لكنك كنت مصدر قوتي، كنت أرنو إليك دائما أنتظر منك أن تلتفت وأن تتأني حتى ألق بك، لكنك لم تلتفت، مضيت في عناد شديد، شعرت بالعار لكوننا شقيقين ولا تعرف كيف جرحني الأمر! هل هناك أفضح من أن يكرهك نصفك الآخر، الإنسان الذي تشاركه نفس الوجه.

ران الصمت الثقيل برهة طويلة من الزمن وكلا التوأمين يتجنب أن يرفع عينيه صوب الآخر وخيوط الدمع ترسم سبيلا على كلا الوجهين، تحرك آدم نحو الشرفة تاركا ياسين لأول مرة يفكر في شيء ماخطر بذهنه قبلا ماذا لو أنه حاول لمرة؟ ماذا لو أنه تنازل وساعد آدم ليصير الطريق؟ لقد كان دوما قاسيا، مستقيما كحد السيف، يهاجم آدم وهو يظن فيه القوة ولم يعرف أن قلب توأمه كان أكثر هشاشة من احتمال نظرته التي تحمل الكراهية، ولكنها لم تكن كراهية، هل أعجزه إلا أنه لم يتمكن من كره آدم بالكامل، لقد اكتشف للتو وهو ينظر في عيني شقيقه ويرى حجم الألم في مقلتيه، أنه لم يكرهه يوما لكنه كان غاضبا للغاية من آدم ومن نفسه، ومن الظروف التي حالت بينهما وفرقتهما ووضعتهما في مواجهة

بعضهما بينما كان الواجب أن يساندا بعضهما، هما بذرة الخلية الوحيدة التي انشطرت نصفين، تسكنهما نفس الخيبة والأوجاع، وللسخرية انتهى بهما الأمر لحب امرأة واحدة.

وكان آدم بنفسه يقف عند سور الشرفة معترفا للمرة الاولى أنه مسئول كليا عن أخطائه وألا أحد ولا سبب قاده إلى ما هو فيه، لماذا يلوم ياسين وهو نفسه لم يخشي على نفسه وعلى المرأة التي يحب من الهلاك، ياسين محق لقد اختار آدم الطريق الأسهل وحسب وعاقبه الله بالحرمان من حب حياته لانه ما استحقها يوما، سيتعلم أن يعيش بدونها في النهاية، الجميع يتعلمون، لكنه سيكون ناقصا للأبد، لن يشعر بالسعادة الكاملة أبدا ، ستظل المرارة تلحق حياته ولن يكون هناك شيء يمحوها.

أوقف يوسف السيارة أمام المبنى وترجل الثلاثة يقود خالد الطريق للأعلى مدفوعا بتهديد سلاح يوسف قبضت فريدة على الرسالة والمفتاح بيدها المرتجفة، لماذا تشعر أنها عادت للمربع الاول وأنها في نفس الموقع الذي كانت فيه قبل شهور خلت؟.

شعرت بيد يوسف تمسك يدها فاستكان قلقها ورفعت عيونها نحوه كان
القلق باد على وجهه هو الاخر يخشى أن يعترف أنه خُذع وحتى لو
اعترف فهو لا يدري كيف يتصرف حقا ولا كيف يواجه هذا الامر!
فتح خالد الباب ودخل وكانا خلفه بعدة خطوات، استلقي ياسين على
الاريكة في الصالة ووقف آدم في الشرفة وماهر يقف عند باب غرفته
وفي حركة مباغثة أخرج من جيبه مسدسا وألقاه صوب خالد الذي وجهه
نحو يوسف، صوب يوسف سلاحه نحوهما.

من خلفه ظهر ظل عملاق وبضربة قوية على مؤخرة رأسه أرداه أرضا فاقدا
للوعي، انتفض ياسين وادم ليتطلعا بالمشهد الملبد غير المفهوم بالنسبة
لهما تفاجأت فريدة هي الأخرى بمسدس مصوب إلى رأسها ورجل غليظ
يدفعها للدخول، تقدم ثلاثة آخرون من رجال خالد إلى الصالة، سحب
أحدهم جسد يوسف إلى الداخل وصوب الاخران مسدساتهم نحو
التوأمين وقال خالد موجه حديثه لهما

– تحركوا

تهبة إبليس

كان ياسين هو من وصل أولا ولحقه آدم الذي كانت عيونه تطلق شررا
غاضبا

- ماذا يجري؟

لم يكمل جملته حتى شعر بضربة عنيفة موجهة إلى ساقه من الخلف مما
جعله يسقط على ركبتيه التفت ليجد مسدسا موجهها إلى رأسه وحامله له
ذلك الوجه المألوف

- معتر!

هتف آدم فقال معتر وهو يوجه رأسه للأمام بضربة عنيفة

- انظر أمامك..

- اجلسوا

قال خالد فانصاعت فريدة وياسين لأمره، كان الاربعة موجودين في
منتصف الصلاة توجه نحوهم سبعة فوهات مسدسات على أهبة الاستعداد
لإطلاق النار في أي لحظة، سار خالد نحو شقيقته ومد يده.

- الرسالة والمفتاح.

قبضت فريدة عليهما بإحكام شديد فانتزعهما من يدها، وسار مبتعدا،

سأل آدم

- فليشرح لي أحدكم ما يجري؟ اللعنة ياخالد مالذي تفعله!

لوح خالد بالرسالة.

- وصلت الرسالة الأخيرة من زوجتك.

فأجاب آدم

- لا تجرؤ حتى على خيانة اتفاقنا ياخالد!

نظر خالد إلى رجاله وقال ساخرا من آدم

- هل تدرك في أي وضع أنت الآن؟

هتف ياسين

- ماذا تعني؟

ابتسم خالد

- يبدو أن المفاجأة تمنعكما من الفهم، فدعاني أوضح الأمر ببساطة،

أصدقائي الاعزاء لقد خدعتكم.

تهبة إبليس

أجابته فريدة دون أن ترفع عيونها نحوه

- لا تفعل أرجوك.

- أنا آسف يافريدة كان عليك أنت وصديقتك أن تعرفا مع من تتعاملان.

صرخت فريدة

- لقد عرفت ريم حقيقتك من البداية، أخبرني إنك إبليس وإبليس لا

يتوب لكنني تصرفت بغباء تام وصدقتك.

صرخ آدم بدوره

- لحظة واحدة كيف تعرفين ريم! ماذا يحدث هنا؟

توجه خالد ببصره نحو آدم قائلاً بهدوء يثير الاعصاب.

- صحيح، أنت ويوسف لم تعرفا شيئاً عن التحالف النسائي العظيم،

زوجتك تقربت من شقيقتي قبل أن تموت وأعطتها المفتاح وطلبت منها

الاحتفاظ به، قالت لي أن فريدة لا تعرف شيئاً إلا أنها أمانة يجب

الاحتفاظ بها لكن الحقيقة أنها عرفت كل شيء ، زوجتك كانت كاذبة

ماهرة.

كاد آدم ينهض لكن ضربة عنيفة من معترز على ظهره أجبرته على الجلوس
في موضعه

- هل كان كل شيء خدعة إذا؟ هل هناك المزيد؟

سأل آدم متألماً فضحك خالد

- كل شيء كان كذبا، الحقيقة الوحيدة أنني لم أقتلها، لأن الباشا
سبقني.

حدجه آدم بغضب، وسألت فريدة في حيرة

- والمذكرات؟ وما كُتِبَ فيها؟

أشاح خالد بوجهه وتجنب الاجابة قائلا

-دعونا نقرأ الرسالة

كانت فريدة تراقب المشهد في رعب وعيونها معلقة بيوسف الذي فتح
عينيه متأوها، تحرك خالد نحو ماهر الذي جلس على أحد الكراسي في
إرهاق قائلا

-حان الوقت لنهي اللعبة التي بدأناها، كنزك الثمين موجود في خزانة في بنك تحتوي صندوقا صغيرا مفتاحه حول عنق فريدة.

كان يوسف قد اعتدل جالسا حينها، فتح خالد الرسالة وقرأ

- والخزانة تركتها تحت اسم ياسين.

توقف خالد عن القراءة ضاحكا واتجه ببصره نحو آدم رافعا حاجبيه ثم أكمل القراءة

- تحت اسم ياسين رشدي أنت تعرفه بالفعل، تحياتي يا صقر.

بُهِت خالد وتغير لونه، كور الورقة وألقاها جانبا في غضب

-ريم لم تكتب هذه الرسالة ؟

وحدق في شقيقته

-ريم لا تعرف شيئا عن لقب الصقر، لكنك ربما أخبرتي سائق السيارة الرمادية شيئا عنه.

نظر آدم نحو خالد في ذهول

-هل تعني نفس السيارة ؟

-بلى، سائقها هو من أحضر العنوان والمفتاح لفريدة. من يكون؟

جلس خالد أمام فريدة وسألها

-لا أعرفه، ريم قالت أنه صديق قديم، كما لاحظت أنه يغطي رأسه بقبعة

ويخفي وجهه بلثام، وضع الورود وانصرف.

-كذبة أخرى ..

قال خالد في غيظ، تبادل التوأمان نظرة وجلة، قطعها خالد مناديا

- ياسين ..

التفت نحوه فقال

- سيكون عليك أن تؤدي مهمة صغيرة

هتف

- مستحيل

قاطعته خالد مهددا

- اسمعني يا صاح، أنا لا أطلب منك خدمة، نفذ وإلا ستكون حياة

شقيقك هي المقابل.

كان تهديده كافيا ليهز ياسين رأسه في صمت

- أدخلهم إلى الغرفة ودع ياسين.

قال خالد لمعتر وأشار لأحد رجاله ليقرب، طلب منه أن يحضر له بعض

المعدات وأن يحضر سيارة لتصطحب ياسين.

في الغرفة جلس الثلاثة على السرير يحيط بهم أربعة من رجال خالد

بخلاف معتر الذي غادر الغرفة لتوه، كانت فريدة ترتجف في رعب

وخوف وآدم يمسك برأسه الذي يكاد ينفجر ويوسف يجلس حائرا.

- كيف كنا بهذا الغباء؟

قال آدم فأجابه يوسف

- كنا يائسين، كلانا يعرف أن خروجنا من المنظمة يبدو كالمعجزة، وأن

المعجزة لو كان لها أن تحدث فلن يفعلها شخص إلا خالد، لذا حين

عرض علينا أن نساعدته ويساعدنا تشبثنا بالأمل، رغم أننا نعرف أن الثقة

بخالد هي أكثر فعلة حمقاء قد نرتكبها.

عقت فريدة في شرود

توبة إبليس

- ريم كانت محقة

- كيف كنتِ تعرفينها؟

سأل آدم وتبعه يوسف وفي عينيه نظرة خائبة

- ولما كذبتِ؟

فأجابته فريدة

- إنها قصة طويلة للغاية، سأخبركما كل شيء من البداية.

ثم قالت موجهة كلامها ليوسف

- هل تذكر التسجيل الذي أرسل لي بخصوص حمزة، كانت ريم من

أرسله كانت هي التي ساعدتني لأعرف أنه لم يمت لأنه مريض ولكن

بسبب الباشا.

حذق فيها كلاهما بذهول فاستطردت

-تركت لي مع التسجيل رسالة أخبرتني أنها تسعى للانتقام من المنظمة

وأني لو أردت الانتقام لما حدث لطفلي فسيكون انضمامي لها شيئاً

عظيماً للغاية، طلبت مني أن أنتظر عدة أيام قبل أن أواجهك أنت وخالد،

وطلبت مني أن أذهب تلك الليلة لمنزل خالد، لذا ذهبت وأدعيت أنني شعرت بالمرض فاصطحبني إلى المشفى وكانت زوجته خارج البلاد فلم يبق إلا الخدم، حضرت ريم إلى القصر بصفتها خادمتي ولا أعرف كيف تسللت إلى غرفة خالد ونجحت في سرقة الملفات.

نكست رأسها ثم أردفت

-ظهرت ريم في حياتي في لحظة حالكة للغاية منحنتي أملا في إنتقام يشفي غيظي ويهدأ لوعتي فتبعتها، عرفت القليل عن الخطة، أرادت ألا تفحمني أكثر مما ينبغي مخافة أن أتأثر لاحقا بسبب زوجي أو أخي، تركت بيننا مسافة آمنة، تلاشت في لحظة غضبي حين رفضت تصديق توبة خالد وألححت أنا أنه كان صادقا، وصدقته ريم بسببي، أعرف أنها أرادت كسب الوقت لمنح آدم فرصة التوبة قبل أن تستغل الأوراق التي تملكها لكن ذلك لا يمنع أنني من أقنعها بوضع يدها في يده..

سأل يوسف محتارا

-لكنني لا أفهم لماذا يطاردك الباشا؟ ما أهمية هذا المفتاح؟

- ليس المفتاح، لكن خالد والباشا يعتقدون أنها أخبرتني عن مكان الأدلة قبل أن تموت، وكانا على يقين أن الأدلة ستجد طريقها لي في النهاية، لذا تنافسا في الوصول إلي.

قال آدم بحدة

- وهل تعرفين أين الأوراق؟

- لا خافت ريم من لحظة كهذه فلم تخبرني ..

قال آدم بانفعال

- وسائق السيارة؟

- لا أعرفه ..

أجابت بحزم، فنظر لها يوسف بطرف عينه ، كانت تكذب ، من هذا

الرجل الذي تبذل زوجته كل هذا لحماية هويته!

ناوله خالد نظارة بإطار أسود وشرح له أنها تحوي كاميرا ستنقل له كل حركة يقوم بها مباشرة، سيصطحبه رجاله إلى البنك ويعيدونه إلى هنا وأي حركة خاطئة قد تكلفه حياة شقيقه وحياته، انصرف ياسين مع اثنين من رجال خالد الذي شغل شاشة تنقل له كل حركات ياسين، وصلوا إلى البنك وأدخله موظف إلى الغرفة التي تحوي الخزائن وقاده إلى المسجلة باسمه وانصرف ليمنحه الخصوصية فتح ياسين الخزانة الصغيرة ليجدها فارغة ولا تحوي إلا أقصوصة ورقية ظهرت لخالد على الشاشة بعدما فضها ياسين تحوي جملة.

"أنا اسفة يافريدة ولكن لا سبب يدعوني للثقة بخالد، لا يمكنني أن أعطيه الملفات"

توقفت الشاشة على صورة القصاصه التي يحملها ياسين في يده، اتسعت عينا خالد وتهدجت أنفاسه أمسك برأسه وصرخ صرخة غضبي اهتزت لها جدران الشقة، اللعنة لا يمكن أن يحدث هذا الان، وقف يدور حول نفسه يكاد غليان دمه يصهر عروقه، لم يدري مايفعل كان يتناول كل ماتطاله يده ويلقي به يدفع الكراسي بقدمه ويصيح كأن به مس من جنون، أي ورطة!

افترش الارض لاهث الانفاس كان ماهر يقف عند باب الغرفة محققا به في ذهول وهلع لا يقل عما كان بخالد انسحب إلى الغرفة وتركه وحيدا ينعي الخيبة الكبرى والورطة العظيمة التي وضعته فيها ريم للتو، هداً من روعك يارجل، فكر، فكر!

أنزلت به ريم هزيمة لا تحتمل سحقته بضربة واحدة ودمرته كلياً، وأعلنت فوزها الساحق عليه حتى وهي تحت التراب الان، لا من المستحيل أن تكون قد خدعته ما كانت لتقوده كل هذا الطريق لو أنها تنوي خيانته منذ البداية لا يمكنها أن تقطع خط الوصول دون أن يكون هناك خيط آخر يرشده، لو أنها لم تكن تنوي تسليم الاوراق لما سمحت بتوريث فريدة وآدم في المعركة بل لم تكن لتقوده إلى هذه الخزانة في الأساس، مالذي تنويه؟ أي لعبة تلعبها؟ تلك المرأة الميتة لا يمكنها أن تغير شيئاً مما أقرته بالفعل لكن شريكا يدير خيوط اللعبة يمكنه، قفز عن كرسيه مسرعا نحو الغرفة فتحها لينهض يوسف وفريدة وآدم في فزع، أشار لفريدة لتقترب لكن يوسف امسك بيدها قائلاً

– ماذا تريد منها؟

أجاب بهدوء

تهبة إبليس

- سنتحدث قليلا.

كانت صرخاته التي وصلتهم قبل دقائق وصوت الحطام ووجهه المسود يؤكدان أن كارثة قد وقعت ومع ذلك آثرت فريدة السير معه ليتحدثا، غادر خالد الغرفة وراء فريدة بعدما أكد على معتر أن ينتبه وينتظر أوامره.

وقف آدم أمام معتر بعد انصراف خالد قائلا

- لماذا؟ بل السؤال الحقيقي كيف؟

أجاب بابتسامة باهتة

- تعني كيف تمكن شخص غبي مثلي من خداعك؟ لأنك أنت الغبي الحقيقي أنا مكلف بمراقبتك بأمر من الباشا منذ أربع سنوات، كانت مهمتي ببساطة أن أجعلك تثق بي وأكون العين التي تراقبك.

أربع سنوات وهو يرتدي قناع البلاهة على وجهه يالها من مضيعة حقا.

- وماهو المقابل؟

- بمجرد أن ينتهي دورك شخص آخر سيكون معدا ليكمل الطريق من

بعدك.

توبة إبليس

أجابه بتهكم

- وهذا الشخص أنت، إذا لما لم تقتلني وتأخذ مكاني؟
- مهمتي لم تكن قتلك، وإذا فعلت لم أكن لآخذ مكانك.
- اللجنة هؤلاء الأوغاد لا يتركون شيئا للصدفة كل واحد يظن أنه في مكان مؤثر ويؤدي مهمة جليلة للمنظمة لا يعرف أنه مجرد حلقة بمجرد أن تنكسر أو تصدأ تحل واحدة أخرى مكانها، بالطبع فكل موقع في هذه اللعبة حساس للغاية ولا يجب أن يترك شاغرا ولو للحظة.

فسأله دم في عدم فهم

- ولكنك كنت تعرف أنني أخطط لشيء ما ضد الباشا فلما لم تخبره، وتعرف أيضا أنه يبحث عنا جميعا فلما لا تتصل به.

ابتسم معتر ابتسامة واسعة

- في هذه اللعبة عليك أن تكون مرنا، تجيد تبديل دورك حين يكون ذلك لازما، الجميع يعرف أن أسطورة الباشا انتهت، خالد كان الأسطورة الجديدة، وكما وكلني الباشا بمراقبتك، كنتُ عينا للصقر أيضا.

صفق له آدم والتفت إلى يوسف الذي تابع المشهد قائلاً

- يبدو أننا الغيان الوحيدان هنا.

- يبدو كذلك فعلاً ..

قال يوسف في ضيق وعقله يفكر في فريدة.

قال خالد وهو يقف أمام شقيقته عاقدا ذراعيه أمام صدره محاولاً أن

يكبح غضبه العارم

- أين الملفات يا فريدة؟

طالعه في بلاهة

- ألم يحضرها ياسين؟

- ريم لم تترك شيئاً في الخزانة يا فريدة، فقول لي أين الملفات، أرجوك؟

شحب وجهها وهتفت في توتر

- مستحيل، هل كان الأمر برمته خدعة؟

صاح خالد

- هل تريد أن أصدق أنك لا تعرفين شيئاً؟

- أنا حقا لا أعرف شيئاً.

- وسائق السيارة الرمادية؟ ألا يعرف شيئاً؟ ألم تخبره ريم شيئاً؟

قبض خالد على ذراعيها بيديه، هل فعلها رامي؟ هل خدعها حقا؟ لا تنكر

سعادتها أن الأوراق قد اختفت بعد أن انكشفت لعبة خالد الحقيقية،

ولكن تذكرت فريدة أجهزت التنصت التي زرعتها بعد وصولهم جميعا إلى

هنا، الاجهزة التي توصل لرامي كل ما يحدث، فهل عرف أن خالد

يخدعهم وأخفى الأوراق قبل وصول خالد لها؟

ولما لم تحر جوابا قال

- تكلمي وإلا فرجالي في لندن سيختطفون طفلك للمرة الثانية وهذه

المرة سأجعلهم يقتلونه حقا.

ارتسمت على شفيتها ابتسامة ساخرة

- أنت مصر على إثبات أنك شيطان!

توبة إبليس

دفعها هاتفا

- أنتِ التي تصر على أن محاولتي للنجاة بنفسي تجعل مني شيطانا!
- لا يعقل أن يتأذى كل هؤلاء الناس لتنجو أنت ولا يكون هذا عملا
شيطانيا.

- لن تفهمي أبدا

قال وهو يجلس على كرسي لاهثا مرهقا

- في الحياة نوعان من الناس يافريدة، المسيطر والخاضع لسيطرة
الآخرين ولكي لا تكون من النوع الأول عليك أن تكون النوع الثاني، أنتِ
وربم تعتقدان أننا نعيش في عالم مثالي تنتصر فيه المثل والمبادئ ولكن
الحقيقة أنكما تعيشان في برج عال ولا تعرفان كيف تدار الحياة حقا، لم
تواجه إحداكما الحياة الصعبة ولم تضطر لاتخاذ قرارات قاسية ولم تجبر
على السير في طرق لا ترغب في السير بها.

هتفت

- حقا؟ مالذي واجهك ياخالد قد يكون أفضح مما واجهته؟ كلانا مر

بنفس الظروف ولكن

توبة إبليس

تغضن وجهه وقاطعها

- بالطبع لا، أنتِ خرجت من الملجأ ووجدتني قد هيأت لك حياة ووفرت لك منزلاً، لكن أنا ويوسف خرجنا لنجد أنفسنا في غابة، كل شخص فيها مستعد أن يدهس الآخرين كي ينجو، ولا أحد مستعد لأن يظهر رحمة للآخرين أبداً، كل شخص يعد أحكامه وسكاكينه وإذا انهار شخص ما قتلوه، يستقوون على الضعيف حتى يحولونه لوحش وحينها فقط يخافون منه ويحترمونه، كل المساكين إذا نالوا سلطة دهسوا الأضعف منهم بلا تردد

حدقت فيه فريدة وهو يكمل

- ماذا تعرفين عما مررت به؟ هل حبسوك في الملجأ يوماً في المخزن مع الفئران؟ هل أخبرك يوسف عن مدير الملجأ الذي كاد يقتله؟ هل أخبرك أنه لم يُحبس يوماً واحداً، أنني قابلته قبل انضمامي للمنظمة بعام واحد وكان يحيا حياة الملوك التقينا صدفة وعرفني وسلط عليا رجالا كادوا يقتلونني لينتقم مني.

تنهد وقال ساخرا

-هل تعرفين كيف تعرفنا أنا وآدم؟ لقد حاولت قتل هذا الرجل، وقبض آدم مبلغا ماليا كان كل ما أملكه حينها ليفسد الأدلة وليبتز الرجل بصور له مع عشيقته حتى يقول أنه لم يعرفني وأني لم أتسلل إلى منزله لأقتله؟
استطرد لاهث الأنفاس

-وتتحدثين أنتِ وريم عن العدالة؟ أين العدالة في الحياة التي عشتها؟ الشر والظلم حقيقة ولا يمكن مواجهتهما بالخطب الرنانة، لقد خدعتني ريم أنا أيضا، جعلتني أصدق في وقت ما أنني أستطيع تغيير الواقع، أن هناك طريقة أخرى غير القتل والدم للنجاة.

تحشرج صوته وهو يكمل

-كان كل ما كتبه في المذكرات حقيقيا، كنت على وشك أن أقترف حماقة كبيرة، وكنت سأتابع ريم حتى النهاية، حتى الخلاص من المنظمة، كدت أغير هدفي من الرغبة في السيطرة على كل شيء إلى الرغبة في التوبة، لكن ريم ماتت لتثبت لي أنني كنت واهما .. أن الشر وحده قادر على النجاة في هذا العالم.

ثم ضحك ضحكة أسرت في جسدها الرعب

- انظري أين هي ريم التي حاولت أن تمنح العامل المقتول حقه بالقانون ودون أن تظلم أحدا؟ مصيرها هو مصير أي شخص يحاول إفساد التسلسل الهرمي للحياة. القوي قوي لأن هناك ضعيف والظالم ظالم لأن شخصا قبل أن يُظلم، الأساس هو الأشخاص الذين ندهسهم لنعلو فوق رقابهم ولولاهم لم أكن أنا أو أي شخص آخر لنصل إلى ما وصلنا إليه. فلا تلوميني لأنني قررت أن أحمي نفسي واتحكم في مصيري - لكنك لم تتحكم في مصيرك، انظر إليك تخبأ هنا كالفئران وتدعي الموت.

هب واقفا وقد تذكر ما ستكلفه لعبة ريم من خسائر.

- لهذا أسألك أن تمنحيني الأوراق، لأنها وسيلتي الوحيدة لأتحكم في مصائرهم جميعا، لكي أتوقف عن كوني لعبة وكي لا أضطر للاختباء.

هتفت بتوسل

- ولماذا لا تترك كل هذا وتهرب؟ العالم كله يعتقد أنك ميت يمكنك أن تسافر إلى أي مكان وتبدأ من جديد.

- لم يبق إلا خطوة واحدة وأصبح المتحكم في كل شيء لن أهرب
الآن، وتأخر الوقت كثيرا على محاولة البدء من جديد الدمار الذي
يسكنني لم يعد هناك شيء يُصلحه أنا إنسان مشوه تأخر الوقت لعلاجه
لأنه أصبح بنفسه سلاحا يشوه كل شيء حوله

- كل إنسان مهما بلغ ظلمه وجبروته بداخله نقطة بيضاء إذا وجدها وجد
طريقه للنجاة وهاهي بين يديك اليوم، فرصة أخيرة للعودة يا خالد، لا تدع
شيطانك يزين لك الموت والهلاك، لا تجعله يدفعك للقنوط من رحمة
الله، هذه المرة لن يشفع لك أي شيء أنت تختار أن تتحول إلى إبليس
بيدك..

أجابها

- هذا هو خيارى الأخير.

اقترب منها وقبض على ذراعها مرة أخرى

- سأسألك لآخر مرة، أين الأوراق؟ لو أردت رؤية طفلك حيا.

قاطعته

تهبة إبليس

- ألم تعرف بعد؟ رجال يوسف استلموه من سوزان بالفعل لم يعد هناك
فائدة من تهديدي به.

لم يهتز خالد ولو قليلا

- إذن والد حمزة يفني بالغرض.

فأجابت باضطراب

- أنا لا أعرف شيئا حقا

- وسائق السيارة؟

سكتت فاستشاط غيظه وسحبها وراه في اتجاه باب الشقة قائلا للواقف

عند الباب قبل أن يعبر للخارج

-اقتلوهم

صاحت فريدة

- خالد أرجوك ..

- هذا هو ثمن صمتك يا فريدة ...

كانا قد وصلا للأسفل وفريدة تصرخ في نحيب متصل، حاول دفعها للدخول في سيارته لكنها قاومته بكل قوتها كان هذا في اللحظة التي وصل فيها ياسين مع رجال خالد ولاحظ ما يجري فترجل من السيارة وهرع مسرعا نحوهما يحاول تخليص فريدة من يد شقيقها لكن رجال خالد انقضوا عليه من الخلف وكبلوه وانهالوا عليه ضربا بأحذيتهم، ولكن شيئا غير كل المشهد فجأة، خرج من اللامكان عشرة رجال اشداء هاجموا رجال خالد ونكلوا بهم نكالا عظيما، هب ياسين وسحب فريدة من يد شقيقها الذي قيده واحد من هؤلاء الرجال ولم ينقذه من بين يده إلا ماهر الذي وصل للمكان لتوه فساعد خالد ليتحرر وانطلقا بالسيارة مبتعدين تاركين رجالهم يتلقون مصيرا قاتما، خرجت فرح من وراء إحدى السيارات المصفوفة على جانب الطريق اقتربت من ياسين وفريدة وكانا يراقبان المشهد في ذهول وعدم فهم حتى أبصرا فرح فانجلت كل الاسئلة وحلت محلها ابتسامة ممتنة من ياسين الذي قال

- أنت من أحضرهم إلى هنا؟

هزت رأسها بالايجاب قائلة

- هل أنتم بخير؟

تهبة إبليس

وصفح السؤال فريدة فجأة لما تذكرت أمر خالد لرجاله فقالت بارتجاف

- يوسف وآدم!

تركها ياسين وأسرع راكضا نحو الأعلى يتبعه رجال فرح فتح الباب
ليقابله دوي الرصاص المروع.

كانت السيارة تتقدم بسرعة فائقة تخترق الطريق الخالي من المارة، البرد
ينخر العظام ومع ذلك فقد كان لهب الغيظ والغضب يكاد يصهر جسده

- ماذا سنفعل؟

قال ماهر فأجابه خالد بشرود

- لا أدري

ذات صباح بعيد وكانت شمس خالد درويش رجل الأعمال الثري الشاب
ذائع الصيت ماتزال بازغة في كبد السماء كان ظل قاتم يجثم على
جسده من الخلف، ظل يتخفى وراء البذة الأنيقة والكلمات المنمقة
والطبع الهادئ الرزين، ظل يتشبث به بخيوط كلما تقدم تشده للوراء،

يصبح المرء أحيانا وبالا على نفسه ومصدر الشر الاعظم والخوف الاكبر في حياته، شخص واحد كان يطارد خالد بلا نهاية وهو خالد نفسه الذي تعاضم طمعه ورغبته في انتزاع السلطة من برائن كل من يحاول فرض سلطته عليه، لقد ذاق ذل الخضوع ومرارة أن يسلم مصيره للاخرين ومن يومها عاهد نفسه ألا يترك مصيره بيد أحد سواه، بدأ في جمع الأوراق والأدلة ليحاول حماية نفسه منهم وسرعان ما تحول هدفه لرغبة في ان تكون له اليد العليا في المنظمة وربما خارجها، تجاوز كل الحدود في الحصول على تلك الأدلة حتى أنه ورط البعض في كوارث عدة حتى يصنع أسلحة تهديد ضدهم، من كان له مع النساء مجال أرسل إحداهن له ومن كانت آفته القمار سهل له سبيله، كان من الممكن أن تكفيه دلائل الاختلاس والسرقة والتهريب لكنه أراد أن يصل إلى النقيصة التي تنزع ستر كل واحد منهم أمامه، كانت هناك لذة عظيمة في أن يسبر أغوارهم وأن يتلاعب بأهواءهم كيف يشاء، بجانب الملفات التي سرقها، كانت ال USB التي تحتوي تلك الأدلة هي الشيء الأهم.

كان ذلك اليوم يجلس في مكتبه الفاخر يحتسي كوبا من القهوة ويراجع أوراق مناقصة هامة دلفت السكرتيرة إلى مكتبه ووضعت أمامه مظروفا

وأخبرته أن مجهولا تركه هذا الصباح وطلب تسليمه يدا بيد له، طلب منها خالد أن تنصرف وفتح المظروف ليجد قرص DVD فشغله بواسطة حاسوبه لتظهر صورة ضبابية في البداية ثم تستقر رويدا على وجه الباشا واثنان من رجال المنظمة المميزين للغاية فكانا صاحبي أكبر نصيب من العمليات في الاونة الاخيرة، أشعل الباشا سيجاره الكيوي والتمعت في عيونه الزرقاء نظرة كراهية وهو يقول بنبرة لزجة

- اتفقت مع القناص، يوم المؤتمر الساعة التاسعة سيقتل خالد وسنلصق التهمة بكامل عز الدين، الجميع يعرف أنهما عدوان، وبهذا أكون قد خلصتكما من الاثنين بضربة واحدة، سنتخلص من خالد الذي يزعج المنظمة بأكملها وكامل منافسكما.

اظلمت الشاشة عند نهاية الفيديو والتصق خالد بكرسيه في دعر، هؤلاء الاوغاد!

كان يدري أن هذه اللحظة آتية لا محالة وقد استعد لها استعدادا كليا لكن من أرسل له هذه الرسالة؟ فكر وكانت الاجابة حاضرة بعد دقائق في هيئة اتصال من كامل عز الدين أخبره بأنه يحمل له صفقة العمر وكان أحد المحققين ممن ساعدوا خالد في جمع الادلة قد وشى به لدى كامل

بعد أن شك الأخير في تصرفات خالد في الاونة الاخيرة، كانت صدمة كبرى أن يعرف أن خالد يحمل أدلة ضده ربما ليست كافية لمساءلة قانونية لكنها كافية حتما لفضيحة اجتماعية ستقضي على مستقبله السياسي داخل أروقة الحزب الحاكم وخارجه لذا كان لابد من استغلال الفرصة בזكاء لئلا ينفرد العقد من بين يديه بل عليه أن ينظر للأمر على أنه فرصة عظيمة للقضاء على سطوة رجال المنظمة الآخرين والسيطرة عليها كليا إذ كانت تعج بالمنافسين الاقوياء وسيفيد ترويضهم بعض الشيء، خاصة أنهم باتوا يحيكون المؤامرات ضده كما رأى خالد بالفعل في التسجيل.

لم يكن خالد مهتما بمثل هذه الصفقة وكان يملك من المستندات والدلائل ما يكفيه لإرضاخ أي منهم لكن صوت كمال أثاره ساخرا - لا تكن غبيا ومتهورا، أنت تحارب قطيعا من الذئاب إن حاولت المساس بواحد منهم ستأكلك البقية حيا، يكرهون بعضهم البعض حقا لكنهم يعرفون أن المساس بواحد منهم سيضعف منهم جميعا، وأنت وحدك لا تستطيع مواجهتهم، ولا فائدة من معاداتهم بينما تملك ما يمكنك من السيطرة عليهم.

كل مافكر فيه خالد في تلك اللحظة أن كامل سيخبر أعضاء المنظمة بما يملكه، وأنه سيقلبهم ضده، صحيح أنه يستطيع أن يخرسه بالأدلة التي يملكها ضده لكنه لن يستفيد شيئاً حينها.

—وإذا وافقت على مساعدتك، ماذا سأستفيد؟

قال كامل في حماس

— لو صار كل شيء حسب الخطة سنكون قادرين على إدارة المنظمة ونطيح بالباشا في وقت قريب، سيكون كل شيء في أيدينا نحن، سأوفر لك الحماية سأكون الدرع الذي يتسنى لك فعل كل شيء في ستره، أعدك أن أنقل لك كل ما يحصل في المنظمة وفي الاجتماعات المغلقة، جيش رجالي تحت إمرتك، المهم أن أضمن ولاءك لي.

لوى خالد شذقه وسأل

— لكنني لا أفهم لما كنت في انتظاري لتنفيذ خطة كهذه؟

تنهد كامل

— الجيش الذي يتبع كل منا به من الخونة والعيون أكثر مما به من الحلفاء، لسنا أحرارا كما تتخيل، كنا نعرف ذلك حين شكلنا المنظمة،

لقد كونا سجنا صغيرا لتحجيم منافسينا ولكن انتهى بنا الأمر لتحجيم أنفسنا أيضا، الجميع يراقب الجميع ويعرف ما يفعله الآخرون، وفوق كل هذا نحن مراقبون من اليد العليا في الدولة كل الادلة التي تملكها يوجد مثلها في الأدراج تنتظر أن يرتكب أحدا خطأ لتخرج وتنتهي مستقبله، لكن أنت كنت مجرد أداة وحركاتك لم تكن محسوبة مثلنا وأجدت اللعب، لم يعرف أحد ما كنت تخطط له، ولم ينتبه أي شخص أنك تجمع شيئا ضدنا، رغم أن المنظمة كلها تشك بك شكا غامضا بلا دليل.

لم يكن خالد يحلم بتعاون اكبر من هذا الان ستكون المنظمة بين فكي الرحي هو من الخارج وكامل من الداخل، سيكون تعاوننا مؤقتا حتى يتسنى لخالد أن يسيطر على كل شيء وحينها سيكون كامل أول شخص يتخلص منه.

لكن ريم سرقت الملفات، ورفعت القضية وتحول الأمر إلى فضيحة، وانتشرت شائعة في المنظمة لا يعرف خالد مصدرها بخصوص وجود الملفات وصار خالد مطلوبا حيا أو ميتا، وأصبح كامل نفسه مصدر تهديد عظيم فقد بدأ يشعر أن خالد قام بخداعه وبدأ يتخلى عن دعمه

شيئا فشيئا ففقد خالد قدرته على معرفة كل ما يحدث، لذا آثر الاختباء في ستر الموت حتى يقضي الله أمرا كان مفعولا، وكان ذلك سيمكنه من العودة مع الاوراق كالبطل المغوار العائد من الموت ليتسلق سلم المجد في لمح البصر بفضل ما يمتلكه من دلائل تساعد على التحكم في مسار اللعبة لكنه يوشك على خسارة كل شيء والعودة صفر اليدين أو يوشك على ألا يعود من الأساس.

وقف يوسف في ركن من الغرفة ينفث جمر القلق، ماذا سيفعل خالد بفريضة؟ يدرك أنها شقيقته ولديه يقين لا يشوبه شك أن خالد مهما بلغ جبروته وقسوته لا يمكن بأي حال أن يؤذيها لكن هذا لم يمنعه من القلق، أما آن لهذه العائلة الصغيرة أن يجتمع شملها، حمدا لله أنه أنصت لحدسه الملح وأمر رجاله باستلام الطفل من سوزان .

دخل معتر للغرفة وأشار للرجال بحركة من يده فرفعوا مسدساتهم في وجه يوسف وآدم فتبادلا نظرة متوجسة، كانت هذه هي ساعة الصفر خالد قرر أن يتخلص منهما بالفعل.

كان آدم يدري أن الهرب مستحيل ولم يكن الموت خيارا أيضا، ولو كان القتال معهم قد يؤدي بحياته فهو يفضل المحاولة على الوقوف وتلقي رصاصة في قلبه.

كانوا أربعة بعد أن انصرف البعض مع ياسين حمل آدم مطفأة سجائر كانت على الكومود وفي متناول يده، ألقى بها نحو واحد منهم في حركة مباغته فتراجع في ألم واندفع آدم نحو واحد آخر واشتبكا في عراك فاندفع يوسف بنفسه هو الآخر، كان من الصعب تفادي رصاصة معتر خصوصا أن آدم كان عالقا بالفعل بين اثنين من رجال خالد، استقرت الرصاصة في ساقه وكانت أقرب شيء استطاع معتر أن يصبوب نحوه متفاديا أذية رفيقيه، سقط آدم متألما فرفع معتر مسدسه ليصبوب نحو الرأس مباشرة لولا إندفاع ياسين إلى الداخل وارتطامه بجسد معتر محولا اتجاه الرصاصة لتستقر في الحائط، كان رجال فرح قد إحتلوا الغرفة بالفعل وشكروا للمعلومات التي زودتهم بها فرح كان من السهل معرفة من يجدر بهم حمايته ومن تجب مهاجمته، انتبه ياسين لشقيقه الذي افترش الارض نازفا فأسرع نحوه في فزع

– هل أنت بخير؟

هز رأسه في ألم، وقف ياسين واتجه نحو معتر الذي كان في شجار محتدم مع أحد رجال فرح فنحاه ياسين جانبا ليهبط على وجه معتر بلكمة وراء أخرى، لم يكفيه جرم الخيانة وهاهو يحاول قتل آدم أيضا. ابتعد يوسف لاهث الانفاس لما سيطر رجال فرح على الموقف وحين لمح آدم الذي كان يئن في ألم سارع بحمله لخارج الغرفة، كانت الصالة فارغة وقد تجمع عدد من الجيران عند باب الشقة جذبتهم أصوات الاعيرة النارية التي أطلقها معتر ..

كانت هناك شاشة موضوعة على الطاولة ومتوقفة على صورة للقصاصه التي وجدها ياسين في الخزانة، وقف يوسف لبرهة مشدوها فرفع آدم عينيه إلى حيث كان ينظر، لم يعرف أي منهما هل يشعر بالارتياح لان خالد لم يهتدي للورق أم ينزعجا لانهما لاحقا لا شئ طوال هذا الوقت. سحب يوسف الجسد النازف عابرين صف الواقفين عند الباب متجهين للأسفل، لم يكن هذا ما قاتل يوسف لاجله لا يمكن أن تكون هذه هي النهاية .

دفع ياسين معتر نحو الجدار وركله في معدته فانحنى متألماً، كان مسدس معتر قد سقط قبل برهة بالفعل، وفي اثناء انحنائه مد يده لجوربه حيث احتفظ بمطواة تحسباً للمواقف الطارئة كما هو الوضع الآن.. أشهر المطواة في وجه ياسين فتراجع للخلف، لوح بها معتر أمام وجه ياسين فأطلق ياسين ذراعه وامسك ذراع معتر بيده حاول معتر أن يحرر يده فاشتبكا واختل توازنهما وسقطا معتر بسكينه فوق جسد ياسين الذي يحاول ابعاد السكين عنه وجهه لكن معتر كان قويا ولم يشعر ياسين إلا بالسكين تحدث جرحا في جبهته مارة بحاجبه محدثة نفقا غائرا، تدفق الدم الساخن على وجهه فاضطرب هنيهة قبل أن يدفع بجسد معتر بعيدا وينهال عليه بالضرب ثم تركه لرجال فرح لما أعمى الدم المتدفق عيوناه ، غادر الشقة تحت ناظري الجيران متجها للأسفل متكئا على السلم .

وصل يوسف للأسفل يجر آدم معه توقف قلب فرح كليا حين أبصرت المشهد وركضت نحوه صارخة في فرح

- آدم ماذا حدث؟

توبة إبليس

قال يوسف

- لنتجه إلى المشفى بسرعة

- سأحضر سيارتي

قالت فرح وهي تسرع لإحضار سيارتها المصفوفة على مقربة بينما تقدم يوسف ساحبا جسد آدم حتى وصل إلى الرصيف وكانت فرح قد وصلت بسيارتها فتحت له فريدة الباب فوضعه يوسف في المقعد الخلفي.

وصل ياسين إلى السيارة نازفا لاهث الانفاس عيونه تبحث في لهفة وخوف عن توأمه حتى وقعت عيناه عليه تقدم صوب باب السيارة المفتوح

وتأمل وجه شقيقه الذي يئن في ألم، كان أنينه يخترق روح ياسين كالسكاكين، دار حول السيارة وفتح الباب الخلفي بالجهة الاخرى رفع رأس آدم وأسنده إلى فخذه وقال لفرح التي جلست خلف المقود

- تحركي بسرعة.

فأدرات محرك السيارة وانطلقت، واستقل يوسف وفريدة سيارة يوسف وأسرعوا في إثرهم.

توبة إبليس

جلس داخل سيارته الرمادية أمام البناية التي توقفت عندها سيارة خالد،
كان قد تبعهما منذ غادرا منزل ياسين حتى وصلا إلى منزل قديم، دخلاه
معا منذ قليل، فتح رامي هاتفه واتصل بكامل، أجابه الرجل على مضمض

-ماذا تريد؟

-أريد مساعدتك مرة أخيرة، سأؤدي لك خدمة العمر!

تأفف كامل سائلا

-عما تتحدث؟

-خالد على قيد الحياة، سأرسل لك عنوانه الآن يمكنك المجيء للتأكد
بنفسك أو أرسل رجالك ليتأكدوا.

هتف كامل

-رامي إن كنت تخدعني ..

قاطع رامي

لا أملك سببا لخداعك، لدي خطة، فهل ستساعدني؟ هل تريد أن تصبح

مكان الباشا؟ أم لا؟

توبة إبليس

قال كامل بعد تفكير

-بالطبع

-إذن أنصت لي جيدا ...

يقطع الباشا المكتب جيئة وذهابا في توتر وقلق، رجاله لم يجدوا أي

شيء حتى الساعة والوقت يداهمه، دق جرس هاتفه برقم مجهول

فأجاب قال كامل في حماس

-داوود، هل سمعت الأخبار؟ خالد على قيد الحياة .

جحظت مقلتاه في فزع

-هل فقدت عقلك؟

-إنها الحقيقة وهو موجود في هذا العنوان، ابعث رجالك لتأكد.

- حسنا أعطني العنوان.

قال الباشا بعد تفكير، لو فكر قليلا في مقال يوسف المجنون، لو ربط

التفاصيل الصغيرة معا، لكنت فكرة أن يكون خالد على قيد الحياة

ليست شيئاً مجنوناً جداً، وأن يكون كل ما حدث في القصر مسرحية
هزلية لخداعه.

كان خالد يجلس على الأريكة في رواق شقته القديمة يحاول أن
يستجمع شتات أفكاره وماهر يقف في الشرفة غير راغب في الحديث
عن الكارثة التي حلت على رؤوسهم لقد تبع خالد على طول الطريق ظناً
منه أنه سيتوقف أخيراً عن كونه تابعا للباشا، لكن ريم خدعتهم جميعاً،
دوى طرق عنيف على الباب فالتفت ماهر لخالد وتبادلا نظرة خوف، أعد
خالد مسدسه وتقدم نحو الباب، سمع صوت ماهر فالتفت ليجد أن
بعض الرجال قفزوا عبر الشرفة ويمسكون به، دوى صوت طلقات نارية
وانفتح باب الشقة وتقدم رجال الباشا في الصالة وجد خالد نفسه
محاصراً فاستسلم، الليلة لم يكن هناك شيء واحد يسير وفقاً للخطة.

نزعوا العصا عن عيني خالد ففتحهما رويداً وتطلع حوله فوجد نفسه في
زقاق عفن تفوح منه الروائح الكريهة ويغطي أرضيته وحل وقاذورات شتى،

حاول النهوض لكن ذراعيه كانا مقيدين وراء ظهره، كان ماهر بجانبه
تماما مقيدا، تبادلنا نظرة خوف وجلس على ركبتيه بصعوبة لاهثا في
اللحظة التي داهم فيها المكان عدد من الرجال يتبعهم الباشا الذي وقف
ينظر لخالد ذاهلا قبل أن ينفجر في الضحك.

— إنك حقا على قيد الحياة

قالها وهو يتقدم نحوه وفجأة دوى صوت الرصاص وسقط رجال الباشا
حوله صرعى ، تطلع حوله في ذهول وفزع فرأى كامل يتقدم نحوه باسم
— مرحبا .. الجميع هنا فلنبدأ الحفلة إذن.

الويل له لقد قاده إلى هنا ليوقع به لهذا اتصل ومنحه عنوان تواجد خالد

قال الباشا لكامل

— لا ترتكب حماقة يا كامل.

تقدم كامل شاهرا مسدسه في وجهه

— الحماقة الحقيقية في بقاءك على قيد الحياة.

تراجع الباشا في فزع

- هل تعرف من أنا؟ هل تظن أن رجال المنظمة سيتركوك وشأنك؟

ابتسم كامل

- رجالة المنظمة لديهم خبر الآن أن خالد حي وأنت كنت تساعد

للإيقاع بالمنظمة.

- لن يصدقوك!

- على الأرجح، حتى آخذ لهم جثتك وجثة خالد كدليل.

تقدم رجال كامل بمسدساتهم حتى صار الباشا في مرمى الهدف فأطلقت

الرصاصات القاتلة إلى صدر ماهر و الباشا فخرا صريعين، طالع خالد

المشهد في فزع وقال

- تعرف أن قتلي لن يفيدك بشيء.

فقال كامل

- وبقاؤك على قيد الحياة لن يفيدني بشيء، قيمتك الحقيقية الان في

جثتك اللي ستثبت الخيانة وسترفعي إلى رئاسة المنظمة.

هل هذا هو مصيره ونهاية سعيه الدؤوب للنجاة؟ حدق في وجه كامل الذي زينته ابتسامة واسعة تذبح قلب خالد، لقد قاد نفسه إلى هلاك محقق هو يدري! كان هذا الطريق مرسوم منذ بدايته وحاول الفرار من هذا المصير لكنه ما استطاع، لا حيلة له في مثل هذا الأمر، يموت مقيدا ملقى تحت الاقدام في الوحل، هالته فكرة شلت كل حواسه بأي وجه يلقي الله، قفزت نبضات قلبه في تسارع مهلك حتى كاد يشعر أن روحه مفارقة جسده فورا دون رصاص قفزت لعينيه صور شتى لكل الاشياء التي اقتربها وأوشك على البكاء، أوشك على الصراخ في وسط جمع الرجال الذي يلفه، ابيض وجهه واصطكت أسنانه وزحفت برودة قارصة لأطرافه، هاهو ما حاول الفرار منه يواجهه ، هاهو الموت يبسط ذراعيه ويناديه هلم - أرجوك لا تفعل، مازال بوسعي أن أحضر لك الأوراق.

توسل خالد لاجل حياته فقال ساخرا

- وتظنني مجنوناً لأصدق خدعتك مرة أخرى.

لكن السيف سبق العدل، لقد صار موته يشكل ضرورة قصوى لينال كامل كل ما يريده وماحارب للوصول إليه ، خالد والباشا وماهر كلها

وجوه تتغير وأسماء ليست ذات أهمية ، تروس صغيرة تساعد الاجرام العملاقة مثله على الدوران وحين يتعطل ترس او يصبح مصدر ضجيج غير مرغوب فليس أسهل من أن يتم استبداله بواحد أكثر كفاءة.

تحرك كامل بعيدا عن مرمى القناص الموجود أعلى سقف البناية المقابلة ثم أشار له بحركة متفق عليها فأطلق رصاصته التي استقرت بجسد خالد فسقط صريعا إلى جوار الباشا وماهر ، يغمرهم الوحل والخزي .

تقدم رامي نحو كامل الذي التفت له واستقبله في حبور

-مرحبا أيها الصديق؟

قال كامل فضحك رامي، ونظر إلى مشهد الجثث الثلاثة التي سقطت في الوحل

-مرحبا بك في العهد الجديد يا كامل، الآن كل شيء تحت سيطرتنا نحن ..

-بفضلك ..

نظر رامي حوله، كان رجال كامل يشهرون مسدساتهم نحوه ، فتنهد في أسى مصطنع

توبة إبليس

- كنت أتمنى حقا ألا تحاول فعل هذا.

وتحول تعبيره إلى الغضب الهادر، واقتحم رجاله المكان وطوقوه، نظر

كامل حوله وابتسم في توتر، قال له رامي

- أتمنى أن تعرف مع أي رجل تتعامل، سأغفر لك

هذه المرة.

رمقه في احتقار وغادر، وكامل يفكر في شيء واحد، ذهب خالد، وأتى

آخر.

غادر يوسف المشفى بعد أن اطمأن على حالة آدم كانت معه فريدة

وانطلقا على الطريق إلى القاهرة حيث التقاهما أحد رجال يوسف يحمل

جوازي سفر وتذكرتين لرحلة إلى لندن تنطلق في الصباح الباكر وأعطاهما

مفتاحا لشقة في إحدى الضواحي ليقضيا فيها الليلة، ألقى يوسف جسده

المنهك على أحد الكراسي بمجرد دخوله وجلست فريدة على كرسي

مجاور.

- كنت أتمنى أن نبقى مع آدم حتى نطمأن أنه بخير.

توبة إبليس

تنهد يوسف

-بقاؤنا معا ليس خطة حكيمة للغاية الآن، فلن نستطيع حمايتهم ولن نستطيعوا حمايتنا.

دق جرس هاتف يوسف فأجاب كان واحدا من رجاله يبلغه بمستجدات الأمور، تغير لونه وهو ينصت لكلماته وزع نظراته بعيدا عن عيني فريدة المترقبين ثم أغلق الهاتف يحاول استجماع شتاته، ماذا يقول لها؟ هل يمكنها التعايش مع فقد شقيقها مرتين؟ امسك يدها وحاول أن يقول شيئا لكن الكلمات خانته، لكن فريدة كانت قد فهمت انهمرت دموعها وهي تقول

- كنت أعرف أنه سيموت، لكنني تمنيت حقا أن يترك ما يفعله!

- لا أحد منا استطاع أن يغير مصير خالد يافريدة، كان قد اختار طريقه.

قالت فريدة وسط نשיجها وارتجاف جسدها

- لماذا ياخالد! لماذا!

لم يملك يوسف إلا أن وقف وضمها إلى صدره، ماكان من الممكن أن

تكون لخالد نهاية أخرى إن الذي يستمسك بالضلال وينتظر أن تأتيه

الهداية من حيث لا يدري له خسران مبين. لكل فعل نهاية ولكل جحيم قاع أخير ماكان من الممكن لخالد أن يرث شيئاً من أفعاله إلا ماناله بالفعل، وإن مات خالد فالشر مستمر والصراع قائم حتى النهاية يمتد كحلقات السلسلة تبدل بعضها بعضها وتتابع إلى مالا نهاية.

كانا يجلسان في غرفة الانتظار في استراحة بين رحلتيهما وكانت الاولى حملتهما من القاهرة إلى لندن أما الثانية فتتحرك من لندن إلى كندا بعد ساعة، نظرت فريدة في ساعتها في توتر بالغ أمسك يوسف بيدها مهدئاً، كان من المفترض أن يدركه رجاله الان حاملين حمزة لكنهم تأخروا نصف ساعة كاد القلق يفتك بعقله، اتصل مرة أخرى فأكدوا له أنهم في الطريق، لكن وتيرة القلق ظلت تتصاعد بلا هوادة، وأخيراً دق جرس الهاتف معلنا عن وصولهم هرع يوسف إلى خارج صالة الانتظار ليستقبل الطفل، خارت قوى فريدة ولم تقوى على الاتيان بحركة واحدة!

تلقى يوسف وليده ذو الثمانية شهور من يد رجاله ومعه جواز سفره، كانوا قد ألبسوه ثيابا ثقيلة ودثروه بغطاء دافئ وقاية من برد لندن القارص. بدا جسده الصغير تائها وسط أكوام الثياب وعيونه البنية الواسعة كانت

تحديق في يوسف بدهشة ورغم ذلك كان الطفل مستكينا هادئا للغاية،
ضمه يوسف إلى صدره وتجمعت في مقلتيه دموع وانتابته غصة شديدة
فجلس لاهثا على أحد الكراسي يضم الطفل إليه بقوة محاولا ألا يؤذيه،
ولم يملك كبح نفسه أكثر تساقطت دموعه وعلا نسيجه، لقد نجح،
تحرر من الجحيم وطفله الضائع الان بين ذراعيه، انزاح ثقل عن كاهله
وراح يتنفس في ارتياح يغمره بكاءً فرحاً..

— الحمد لله، الحمد لله

راح يردد ودموعه تتفقد أكثر وأكثر، كان جسده يرتجف ارتجافا عنيفا
ونشوة عظيمة تغمر جسده كله.

بدا ان فريدة قد اصابها القلق لتأخره فوقفت تجر قدميها حتى رآته يحمل
الصغير باكيا فهرعت إليه تكاد تتعثر لكنها ماملكت كبح لهفتها وقف
يوسف يتلقاها فاستندت بيدها على عضده وهي تحديق بوجه الصغير
وعلت شهقاتها وكادت تنهار أرضا لكن يوسف ساندها وأجلسها على
الكرسي ثم ناولها الطفل بين ذراعيها.

— حمزة ..

توبة إبليس

رددت اسمه وسط بكاءها العنيف، كانت تتلمس وجهه بأناملها كأنها لا تصدق أنه بين يديها.

- يخونني التعبير يا طفلي وانا احتضنك بذراعي أخيرا اضمك إلى صدري وارتجف، كيف فرقونا يا صغيري! هؤلاء العتاة القساة بأي قوة أحرقوا روحي ونشروا الرماد، كل ليلة يا طفلي الصغير دونك هي موت محقق، شهور وأنا أحلم كل ليلة بوجهك، يحرقني كبدي يا صغيري وأنا اتخيلك كل ليلة بعيدا جدا والوجع كالمسامير يدقها القهر عنوة في قلبي فأنزف واسقط اسقط دون أن ان ينتهي السقوط ولا يتوقف النزيف!

أي ولدي سأضمك حتى أكتفي ولن أكتفي، سأحرق في عينيك الصغيرتين حتى ارتوى ومثل شوقي لا يعرف ارتواء، سأبتر كل أيادي القهر ولندفن كل هذا الوجع يا صغيري معا !!

ربت يوسف على كتفها وقبل جبهتها قائلا

- انتهى كل شيء يا فريدة، تحررنا أخيرا.

وقفت فريدة ومدت ذراعا تحيط عنقه فضمها إليه والصغير بينهما يتلمس دفئا لم يعرفه قبل اليوم

- شكرا يا يوسف لأنك أعدت لي ابني، وشكرا لأنك عدت.

بادلها يوسف بضمة حنون، كان مممتنا لها فوق وصف الكلمات وقدرتها على التعبير وممتن أكثر لله أن أضاء له الطريق وأخرجه من لجى الغفلة

كانت أزهار التوليب الاحمر هي المفضلة لديها واشترى آدم اليوم كل ما استطاع إيجاده في محل الزهور حتى غطى القبر تماما بالورود وجلس على الحافة صامتا يمسح على التراب، تغضن وجهه وشعر بانقباضة عنيفة حول صدره وكأن يدا غليظة تقبض على نحره

- ريم .

همس وكأنها ستجيبه حقا لكنها لن تفعل لا اليوم ولا أبدا.

-هل هذا نوع من العقاب ياريم ؟ تمضين دون أن تقولي لي أي شئ دون أي عتاب او غضب؟ لماذا لم يكن بإمكانك أن تواجهيني مرة قبل الموت؟

احمرت عيناه وازدحمتا بالدموع وكان هو غائبا في داخله تائها في عتمة عظيمة وحزن يلف أذرعته حوله كالاخطبوط ، كان يسمع صوت صراخ

وبكاء وشعر كأن زلزالا عنيفا يمر عبر جسده، لوهلة بدا كأنه انفصل عن العالم تماما وغرق في بعد سرمدي بعيد ارتسم وجهها في أفق قلبه كانت تبادلته ابتسامة محبة، ابتسامة اشعلت وجعا لا يحتمل، تمزقت صورتها فجأة وتلاشت وحين استعاد آدم شعوره بالواقع من جديد كان يفترش الارض بجوار قبرها صارخا باكيا يمسك برأسه ويأسين يهز جسده حتى يستفيق، نظر في وجه شقيقه المرتعب والدموع التي اجتمعت في مقلتيه ذعرا لما رأى آدم في تلك الحالة المخيفة.

ربت ياسين على كتف شقيقه مهدئا من روعه، لقد تخيل آدم أن خوضه في هذا الطريق سيعيدها له في النهاية على نحو ما لكن هذا لم يحدث ولن يحدث.

هذا هو عقابه الابددي، سيضطر كل يوم أن يتعايش مع هذا الوجع لما تبقى من حياته.

جلس ياسين بجوار شقيقه واحاط كتفه بذراعه محاولا أن يحتوي ذعره ويهدأ من اضطرابه

- ريم لن تعود أبدا.

وكأنه كان في حاجة لأن يسمع مثل هذا الشيء، أجاب بعد صمت

- هذا العالم ليس عالمها يا آدم، أت ريم لتؤدي مهمة وحين انتهى كل شيء غادرت، احترقت لتجعلنا جميعا نبصر الطريق لنتمكن من إيجاد أنفسنا وبعضنا.

تدفقت دموع آدم وراح يضرب على صدره قائلا

- خائف أن تكون ماتت بسببي، ألا تكون قد سامحتني.

كتم ياسين غصته وقاوم رغبته العارمة في البكاء هو الآخر

- ماتت ريم لأجل ما تؤمن به وليس لأجلك، قدمت تضحية كبيرة لتنقذ

الكثيرين .. أنت ويوسف وفريدة وابنهم وكل من تؤذيهم المنظمة، كانت

تريد فضح الفساد وإصلاحه، لكن لا بد أننا في زمن خطأ، حق ريم لن

يذهب هباء وصوتها سيصل وسيحصل ما ضحت لأجله ، مهمتي أنا

وانت ان نتعاهد أننا سنحقق ذلك حين يحين الوقت

هز آدم رأسه واختنق صوته بالبكاء واعتزته رجفة أخرى فضمه ياسين مرتنا

على كتفه

توبة إبليس

- أنا معك يا آدم، لن أتركك بعد الآن تخوض طريقا وحدك، حاول أن تسامحني على كل شيء، كل مرة كنت في حاجتي ولم تجدني، كل مرة كان بوسعي إنقاذك ولم أفعل.

انفجر آدم باكيا وكأن ياسين كان يضغط على جرحه أكثر لكنه هذه المرة كان وجع الشفاء وجع الخلاص من ألم ممض ظل يمزق احشائه سنوات وسنوات، هذا العضد الذي يحتويه الان هو كل ما يحتاجه ليقف من جديد لاجل نفسه ولاجل ريم فليصبح منذ اليوم رجلا آخر.

كان الشفق الاحمر يرسم مشهدا بهيا على صفحة السماء ، القى آدم نظرة أخيرة على قبرها قبل أن ينصرف متكئا على عكازه تاركا ياسين وراءه في انتظار فرح التي اتصلت لتخبره أنها تريد زيارة ريم أيضا .

كانت قد وصلت للمكان بالفعل حين هم آدم بالمغادرة سار نحوها والقي التحية مبتسما فردتها في خجل

- أخبرني ياسين أنك أنقذت حياتنا، شكرا لك.

- كان هذا واجبي .

ربت آدم على كتفها واكمل سيره مغادرا، سارت نحو ياسين فالتفت نحوها حالما شعر بخطوتها استقبلها بابتسامة ممتنة وقفت إلى جواره وقرأت الفاتحة على روح ريم ثم جلست على حافة القبر وهي ترتب الزهور طالعها ياسين والحو على رأسه في تلك اللحظة سؤال - فرح، أظن أنك في حاجة لتشرحي لي ما حدث، آدم أخبرني أنك كنت تعرفين كل شيء من البداية.

نظرت نحو القبر بابتسامة وقصت له ما حدث معها حتى قبل أيام. كانت قد تسلمت رسالة المهمة الأخيرة من ريم وظنت أن مهمتها قد انتهت بالفعل صاحب السيارة الرمادية عاد إليها وترك لها مظروفا به مفتاح، طلب منها أن تتجه إلى البنك وتخرج الصندوق الموجود في الخزانة وتفتح واحدة أخرى باسم ياسين، وتترك فيها ملاحظة صغيرة تركها في المظروف أيضا

وبتبع كل ما قالته ريم أو ما قاله صاحب السيارة لا تعرف، تركت فرح الرسالة ، اتصل بها صاحب السيارة في الصباح وأخبرها أن سيارة محملة بالرجال تنتظر في نهاية الشارع الذي تقطن فيه وأن عليها أخذها إلى حيث يقطن ياسين وإذا حدث شيء غريب فلتصرف فورا، كانت تقبع

على أهبة الاستعداد أمام المنزل حين غادر ياسين مع رجال خالد فتبعته
مع رجالها ذهابا وعودة مخافة أن ينالوه بأذى لكن المشكلة الحقيقية
كانت أمام المنزل في انتظارهما ..

وقف ياسين أمامها مدهوشا

- ومن يكون صاحب السيارة؟ ولماذا ساعدنا؟

هزت رأسها

- لا أعرف.

ثم قالت وقد أدركت أنه لم ينتبه

- ياسين أنا أملك الصندوق الذي تركته ريم لخالد ..

- تعني أن الأوراق بحوزتك؟

هتف ياسين في سعادة فهزت رأسها بالإيجاب

- لا أصدق، إذا فنحن لم نفقدها

هزت رأسها مؤكدة

- في وقت ما حين نتمكن من ذلك لنفتح الصندوق

ولنستعمل الأوراق كما أرادت لنا ريم أن نفعل.

مد يده مصافحا

- أوافقك تماما ..

صافحته بحماس

- إذا أهلا بك يا شريك ..

ابتسم لها ووقعت عيناها على الضمادة التي تغطي جرح حاجبه فتغير

لونها، لاحظ هو فقال مازحا

- علامة مميزة، لن يخلط أحد بيني وبين آدم بعد الآن

اخفضت بصرها وقالت بصوت خجل

- أنا لم أخلط بينكما أبدا

قال مدافعا غير مصدق

- لا بالتأكيد، ريم فقط ...

ثم بتر جملته واعمل ذاكرته قليلا، رفعت فرح عينيها نحوه وحاول هو
بجهد بالغ أن يتذكر مرة واحدة أخطأته فرح فيها لكن لم يحدث ولا لمرة
ولا ليوم واحد ولا حتى في اكثر المواقف إرباكا اخطأت فرح في تميزه،
ارتسمت على شفته ابتسامة دهشة وطالعتها قائلا

- كيف لم ألاحظ شيئا كهذا أبدا؟

تمنت لو تمنعته بالغباء ولكنها آثرت الابتسام في صمت وحك هو رأسه
في بلاهة وانزعاج وهو يطالع فرح، لا بد أنه أغفل كثيرا من الاشياء
وليست هذه وحسب ربما كان آدم محقا لقد مرت سنوات وهو لا يفكر
إلا في نفسه حد أنه اسقط سهوا عدا لا نهائيا من التفاصيل، ربما حان
الوقت ليتغير الحال، قال لفرح بابتسامة

- من الواضح أنني فوت الكثير من الأشياء، أعدك أن أنتبه منذ اليوم.
وهل كانت تحلم بشيء أكبر من أن يبدأ في الملاحظة، ذلك الأحمق.

انتظر طويلا داخل سيارته الرمادية حتى غادر ياسين وفرح، ترجل قاصدا
قبرها يحمل باقة زهور، وضعها فوقه ثم وقف يتلو الفاتحة، وافترش

الأرض ليجلس أمام القبر يحدق فيه بوجوم، اللعبة لم تنتهي يا ريم ولن
تفعل أبدا، لا يدري إن كانت الطريقة التي أنقذ بها الموقف صحيحة، ولا
يدري متى سيكون بوسعه أن يبدأ خطة جديدة بلا أخطاء، ودونها!!!
عض شفثيه يحارب غصة قوية، تقف الدموع في عينيه، كاد كل شيء
يذهب هباء ولولا مساعدة فريدة وفرح لفقد الأدلة وفقد البقية حياتهم
أيضا..

المكسب الوحيد أنه صار جزء من المنظمة، ستكون خطوة التدمير الذاتي
أهون كثيرا مما حاول أن يفعله لسنوات عدة، ولكنه متعب، مل قناعه
ووجه الأفعى الذي يتجول به، يريد أن يعود إلى حياته، طال طريق
الانتقام، وثقل، لم يعد دم صديقه وحده بل إن دم ريم حمل القلب
المتعب ثقلا جديدا.

سبع سنوات ، منذ بدأ هذا الكابوس الذي لا يريد أن ينتهي !
أراح رامي ظهره على الأرض، كانت الشمس قد مالت بعض الشيء،
شتاء المدينة مازال عاصفا كالذكرى التي تلوح له، كالليلة التي فجرت
قدر التعاسة الهائل الذي يملؤه، في سكن قريب من الجامعة، كان يقطن

مع رفيق الدرب وصديق الطفولة جهاد، اسمٌ يصف صاحبه تماما، لم يقبل يوما أن يرضخ، ولا أن يتخلى عن أفكاره الخطيرة، كان يكبر رامي بعدة أعوام، خريجا من كلية الإعلام هو الآخر، له عمود في أحد الجرائد ويعمل مراسلا لإحدى القنوات، لم يكتب بالمقالات اللاذعة التي ينشرها والتي جلبت عليه شرا كثيرا حتى أوقفوه عن العمل، وطُرد من القناة، لكنه أيضا صار يعمل لحساب نفسه، يتسلل في الليل يراقب بعين لا تكل ولا تمل عددا من الأسماء المشبوهة التي عرف عن مصائبها الكثير أثناء عمله في الجريدة والقناة، حالفه الحظ مرات عدة في البداية حين كان الحراس يتنبهون له فيطاردونه وبيعجوبة كان ينجو، حتى تمكن أحد رجال الباشا مرة من القبض عليه، تلقى يومها الضرب المبرح ثم اتصلوا برامي من أحد المستشفيات ليخبروه أنهم وجدوه ملقى على قارعة الطريق، تمكن جهاد من النجاة في تلك المرة لكنه لم يهدأ ولم تخبو عزيمته وتمكن بعدها بفترة وجيزة من الحصول على أدلة تخص الباشا ومن يعملون معه، كان في تلك الليلة مع رامي في السكن حين انقضوا على المبنى واختطفوه وأخفوه قسريا لفترة طويلة، ولم يظهر جهاد أبدا

بعد ذلك، حتى عرف رامي لاحقا أن رجال الباشا حاولوا إجباره على منحهم الأدلة التي يملكها وفشلوا لذا قاموا بقتله ..

جهاد الذي لم يختلف عن ريم في أي شيء حتى في مصيرهما النهائي، التقاها رامي أول مرة حين كانت تحقق مع عمال المصنع وتطالبهم بالشهادة لصالح العامل المقتول ، كان هو بنفسه هناك يبحث مثلها عن شهادات وأدلة، لفتت إنتباهه، خشى أن تكون واحدة من أتباع خالد أو الباشا، تريد أن تعرف إن كان أحد العمال ينوي الوشاية بخالد و شريكه، تتبعها، استقصى بشأنها وتأكد له شكه حين عرف أنها تعمل لدى يحي المحامي، ومنتزوجة من آدم أحد رجال الباشا وصديق مقرب من خالد، التقى به رامي في منزله مرات عدة، حاول رامي مساعدة والد العامل وشقيقه الذي ألقوا القبض عليه وحينها فاجأه أن يعرف من رجاله أن ريم هي التي تحاول مساعدته بأقصى جهد لديها، ونجحت في إخراج الفتى من البلاد، وأنها تنوي أن ترفع قضية ضد خالد وشريكه، وقد اتفقت مع والد العامل على كافة التفاصيل، ومع أنها لا تملك دليلا دامغا، لكنها كانت تنوي أن تخوض الحرب، تردد رامي كثيرا في البداية، كان يدري أن كشف هويته لها خطير للغاية، لكنه عرف أيضا أن الأدلة التي يملكها

بلا جدوى لأنه لا يستطيع إستغلالها بنفسه، وقرر أن يضع ريم تحت الاختبار أولاً، أرسل لها الأدلة الخاصة بالقضية من صور و شهادات ومن عليها أن تحدث وعدة تفاصيل أخرى، وكانت الرسالة مرفقة بملاحظة " أرسلني كل شيء المذيع حمدي منصور، الأشخاص الواقفين في ظهره لديهم عداوة شديدة مع خالد وسيصره أن يساعدهم، وأنصحك بتجاهل قضية القتل والتحقيق على قضية الحق المدني لأن زوجك أفسد الأدلة في مسرح الجريمة ولن تبتي شيئاً، تحياتي "

و لم تخيب ريم حدسه، خلال ثلاثة أيام كانت قد قدمت طلباً لرفع القضيتين، وساعدها دون أن تدري بإخفاء الأمر عبر علاقاته في النيابة حتى وصل الإشعار إلى خالد، كالصفعة على وجهه، خاصة مع نشر حمدي منصور الأخبار.

تدخل رامي بعد التأجيل الأول، تحدث عن الأمر وكأنه يدافع عن خالد لكنه أراد للأمر أن ينتشر كالنار في الهشيم، أن يعرف الناس بشأن القضية وأن يفقدوا ثقتهم في نزاهة خالد والبقية، ونجح، وإن كلفه الأمر الكثير ..

كان في زيارة لخالد ذات مساء، تحدثا بشأن القضية، وأخبره خالد القليل جدا عن جمعه لأدلة ضد رجال المنظمة، وأنه قد يحتاج مساعدته في مرحلة ما، وأراد منه أن يبحث في شأن كامل عز الدين، إذ أنه يحاول أن يستميله ليكون في صفه وخالد لم يحسم قراره بشأن الموضوع بعد ..

ورد لخالد في تلك الاثناء اتصال، أنصت خالد للمكالمة بهدوء ثم قال بنبرة باردة

" اجعل الأمر يبدو كحادث سير، لا أريدها أن تموت لكن يكفي أن تبقى في المشفى عدة أسابيع."

ثم أنهى الاتصال فسأله رامي في توتر أخفاه بمهارة عمن كان يتحدث، وصدق حدسه حين قال أنه كان يقصد المحامية المزعجة التي رفعت ضده القضية، أوماً رامي برأسه واستأذن بعد عدة دقائق ثم إنصرف، حاول الاتصال برقم ريم عدة مرات حتى أجابت أخيراً

" استمعي لي جيداً، عودي إلى منزلك فوراً، خالد أرسل أحدهم ليصدمك بسيارته "

هتفت ريم

" من تكون ولماذا علي أن أصدقك ؟ "

" أنا من أرسل صندوق الأدلة. "

حينها نفذت ريم ما قاله دون تفكير، وقاد رامي سيارته قاصدا الإسكندرية ، كان يدري أن الأمر سيتم تنفيذه الآن أو لاحقا، لذا كان عليه لقاء ريم بشكل عاجل ..

انتظرها أمام البناية في الصباح الباكر، استقلت سيارة أجرة واتجهت صوب المحكمة، لكن سائق السيارة حاد بها عن الطريق في منتصفه، تنبه رامي لما يحدث داخل السيارة بين السائق وريم، لم يرد أبدا أن يتدخل في عراك مع أحد رجال خالد حتى لا يعرف هويته، لكن ريم كانت في خطر محقق وتوجب عليه أن يفعل شيئا، التقط وشاحه الصوفي، وغطى به فمه، ثم غطى رأسه بقلنسوة معطفه وانطلق في إثر السيارة، تمكن بصعوبة من قطع الطريق على سيارة الأجرة حتى أجبرها على التوقف، ترحل من السيارة نحوهما، وخرج السائق ليوواجهه، تشاجرا، وتمكن رامي من السيطرة عليه وإسقاطه أرضا، وأشار لريم، فترجلت من السيارة

" استقلي سيارتي "

توبة إبليس

قال ، فطالعه في حيرة

" تحادثنا بالهاتف أمس هل تذكرين؟ "

قال رامي، فهزت ريم رأسها وسارت نحو السيارة في تردد، حينما صارا وحيدين في السيارة أخبرها رامي بكل شيء عنه، وأخبرته هي الأخرى عنها وعمما وجدته في مكتب المحامي يحي.

" ستحتاجين مساعدتي للتغلب عليهم، بوسعي حمايتك وبوسعي توفير

الكثير من الأدلة "

" كيف ذلك؟ "

سألته فأجاب

" أنا مقرب من خالد للغاية بوسعي أن أعرف الكثير من الأشياء وبوسعي

مساعدتك "

لم تقنع ريم في البداية لكن رامي أثبت مرات عدة لاحقا أنه كان أهلا للثقة، كانت ريم قد وجدت تسجيلا صوتيا ليوسف والباشا يهدده بطفله الذي لم يولد بعد، اقترح رامي أن ترسله إلى فريدة وتسألها أن تنضم

إليهم، كان يعرف بحكم قربه من العائلة شخصيتها، وعرف أنها ستكون على استعداد لذلك بعد أن فقدت طفلها مؤخرا، ولم تخيب فريدة ظنه ..

كانت لديه معلومات مسبقة عن نقل خالد الأوراق إلى خزانة منزله ليعطيها لكامل عز الدين بعدما أكد له رامي بالفعل أن الرجل لا ينوي خداعه، وضع رامي الخطة، ادعت فريدة المرض وأخرجت خالد من المنزل، وتسلسل هو مع ريم متكرين في هيئة خدمها وتسلسلا إلى غرفة مكتب خالد، كان رامي قد تمكن من سرقة الرقم السري للخزنة في اليوم السابق ، لذا كان فتحها أمرا سهلا، حملا الأوراق وخرجا من المنزل ولم يشعر بهم أحد، انضمت لهم فريدة في وقت لاحق، وصار الثلاثة يحيكون الخطة معا، حتى ظهرت حكاية خالد وتوبته، كان رامي يعرف أنه لا ينوي التوبة حقا لكنه آثر استغلال خالد كأداة تمكنهم من ضرب المنظمة من الداخل، كما أن التوقيت الذي إقترحه خالد لإظهار الأوراق بدا مثاليا وسواء ساعدهم أم لا فقد كان من الأفضل الاحتفاظ به حليفا حتى اللحظة المناسبة لضرب ضربتهم، ووافقت فريدة بالطبع لإعتقادها أن خالد أراد التوبة حقا ، وحدها ريم ترددت ولكنها إنصاعت في النهاية.

لم يكن موت ريم سهلا على أي من رفيقيها، احتفظت ريم بال USB معها لإعتقادها أنها ستكون آمنة أكثر من وجودها مع رامي أو فريدة ، لكنها عادت في أحد الأيام إلى المنزل لتجده مقلوبا رأسا على عقب، اتصلت برامي من الرقم الخاص بهما وطلبت منه أن يحضر لاستلامها ففعل ليشاهدها تقتل أمام عينيه، لم يأبه بهويته ولا أي شيء آخر، ترحل من السيارة وركض نحوها، لكنها فارقت الحياة أمام عينيه، سحب ال USB من يدها وابتعد.

كان قرارا حاسما للغاية في تلك اللحظة، إما أن يستعمل ما يملكه أو أن يثق بخالد حتى النهاية، ووجود فريدة حسم الموقف للاختيار الثاني، كانت ريم قد سجلت عدة فيديوهات بالفعل تحسبا للموقف تمكن رامي وفريدة من استغلالهما لاحقا في توجيه آدم وخالد، أربك خالد حساباتهما في البداية لكن لم يكن هناك مجال للتراجع، وكما تم الاتفاق مسبقا أرسلوا كل شيء لآدم، كان اكتشافا صادما لكليهما أن يعرفا بشأن انضمام يوسف للخطة لكنه لم يكن شيئا سيئا للغاية، لولا أنه جعل فريدة ترتبك لفترة لا بأس بها.

اعتقد ياسين أنهم كانوا يطاردون فريدة لأجل القلادة لكنه لا يعرف أنها كانت أقل أهمية مما يظن وأن السبب الحقيقي أن كلا من خالد والباشا عرفا أن هناك اتفاقا بين ريم وفريدة وأن الأوراق ستظهر حيث ستكون فريدة، كانت ريم قد زرعت أجهزة التنصت في المنزل قبل وفاتها بفترة لذا تمكن رامي من أن يعرف كل خطوات آدم وسمع مصادفة حوارهم مع الباشا حيث يأمره باختطاف ريم لذا سارع إلى المشفى وفجأه تواجد ياسين فاضطر للتخفي في زي الطبيب ثم هاجم الغرفة ليحفرهما على المغادرة، ثم تتبعهما إلى الفندق حيث تمكن من إنقاذهما من رجال الباشا، وفي شقة ياسين وضعت فريدة جهاز التنصت لكي يسمع رامي كل شيء لذا حين بدل آدم ثيابه بثياب شقيقه، وخدرته فريدة، تحدثت يومها عبر الجهاز له فحضر رامي سريعا وساعدها على شد وثاقه، وفي الليلة العاصفة التي حضر فيها يوسف كانت مع رامي بالأسفل يتفقدان على خطواتهما التالية.

وعبر الجهاز نفسه تمكن من معرفة خدعة خالد لذا سارع بإحضار المرتزقة وتركهم لفرح لتقودهم إلى البناية حتى لا يظهر في المشهد

واكتفى بتتبع خالد وماهر الذي اكتشف أنه كان يخدع آدم ويوسف وأنه يعرف السبب الحقيقي وراء مطاردة الباشا لفريدة.

لم يعرف رامى إن كانت النهاية التي وضعها هي الصواب لكنه سعيد لأنه تمكن من إنقاذ الدليل، وفي الوقت المناسب سيخبر ياسين وآدم بالحقيقة ليشاركهما ربما خطة لتفجير حقيقي للمنظمة.

شارك رامى في هذا الانتقام لأجل دم صديقه وهاقد نال الباشا عقابه لكنه في خضم معركته عرف أن قتلة جهاد هم كل رجال المنظمة، هم كل الظلمة والفسدة والمجرمين، أن الانتقام ليس لجهاد بل لكل أفراد الوطن، لقد تمكن بصبره من الوصول لنقطة حساسة للغاية قد يتمكن منها من نيل الانتقام العادل للجميع، لا يدري إن كانت هي روح ريم وجهاد تباركان نواياه الطيبة أم أن المعركة الطويلة أكسبته العزم والقوة، لكنه يعرف أن مهمته الحقيقية بدأت الآن.

بعد مرور عدة أشهر

كان يجلس خلف مكتبه يشعل سيجارا وهو يحدق في ملف حين ورده

اتصال من كامل أجاب معتر ليتلقى الامر الجديد

- الشحنة الجديدة ستصل بعد إسبوع أعد رجالك.

- حسنا

أجاب معتر واغلق الهاتف، لمح خبرا على شاشة التلفاز فقام برفع

الصوت كانت المذيعة تقول معلقة

" كما أعرب السيد كامل عز الدين مساعد وزير المالية أن الاقتصاد

يعاني من اضطرابات كبيرة منذ انتخابات مجلس الشعب للعام ٢٠١٠

والتي تم إجراؤها قبل شهر نتيجة للمؤامرة التي تحكيها قوى المعارضة

في الاونة الاخيرة بالاتفاق مع اعداء الوطن في الخارج"

وكان على الشريط الهامشي اسفل الشاشة خبر يقول

" رجل الأعمال والمذيع الشهير رامي سليم يفتح مصنعا للصناعات

الصغيرة لمساعدة الاسر الفقيرة في مسقط رأسه بالشرقية"

اغلق التلفاز واسند رأسه علي كرسیه مفكرا، كل شيء مازال كما هو

ومع ذلك فقد تبدلت كل الوجوه، هو مكان آدم وكامل في محل الباشا

ورامي في مكان خالد، تحسنت احوال البعض أيضا فالمهمة القادمة
 بالتحديد هي للواء سالم الذي عاد للسوق بقوة بعد أن امدته سوزان
 بالمال الذي حوله لها خالد، على الاقل كان خالد صادقا في شيء ما.
 كان معتر مكلفا بشكل خاص بمراقبة آدم عن كثب فحدس كامل يخبره
 أن الاوراق مازالت في مكان ما ولهذا لم يفكر في قتل آدم بل آثر تركه
 لأن تلك الاوراق مازالت تمثل ثروة لا معقولة.
 فليحدث ما يحدث فكما اختار أن يترك صف الباشا وينضم لخالد في
 الماضي ثم حين اضطر لذلك اختار صف كامل ورامي بدلا من صف
 خالد وفي كل يوم وفي كل مرة سيختار الكفة الراجحة وسيقف في ظهر
 من له اليد العليا. هذا هو قانون النجاة في هذا المستنقع، لا يهم
 ما لسبب الحقيقي الذي يدفع المرء للدخول إليه فكل شخص يزين لنفسه
 الحجج ويصدقها وإن لم تكن مقنعة كفاية لكنها تكفيه ليسكت ضميره
 ويقتل إنسانيته ويكمل الطريق، إن إبليس نفسه لا حاجة له بالخوض في
 وسط هؤلاء الرجال لانهم يفوقونه ذكاء وحنكة وشر ومع ذلك فيين كل
 فترة وأخرى يخرج شخصٌ مثل ريم ورامي يربك حساباتهم ويكاد يسقط



تهبة إبليس

كل شئ فوق رؤوسهم ليؤكد لهم أن بنيان الطغيان مهما علا يبقى هشا
ضعيفا أمام صرخة الحق الباسلة.

تمت بحمد الله

لينك الرواية على الجود ريدز

<http://www.goodreads.com/book/show/42973340>

شروق السيد

٤١٣
للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجزوب ساحر الكتب

sa7eralkutub.com

او زيارة موقعنا